«استثمار الأوقاف في ترقية التعليم والبحث العلمي: الجزائر نموذجا»

ص 06

على بصيرة

بقلم: الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قسوم
رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

السلفيــة، ومـا قـد سلـف..

ويسألونك عن السلفية وما قد سلف. فقل إنها ذلك المصطلح المظلوم في مبناه وفي معناه؛ وكم في ثقافتنا من مصطلحات مظلومة، وكم في أمتنا من تعاليم مخرومة؟

فقد كثر الكلام في أيامنا هذه، عن السلفية تهويلا، أو تهوينا، وتناولها الناس بالعلم أحيانا، وبسوء الفهم أحيانا أخرى، ومع ذلك بقي التعسف، والظلم هو السائد في تقديمها، ووصفها، سواء من خصومها، أو من الذين يدعون الممارسة لشعاراتها، واتباع تعليماتها. وهل من اللائق فتح هذا النقاش اليوم -بالذات- حول السلفية، ما خلف منها وما سلف؟

أيا كانت الدوافع الداعية إلى ذلك فإن السؤال يبقى ملحا: ماذا تعني السلفية اليوم في عالم الصحوة الإسلامية، والربيع العربي، وزمن العولمة، والإسلاموفوبيا، وما يحيط بكل ذلك من تقدم علمي، وتطور تكنولوجي؟

ليس من السهل إعطاء جواب شاف وكاف، عن هذا السؤال المصيري المطروح، وإنما يمكن عن طريق الإشارات والتنبيهات القول بأن السلفية هي رمزية الانتماء ونموذجية الاقتداء، أي اقتداء المسلم الصالح ممن خلف بالرمز العالم العامل ممن سلف، وبعبارة أوضح، فإن السلفية تمثل ذلك الفضاء الفكري الممتد عبر التاريخ، للاتصال بالعقل السديد، كما تمثل العقل الحضاري المعتد بالرواد الماهدين، المتأصلين في الدعوة إلى التجديد.

يتبع ص02

بسم الله الرحمن الرحيم
هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ
البصائر
لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا
أسست في أول شوال 1354 هـ الموافق 27 ديسمبر 1935م

لنحافظ على سمعة الجزائر بإعلام راق...

ص 07

الاثنين 07 - 13 ربيع الثاني 1434 هـ /18 - 24 فيفري 2013 العدد: 640 الثمن: 20 دج موقع جريدة البصائر: www.albassair.org / البريد الإلكتروني: info@albassair.org / موقع الجمعية: www.oulama-dz.org

إعدامات خارج القضاء وأعمال انتقام

تجاوزات الجيش المالي تحلب في إناء الأزواد

كثُرت في الأيام الأخيرة الأنباء التي تتحدث عن تجاوزات وانتهاكات فظيعة يرتكبها الجيش المالي بحق السكان المدنيين في مدن الشمال التي كانت تسيطر عليها مختلف الجماعات المسلحة السلفية وكذا حركة تحرير أزواد، وتشير شهاداتٌ متواترة من المنطقة إلى أن الجيش المالي قام بإعدام العديد من المدنيين دون محاكمة، بحجَّة تورطهم في دعم الجماعات السلفية المسلحة الساعية إلى فرض تطبيق الشريعة الإسلامية بالقوة في مالي، فضلاً عن إساءة معاملة الأهالي الذين فرّ منهم عشراتُ الآلاف باتجاه موريتانيا ودول أخرى خوفاً من أعمال الانتقام.

طالع ص 04

مـن المستفيـد من فشـل تجربـة التحـول الديمقراطـي؟!

في أجواء من التسميم الإعلامي، والاحتقان السياسي، والتحريض على العنف، والمقامرة بدماء الشعب، مرت الذكرى الثانية لموجة الربيع العربي التي أشعلتها شرارة محمد البوعزيزي في تونس، وفتحت المجال لحراك شعبي واسع، زلزل عروش الطغيان، وأثار إعجاب العالم بقدرة الشعوب العربية، وخاصة فئاتها الشبانية على كسر طوق ثقافة الهزيمة، وتجاوز عوامل الخضوع والإحباط التي خيمت على الواقع العربي طوال عقود من الاستبداد، فرضتها أنظمة الرداءة والتبعية والتوريث السياسي.

ص 03

قضيـــة الحجـــاب، والعلمانيون الجـــدد في فرنســـا

ص 16

نـدوة «الربيـع العربـي» إفـرازات المحيـط وإكراهـات الواقـع

ص08

المرأة.. ومنزلتها المثلى

بقلم: إبراهيم نويري

تتباين النظرة إلى المرأة ــ كما هو شائع ــ بين الفلسفات والمذاهب والمنازع الفكرية السائدة في الأرض، غير أن المنزلة الأقوم للمرأة هي تلك التي كفلها لها خالقها جلّ وعلا كما هو ثابت بأدلة يقينية، وهذا المقال محاولة لبيان هذه القضية الإنسانية الحساسة التي أسالت حبراً كثيراً منذ فجر التاريخ.

يقول أحد فلاسفة الحضارة الرومانية القديمة: «المرأة هي أكبر مصدر للفوضى والإرباك في العالم، فهي مثل نبتة الدفلى التي ظاهرها جميلٌ مبهرٌ، لكنْ لو طعمتُها العصافير لماتت في الحال دون شكّ»!

وكان بعضُ الصينيين يصفون المرأة بـ «بحر البلاء»! .. وبالنسبة للبوذية فإن مكانة المرأة عندهم تُعرف من خلال قولهم: «إن أغوار المرأة لا تُسبر، فهي مثل مسار الأسماك في المياه، فشخصية النساء مسربلة بكثير من الحيل والخدع التي يصعب معرفة الصدق فيها، ذلك أن الكذب بالنسبة إليها كالصدق، والصدق كالكذب»!

ويقول كاتب يدعى (آند رويسكي): «يمكن علاجُ الحروق، وعَضّ الثعابين.. إلاّ أنه من المستحيل ضمانُ ودّ النساء»!

لكن شاء الله أن تشرق أنوار الدين الخاتم ليصحّح هذا المسار وليبيّن للبشرية كلّها مكانة المرأة ومنزلتها ودورها المحوري في الحياة، فقد نزل الوحي الإلهي الخاتم موضّحاً الأصل الواحد لكلٍّ من الرجل والمرأة، حيث يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم من نفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (النساء:1). ويقول:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} (الحجرات:13). ويقول:{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً} (النحل:72). ويقول:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}(النحل:97) .. فلم يذكر الله سبحانه وتعالى هذه الخلال والصفات الطيبة الصالحة في الرجال إلاّ وذكرها في الآن نفسه للنساء، ولقد أكّدها بوضوح كامل في قوله جلّ شأنه: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} (التوبة:71). وقوله:{وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} (النور:26)...ثم بيّن رسول الهدى -صلى الله عليه وسلم- بأن «النساء شقائق الرجال» وفي خطبة الوداع الشهيرة ــ التي تمثّل بأدبياتها ومقرراتها دستوراً كاملاً في المعاملة وتنظيم الحياة ــ يقول: «استوصوا بالنساء خيراً فإنهنّ عندكنّ عَوَان». ويزيد هذا المعنى ترسيخاً فيقول: «خياركم خياركم لنسائهم، وخيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» ..

بل إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولتحقيق فضيلة رفع شأن المرأة، يبايع النساء بيعةً مستقلةً، ويأتيه «ابن عاصم المنقري» ليحدّثه عن ضحاياه المؤودات ــ خلال المرحلة الجاهلية ــ فيقول : لقد وأدتُ يا رسول الله اثنتي عشرة منهن! فيقول ــ صلى الله عليه وسلم ـ: «من لا يَرحم لا يُرحم، مَن كانت له أنثى فلم يَئدْها، ولم يُهنْها، ولم يؤثر ولده عليها، أدخله الله عز وجلّ بها الجنة».

ثم يقول ــ صلوات الله وسلامه عليه: «مَن عَالَ جاريتيْن حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين ــ وضمَّ بين أصابعه الشريفة». ثم يقول ــ صلى الله عليه وسلم ــ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالقائم لا يفتر، أو كالصائم لا يفطر»! ويأتيه رجل يسأل يا رسول الله: «مَنْ أحقُّ الناس بحسن صحبتي؟ فيقول له: أمّك، قال ثمّ مَن؟ قال: أمك، قال ثمّ مَن؟ قال: أمك، قال ثمّ مَن؟ قال: أبوك».

وفي رواية ذكرتها أسفار السنة الشريفة أن معاوية بن جاهمة السلمي يأتي إلى رسول الله ــصلى الله عليه وسلمــ من اليمن يريد الجهاد في سبيل الله، قاطعاً الفيافي والوهَاد والوجَاد. ولما وصل قال: يا رسول الله: أردتُ أن أغزو وجئتُ لأستشيرك. فقال له نبي الهدى ــ صلى الله عليه وسلم ــ: «هل لك أمٌّ؟ قال نعم، قال: ألزمها فإن الجنة عند رجليها».

لقد نَعِمَتْ المرأة في كنف الإسلام وفي ظلال تعاليمه وتشريعاته وأحكامه، واستعادتْ ذاتها وإنسانيتها التي كانت مُهدرة في الحضارات والأنظمة السابقة على الإسلام..لكن بعد التراجع الحضاري والأخلاقي والمدني للمجتمعات الإسلامية، اختلّت المعادلة مرة أخرى، حيث هيمنتْ أنماطٌ من العادات والتقاليد والتصورات، ما أنزل الله بها من سلطان، فأسهمتْ في زحزحة مكانة المرأة عن ذلك الشأو العظيم الذي رسمه لها الإسلام وأقرّه بعشرات النصوص القطعية في مصدريْه المعصوميْن: الكتاب والسنة.

والأمل معقود مع الصحوة الإسلامية المعاصرة في أن تُزيل الشّبهات والأخطاء التي مكّنت ألسنةً وأقلاماً كثيرة من الخوض في مسائل وشؤون المرأة المسلمة دون أيّ مُسكة من عدالة أو إنصاف .

ولا نشكّ أبداً في أن تقديم صورة حسنة تُعجب الرائين وتُنصف تعاليم ديننا، أفضل ما نواجه به هؤلاء المتخوّضين في مسائل ومقاصد لا تدركها عقولهم الكليلة ونفوسهم العليلة، كما أنها أفضل طريقة للاستدراك على أخطاء الفهم والتطبيق التي سادت الكثير من المجتمعات الإسلامية واستطاعت تشويه الصورة الصحيحة التي توضّح منزلة المرأة في الإسلام .

مقامات البصائر

سخافات مهلكات في عيد فلونتين

بقلم: د. عبد الحفيظ بوردیم
bourdim7@gmail.com

تعرف الأمم ذات الهمم بثقافاتها، وتسقط الأمم ذات اللمم بسخافاتها. وما الثقافة العالية إلاّ رباط بالأخلاق السامية، وما السخافات المهلكات إلاّ اتباع للشهوات الفانية. وليس من مقياس لحياة الأمم واستمرارها إلاّ حفاظها على معاني وجودها وثبات شخصيتها وجديد إبداعها وجميل منجزاتها، وليس من مقياس لذهاب الأمم وانشعابها إلاّ تضييع هويتها وتعطيل طاقاتها وغرقها في مطالب غريزتها.

وكلّما تحركت دواعي السخافة انكمشت معاني الثقافة، فلا تزال تنقلب القيم إلى أضدادها وتهدم الفضائل بعلاّتها حتى يصير السخيف الجديد مقبولا والطيب الأصيل مرذولا. والغريب أنّ التحولات المتكررة تمضي كأسراب الجراد المنتشرة، فتنخر الروح نخرا وتنحر العقل نحرا، وحينئذ تنطلق الشهوة ولا ضابط لها وتستبد الشهوة فلا وازع لها.

كنت أتمثّل هذه المعاني كلّما مررت بالمؤسسات التعليمية، فأرى جدرانها قد تشوّهت بالمشاهد الغرامية، فأسائل نفسي أهذه المؤسسات للتربية أم لسوء التربية؟ ويزيد النفس همّا وحسرات أن ترى كثيرا من التلميذات المراهقات صورة للغانيات في لبسهنّ ومشيتهنّ وخضوعهنّ. وأكثر اللائي في الجامعات عرضن مفاتنهنّ وتنافسن في البحث عن عشّاقهنّ. وهنّ اللائي سيوكل إليهنّ أن يكنّ أمّهات، فكيف يكنّ وقد رضين أن يكنّ فاتنات مفتونات.

ثمّ ما لي لم أذكر إلاّهنّ؟ أليس للرجال يد في فتنتهنّ؟

أولئك الشباب الذين صغرت مطالبهم فاكتروا سيارات ليست لهم، وقد بذلوا الجهد في تصفيف الشعرات حتى خرجت كأجنحة الحشرات، ذلك منتهى الإبداع العلمي الذي علموه، ومنتهى الإنجاز الحضاري الذي بلغوه. وأولئك الآباء الذين لا يعرفون لأبنائهم إلاّ الأسماء، ثمّ لا يبالون بهم أيّ شيء هم من الأشياء، يعطونهم من المال وفيرا ولا يسألونهم أأنفقوه خيرا أم لهوا كثيرا؟ وأولئك الإعلاميون جعلوا الإعلام تجارة جالبة ولو بأخبار كاذبة. وأولئك الحاكمون ما فكّروا إلا في ديمومة الكراسي ولو شغلوا الناس بأسباب الإفلاس.

ولو كان بعض الطرفين قد أساء لرجونا أن يصلح الآخر وبالغنا الرجاء، ولكن أصابني يوم الأربعاء الفائت بالخوف من الشرّ النابت. رأيت زحمة في الطرقات وإقبالا على المحلات ومبالغة في المشتريات ورأيت اللون الأحمر يغلب الهدايا والأعطيات، فإذا اليوم جعلوه للمتحابّين فخرجوا كالمجانين، يتبعون نزوات فالنتين. كأنهم ما عرفوا أنّ الحبّ عفّة وستر وأنّ النزوة تهتّك وعهر.

وليتهم علموا أنّ قدماء اليونان جعلوا للحبّ إلها أسموه ديونيزيس اتبعوا فيه خطوات إبليس، رقصوا فيه عرايا وسكروا مع البغايا، ظنا منهم أنّ ذلك تقديس لعودة الربيع بعد الصقيع رمز الحياة بعد الممات، وأما فلونتين وما هو بقديس فقد أحيا في الكنيسة طقوس ديونيزيس، فكان مشهدا من تحريف دين المسيح وما أكثر ما حُرّف دين المسيح.

لست مفتيا ولكنّني أقول إنّ كلّ احتفال بفلونتين القديس هي عبادة لإبليس. فارجعوا عن غيّكم يا شباب الجزائر فإنّ رسالتكم اتباع النبي الطاهر (صلى الله عليه وسلم). وليت أولياء الأمر منّا تجعل شرطة للأخلاق تحمينا من كلّ انزلاق مقدّر ومن كلّ انحراف مدبّر. فتلك أمانتهم التي سيسألون عنها.

تتمة ص 01

السلفيـــة، ومـا قد سلـــف..

فإذا تحولت السلفية إلى تُبَّع وشِيَع فقدت كنهها، وضيّعت جوهرها، وتحولت إلى حزبية متعصبةً، تنخرها وتقتلها. من هذا المنطلق يمكن إعطاء تصور لمعنى السلفية في نقاط أصالتها، وسمو سنّيتها، ونموذجية قدوتها، وبهذا المفهوم لا يمكن أن تكون السلفية معادية للزوايا العلمية القائمة على الكتاب والسنة، ولا مضادة للحركة الإصلاحية التجديدية التغييرية، فالجميع يلتقون على قاعدة الإسلام المحصّنة، ويتعاونون على صد تيار الجمود، والتطرف، والبدعية المتعفنة، فما بال أقوام نكبوا بالسلفية، وهي هذا الانتماء المقدس إلى سلوك مخيف، وتديّن خفيف، وتطرف سخيف؟ وما بال البعض يشوهون ما تحتويه السلفية من كنوز، فيحصرونها في كل ما لا يجوز، ويحشرون أنوفهم في الجزئيات، حتى في قلب الرموز، وإيمان العجوز.

في هذا الجو المليء بالأفكار المضطربة، والمزدحم بالأقلام والعقول المنسلبة، يحاول المصطادون في الماء العكر أن يزجوا بجمعية العلماء في بحر الصراع مع الزوايا، أو السلفية، أو على الأقل بعض الخلايا.

لذلك نقول للمليونية من المرات، أن الجمعية رحم ولود يتسع لكل الأجنة الإسلامية الطاهرة، فالزوايا القائمة المستقيمة تجد نفسها، بكل رحابة داخل الجمعية، والسلفية بمفهومها الصافي التقي، ذات التوجه السنّي، الوسطي المعتدل، المستمدة لمنهجها من الفهم الصحيح للكتاب والسنة، تستقبلها الجمعية، بالأحضان، وستحميها بالقلب والعقل واللسان.

إنها حقائق نؤكد عليها، أسوة بعلمائنا الماهدين، الذين ما فتئوا يؤكدون هم أيضا على مقومات مرجعيتنا كجزائريين، فنحن كما يقول إمامنا محمد البشير الإبراهيمي: «مالكيون برغم [أنوف الجميع]، و[الوهابيون] حنبليون برغم [أنوف الجميع]، ونحن في الجزائر وهم في الجزيرة، ونحن نعمل في طريق الإصلاح والأقلام، وهم يعملون فيها الأقدام، وهم يعملون في الأضرحة المعاول، ونحن نعمل في بانيها المقاول» (آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص124).

ويقول الإمام الإبراهيمي في مكان آخر: «إننا نجتمع مع الوهابيين في الطريق الجامعة من سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وننكر عليهم غلوّهم في الحق، كما أنكرنا عليكم [الزوايا] غلوّكم في الباطل» (المرجع السابق، ص125).

بهذا التصريح الواضح الصريح، نزيل كل غموض وكل تلميح، ونعلن أننا سلفيون بالانتماء، وأننا صوفيون، بمعنى الصفاء الديني والاقتداء، وبهذا التأكيد نرفض التكفير كمبدإ، فلا نكفر أحدا من أهل القبلة. كما نرفض الشعوذة، والتدجيل باسم الدين، وإقحام الرقص، والشطح، والبندير.

ونختم كما بدأنا بحكمة الإمام محمد البشير الإبراهيمي، بهذا الخصوص في قوله: «إن الجمعيات لا تبقى، ولا يُضمن لها الدوام إلا إذا كان في المعنى الذي أسّست لأجله عنصر من عناصر التجديد لطائفة أو لأمة، وتكون قواعد العمران، وأصول الأديان مقتضية له في حياة تلك الأمة الروحية والمادية» (المرجع السابق، ص129).

إننا بهذا التحديد السديد، والتعليق الدقيق والعميق، نبعد عن العمل الإسلامي الذي نؤمن به، كل من لبس من الجهل سرابيل، وكل من يتلصص باسم الدين، وندعو إلى دين ينبذ كل ألوان الشرك وما يقرب إليها من قول أو فعل. كما ندعو إلى منهج ديني يكفر بكل أنواع الغلو في التكفير، والتبديع، وما يقرب إليه من قول أو فعل، ونبرأ إلى الله من كل من يقحم ديننا السمح المتسامح في هذه الألوان من الانحراف، يمينا أو يسارا. {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ}.

أ.د. عبد الرزاق قسوم

البصائر
لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
● المدير مسؤول النشر / رئيس التحرير: أ. د. عبد الرزاق قسوم
● نائب رئيس التحرير: أ. كمال أبوسنة
● سكرتير التحرير: أ. عبد القادر قلاتي
● مستشار التحرير: أ. عبد الحميد عبدوس
● المدير التقني: أ. مصطفى كروش
التحرير: الهاتف والفاكس: 021.49.51.19
الإدارة: الهاتف والفاكس: 021.49.52.67 / 021.23.33.73
الإشهار: الوكالة الوطنية للنشر والإشهار / 01 شارع باستور - الجزائر.
الطباعة: مطبعة الوسط الجزائر.
رقم الحساب الجاري: 64-2985920
سعر العدد: 20.00دج
الاشتراك النصف السنوي: 500.00دج / الاشتراك السنوي: 1000.00دج
17، شارع محمد مربوش - حسين داي - الجزائر .
التوزيع: الوسط: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: 0550.60.00.38 ★★★ الشرق: KDP 031.92.49.48 ★★★ الغرب: S.D.P.O «0550.57.54.55

من المستفيد من فشل تجربة التحول الديمقراطي؟!

في أجواء من التسميم الإعلامي، والاحتقان السياسي، والتحريض على العنف، والمقامرة بدماء الشعب، مرت الذكرى الثانية لموجة الربيع العربي التي أشعلتها شرارة محمد البوعزيزي في تونس، وفتحت المجال لحراك شعبي واسع، زلزل عروش الطغيان، وأثار إعجاب العالم بقدرة الشعوب العربية، وخاصة فئاتها الشبانية على كسر طوق ثقافة الهزيمة، وتجاوز عوامل الخضوع والإحباط التي خيمت على الواقع العربي طوال عقود من الاستبداد، فرضتها أنظمة الرداءة والتبعية والتوريث السياسي.

بقلم: الأستاذ عبد الحميد عبدوس

ولكن بعد سنتين من الهبة الجماهيرية من أجل الحرية والكرامة في كل من تونس ومصر وليبيا واليمن، وبعدها في سوريا، التي ما زالت تدق أبواب الحرية بكل بسالة وقوة وتصميم قواها الحية الثائرة، بدأ قطار التحول الديمقراطي يتعرض للتعطيل والتأخير والتخريب من طرف قوى الثورة المضادة، ومن الطيف السياسي والفكري العلماني الذي يسيطر في أغلب دول الربيع العربي على مفاصل الإعلام والمال، ويستفيد من شبكة التواطؤات والتحالفات الأجنبية، وخصوصا من دول الغرب المسيحي، والكيان الصهيوني، الذين يرون في الإسلام، وحملة فكرة النهوض الإسلامي، أعداء استراتيجيين، وخطرا داهما على استمرار الهيمنة والاستكبار الإمبريالي الصهيوني على العالم!

ولعل من المفارقات الصادمة في المشهد السياسي لإحدى أكبر دول الربيع العربي، وهي جمهورية مصر، التي كانت تعتبر في عهد الرئيس المخلوع حسني مبارك بمثابة «كنز استراتيجي» للأمن الإسرائيلي والنفوذ الأمريكي في المنطقة العربية، إن القوى السياسية التي كانت تقدم نفسها بأنها حاملة لقيم الديمقراطية والتغيير السلمي، ونبذ العنف، أصبحت بعد هزائمها الانتخابية المتتالية، وفشلها في اجتياز اختبار الصندوق الشفاف للوصول إلى السلطة، تستعمل العنف في صراعها السياسي مع خصومها الإسلاميين، أو أنها على الأقل توفر الغطاء السياسي للجماعات التي تمارس العنف خلال المظاهرات والمسيرات والاعتصامات التي تدعو إليها وتنظمها تلك القوى على غرار تكتل جبهة الإنقاذ الوطني...وفي المقابل تقف القوى السياسية الإسلامية التي كانت توصف من طرف خصومها باستعمال العنف والتطرف الفكري، ورفض الحوار في صف المدافعين عن نبذ العنف، والدعوة إلى الحوار باعتباره الوسيلة المفضلة لحل الخلافات السياسية والتوصل إلى وفاق وطني يعيد تعبئة الطاقات الوطنية لتحقيق أهداف الثورة، والخروج من مأزق الاستقطاب والصدام بين شركاء الثورة، ولقطع الطريق أمام مناورات الفلول وبارونات المال الفاسد لإجهاض حلم الثورة، والنفخ في جمر الفتنة.

كان هذا الهدف، أي التوصل إلى وفاق وطني عبر الحوار، يبدو ممكن التحقيق بعد توقيع رموز قوى المعارضة والموالاة في مصر، إضافة إلى حركات شبابية ومشاركة هيئة كبار العلماء في الأزهر، ومثلي الكنائس المسيحية المصرية، على وثيقة الأزهر لنبذ العنف، التي أكدت على: «حرمة الدماء والممتلكات الوطنية والخاصة، والتفرقة الحاسمة بين العمل السياسي والعمل التخريبي»، وكذلك «إدانة التحريض على العنف أو تسويغه أو تبريره، أو الترويج له، أو الدفاع عنه، أو استغلاله بأية صورة»، ولكن سرعة تنصل بعض زعماء جبهة الإنقاذ الوطني المعارضة من التزاماتهم التي وقعوا عليها في وثيقة الأزهر التي نصت «على تجريم العنف وطنيا، وتحريمه دينيا»، أعطت دفعا جديدا لمسعى تعميم إستراتيجية الفوضى، وتصعيد الاحتقان، وعرقلة جهود استعادة الاستقرار.

في بداية سنة 2011 لم تتمكن قنابل الغاز المسيل للدموع، ولا خراطيم المياه ، ولا حتى رصاص الشرطة وطلقات القناصة، من تحريف ثورة الشباب المصري عن مسارها السلمي، أما اليوم فقد انقلبت الصورة تماما، وأصبحت قوات الأمن هي التي تبذل قصارى جهودها لتفادي المواجهة مع المتظاهرين وأفراد العصابات الملثمة التي تحترف العنف، وتحرق المقرات، وتهاجم قصور الرئاسة ووحدات الشرطة بزجاجات المولوتوف الحارقة ورشقات الحجارة، وتطلق النار على مظاهرات الإسلاميين، وتبقى المعارضة المصرية رغم هذه الأجواء المنذرة بالكارثة، تتهرب من استحقاقات الحوار وتحمل الرئيس مرسي وجماعة الإخوان مسؤولية تردي الأوضاع الأمنية، وتدهور الحالة الاقتصادية، وتطالب باستقالة الرئيس، ولا تترك المعارضة العلمانية فرصة للرئيس مرسي وحكومته لاتخاذ إجراءات قانونية أو اقتصادية لإصلاح الوضع، فكل المبادرات التي أعلنها الرئيس مرسي قوبلت بموجة من الاحتجاجات والمظاهرات والإضرابات التي تزيد من توتير الأجواء، و تبديد رصيد الثقة بين الفرقاء، وزعزعة هيبة الدولة، وتنفير المستثمرين من ضخ أموالهم في الاقتصاد المصري، إضافة إلى بث الإشاعات وترويج الأكاذيب حول حتمية إفلاس مصر، وانسداد أفق الحل، وكأن النخب العلمانية بتشكيلاتها السياسية والإعلامية لم تصبح تميز بين هدف إسقاط النظام، والتسبب في انهيار الدولة!

لابد للملاحظ الموضوعي أن يقارن بين ما حدث -على سبيل المثال- يوم الجمعة الماضي (15 فيفيري 2012) في مظاهرة القوى الإسلامية التي نظمت تحت شعار «معا لنبذ العنف»، حيث نظم آلاف المتظاهرين تجمعا أمام ميدان الجامعة، بدأ سلميا وانتهى سلميا، وتخللته شعارات سلمية وتضامنية، وفي المقابل نظم بعض المئات من قوى المعارضة تظاهرة أمام قصر القبة الرئاسي، تحت شعار «كش ملك»، فبدأ التجمع مشحونا بعبارات القدح والتجريح، والجهر بالسوء من القول، وانتهى بمواجهات بين المتظاهرين وقوات الشرطة التي كانت ترد على مهاجمة المتظاهرين القصر الرئاسي بزجاجات المولوتوف ورشقات الحجارة، علما بأن مظاهرات المعارضة كانت تنظم في السابق أمام قصر الاتحادية الرئاسي، ولما تبين أن الرئيس مرسي أصبح يعقد اجتماعاته في قصر القبة الرئاسي نقلوا احتجاجاتهم وتظاهراتهم إلى أمام القصر الذي يفترضون أن الرئيس موجود بداخله لإسماعه أقبح الكلام، ومحاصرته بأعنف التصرفات.

والغريب أن هناك من الصحف الجزائرية من يرى في هذه الرزانة والحلم والتسامح الذي يبديه الرئيس محمد مرسي في التعامل مع قوى المعارضة دليلا على نهاية عصر الإخوان المسلمين!

وتلتقي القوى العلمانية المعارضة في مصر لحكم الرئيس مرسي، مع رغبة القوى العلمانية في تونس المعارضة للحكومة التي تحظى فيها حركة النهضة بالأغلبية بعد انتخابات تشريعية كانت الأكثر مصداقية وشفافية منذ استقلال تونس، فهذه القوى الخاسرة في الانتخابات تريد القفز على إرادة الصندوق وحكم الشعب، وترى أن الحل يكمن في تشكيل حكومة انتقالية أو حكومة إنقاذ وطني، أو حكومة كفاءات، وأيا ما كانت التسميات فالمهم هو أن تكون وليدة إرادة الطبقة السياسية، وليس نتيجة الإرادة الشعبية. واستغلت فرنسا التي أصبحت لا تتورع عن التدخل العسكري السافر، والتدخل السياسي المباشر في شؤون دول مستعمراتها السابقة، في إفريقيا، والمغرب العربي، الاغتيال الوحشي للمعارض التونسي شكري بلعيد، وهو الاغتيال الذي أدانته كل القوى السياسية التونسية وتشكيلات المجتمع المدني وفي مقدمتها حركة النهضة، ذات الأغلبية في التشكيلة الحكومية والمجلس التأسيسي، استغلت فرنسا رفض الرأي العام التونسي والعربي والدولي لتلك الجريمة النكراء لتكشف عن كرهها التاريخي للإسلام، وتلصق صفة الفاشية بالحركات الإسلامية، وتحرض على حركة النهضة التي حرمتها من استمرار حليفها الوثيق أو عميلها الوفي الرئيس الهارب زين العابدين بن علي في السيطرة على مقدرات الشعب التونسي، ونتذكر جميعا أن فرنسا ظلت حتى آخر لحظة متمسكة بمساندة نظام بن علي، وكانت وزيرة خارجية فرنسا ميشال آليو ماري تعرض على النظام المنهار تحت تصاعد ضغوط الغضب الشعبي ،المساعدة الأمنية للقضاء على الثورة التونسية.

ولم تتردد جريدة جزائرية كانت سباقة لاستضافة رموز حركة النهضة التونسية مثل الشيخ راشد الغنوشي، والشيخ عبد الفتاح مورو، وحتى الرئيس التونسي السيد منصف المرزوقي، وتحبير مقالات الإشادة بالثورة التونسية عندما كانت أغلب وسائل الإعلام في العالم تتنافس على متابعة أخبار الثورة التونسية التي قادت قطار ثورات الربيع العربي، وكان الحصول على حوار أو تصريح من أحد زعماء النهضة أو رموز الثورة يشكل صيدا صحفيا ثمينا، لم تتردد هذه الجريدة الجزائرية في كتابة خبر يزعم أن رئيس الحكومة التونسية السيد حمادي الجبالي «استنجد» بالجزائر لوقف ضغوط زعيم حركة النهضة الشيخ راشد الغنوشي عليه لثنيه عن فكرة تشكيل حكومة تقنوقراط، التي أعلن عن نيته في تشكيلها، ولا أدري إن كان كاتب هذا المقال يعرف بأن أبجديات السياسة الخارجية الجزائرية هي عدم التدخل في الشؤون الداخلية للغير، وأن السيد حمادي الجبالي يملك من صدق الوطنية وسعة الدراية السياسية ما يزجره عن السماح لنفسه بتحويل تونس إلى ساحة للتدخلات الخارجية، والضغوط الإقليمية من أجل الاحتفاظ بمنصب رئيس الحكومة.

والسؤال المهم هو من المستفيد من فشل أو إفشال تجربة التحول الديمقراطي، وتفتح زهور الربيع العربي؟!

حديث الإصلاح

من أحوال الرشوة في بلادنا

بقلم: الأستاذ التهامي مجوري
m_touhami@yahoo.com

«التحقيقات التي أجراها وكيل الجمهورية بمحكمة ميلانو الإيطالية، كشفت عن ارتشاء مسؤولين جزائريين بمبلغ قدره 197 مليون دولار، من طرف شركات إيطالية، من أجل الحصول على صفقات طاقوية مقدرة بـ 11 مليار دولار تمت في عهد وزير الطاقة السابق شكيب خليل».

مثل هذه التهمة، التي لسنا ملزمين بتصديقها أو تكذيبها، مرت على الناس وكأن شيئا لم يكن، إن على المستوى الرسمي، أو على المستوى الشعبي، وبعبارة أخرى كأن الخرق اتسع على الراقع، حيث بلغ مستوى الفساد والإفساد في البلاد حدا، لم تعد تحرك فينا مثل هذه التهم ولا في ضمائرنا شيئا؛ لأن الملايير من الرشاوي والاختلاسات والتهرب الضريبي وتهريب الأموال، التي يطالعنا بها الإعلام يوميا، ولدت في نفوسها مستوى من اليأس والقنوط، بحيث تحولت إلى أفعال عادية، لم يعد من المهم لوم فاعلها؛ بل ربما رأينا الفاعل قد رقي إلى منصب أعلى إن كان من المسؤولين، أو أغرق بالأموال و القروض البنكية إن كان من الستثمرين.

أعادتني هذه القضية وما يحيط بها من ركود لا نشكر عليه، إلى التصريحات التي اطلقها الوزير الأول الأسبق عبد الحميد ابراهيمي في بدايات التحول السياسي والإقتصادي، في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي، وهي قضية الـ26 مليار، التي أحدثت ضجيجا، وهزت الحياة السياسية يومها رغم أنها لم تكن قضية معينة ولا أشخاصها معروفين، ومع ذلك بلغ استغراب الناس من تلك القضية مبلغا غير معهود، والسبب في هذه المفارقة كما يبدو لي أن تلك الأيام كانت فيها بقايا من القيم الأخلاقية للسياسة والسياسي، وكان في السلطة من يستحي أن تقع في بلاده مثل هذه الخيانات أو يكشف أمرها، إذ بمجرد أن اطلق الرجل «قنبلته»، حتى انبرت الكثير من الجهات، نافية للتهمة ومتأنية، ومترددة بين التكذيب والتصديق، ومطالبة السيد الإبراهيمي بالدليل على ما يقول ويطلق من تهم.

وكان هذا الحدث غير المعهود في الحياة السياسية، محركا لرواكد ربما كانت تجري في الخفاء.

إن السيد عبد الحميد الإبراهيمي، أطلق تهمته بناء على فارق في سعر واردات الجزائر والسلع التي كانت تستوردها الجزائر يومها، وقارن بين السعر الدولي والأسعار التي تشتري بها الجزائر تلك البضائع، فوجدها أسعار أغلى من الأسعار المتداولة في البورصة الدولية، فرأى الرجل أن هذا الفارق لا يمكن أن يكون إلا بتواطؤ من مسؤولين جزائريين لصالح الشركات المورّدة على حساب المصلحة الوطنية، إذ لا يمكن ان يكون غير مقصود أو بغفلة من مسؤولينا المحترمين، فعمد إلى جمع صفقات الواردات واستخرج منها 10 بالمائة وهي الصيغة والنسبة المتعارف عليها بين الراشين والمرتشين، فخرج بالرقم الذي أعلن عنه وهو 26 مليار... رشوة قبضها المسؤول الجزائري المرتشي المفترض، من أصحاب الشركات التي تورّد للجزائر غذاءها.

أما اليوم وحسب التحقيق الذي نشرته الشروق، فإن العملية قد كشفت برمتها، راشيا ومرتشيا، والمبالغ التي صرفت لهذا الطرف وذاك، والشركات الأجنبية المستفيدة.. إلخ، ومن المفروض أن يحدث هذا الخبر هزة في البلاد، ولا يهم بعد ذلك ما سيصل إليه التحقيق والقضاء؛ لأن مثل هذا الخبر عندما لا يحرك ساكنا، تساؤلا أو احتجاجا، أو مساءلة للرسميين، فإن الأمر يصبح أخطر من العملية ذاتها، إذ الرشوة كفعل مخل بالأخلاق، يمكن أن يقع ويعالج ويتجاوز، ولكن المسكلة عندما تموت الضمائر، ويصبح مثل هذا الخبر لا يعني شيئا في ضمير المواطن والمسؤول.

لا شك أن مناقشة الموضوع من جانبه السياسي الذي قد لا يقل عن الخيانة للبلاد، إذا ثبت ما قيل عن هؤلاء المسؤولين الجزائريين، ومن جانبه الأخلاقي الذي لا يختلف الناس في بشاعته وسفالته وسفالة أهله، لم يعد ذا بال؛ لأن المشكل الأعمق هي في هذا المستوى المتدني أخلاقيا الذي وصل إليه الشعب الجزائري؟، الذي لا يجدي معه اليوم القول بأن هناك مشاريع تنموية وقفزات إقتصادية وتحسن معيشة المواطن؛ لأنه يائس واليائس يفقد معيار النظر في الأشياء، بسبب الهزائم التي يشعر بها، وعملية الإضعاف التي تطارده في كل جانب.

صحيح ان الفارق بين الرقمين، 26 مليار و197 مليون، كبير جدا، ولكن العبرة ليست في الفارق بين الرقمين وإنما هي في القيمة الأخلاقية، التي تدنت إلى مستوى لا تستهجن فيهالرشوة التي تعددت مصطلحاتها -قهوة وحقي وعمولتي...-، فأضحت من العادات في التعامل التجاري والمالي.

إعدامات خارج القضاء وأعمال انتقام

تجاوزات الجيش المالي تحلب في إناء الأزواد

بقلم الأستاذ : حسين لقرع

كثُرت في الأيام الأخيرة الأنباء التي تتحدث عن تجاوزات وانتهاكات فظيعة يرتكبها الجيش المالي بحق السكان المدنيين في مدن الشمال التي كانت تسيطر عليها مختلف الجماعات المسلحة السلفية وكذا حركة تحرير أزواد، وتشير شهاداتٌ متواترة من المنطقة إلى أن الجيش المالي قام بإعدام العديد من المدنيين دون محاكمة، بحجّة تورطهم في دعم الجماعات السلفية المسلحة الساعية إلى فرض تطبيق الشريعة الإسلامية بالقوة في مالي، فضلاً عن إساءة معاملة الأهالي الذين فرّ منهم عشراتُ الآلاف باتجاه موريتانيا ودول أخرى خوفاً من أعمال الانتقام.

يحدث كل هذا في ظل صمت المجتمع الدولي الذي آثر فيما يبدو، عدم «التشويش» على الحملة العسكرية في شمال مالي، والتي بدأت يوم 11 جانفي الماضي، بغية توفير كل عوامل نجاحها في تحقيق أهدافها، وفي مقدمتها سحقٌ الجماعات السلفية المسلحة عسكرياً وإبعاد خطرها الذي ما فتئ يتعاظم يوماً بعد يوم حتى بات ينذر بالسيطرة على كل مالي وربما النيجر وموريتانيا ودول أخرى ضعيفة في الساحل.

برغم السكوت العمدي للعالم، وبخاصة الدول الكبرى، على ما يقترفه الجيشُ المالي من تجاوزات، فإن هذا الجيش يلعب بالنار وهو يصرّ عليها برغم تعالي التحذيرات والتنديدات من بعض المنظمات الحقوقية الدولية؛ إذ أن الإمعان في ارتكاب انتهاكات بحق السكان المدنيين وإساءة معاملتهم والقيام بأعمال انتقامية واسعة ضدهم وضد ممتلكاتهم، من شأنه أن يُضعف أكثر الروابط الوطنية بين سكان شمال مالي والحكومة المركزية، ويدفعهم أكثر إلى دعم أطروحات زعماء الأزواد الانفصالية، ومن ثمة، فسيزداد حجمُ تأييدها في أوساط السكان، ما يضع الوحدة الوطنية لمالي على المحك في الأشهر والسنوات القادمة، ولاسيما بعد أن ينسحب الجيشُ الفرنسي ويترك الجيشَ المالي ومعه كتائب إفريقية محدودة العدد والعدّة وحدها في الميدان، وقد أكدت الأحداث مراراً أن الجيش المالي يعدّ من أضعف الجيوش في إفريقيا، وقد عجز عن التصدي لمقاتلي حركة أزواد في الشهور الأولى لعام 2012 وفرّ من مدن غاو وكيدال وتمبكتو بسهولة، كما رفض بعدها القيامَ بأي محاولة لتحرير شمال البلد لوحده، لتأكده من عجزه، بل إنه كاد يفقد جنوب مالي نفسه لولا تدخل القوات الفرنسية لإنقاذ باماكو من السقوط في يد جماعات سلفية قليلة العُدّة والعدد وفي مقدمتها «أنصار الدين».

ومن هنا، فإن إمعان هذا الجيش الآن في أعمال انتقام واسعة ضد سكان الشمال بذريعة دعم الجماعات الإرهابية حيناً، وأطروحات الأزواد الانفصالية حيناً آخر، سينقلب بالسلب على صورة مالي حاضراً ومستقبلاً، ولن يؤدي سوى إلى تقوية صفوف الجماعات الإرهابية والحركة الانفصالية، وإذا كان الجيش المالي يستقوى الآن بالوجود العسكري الفرنسي، فهو في النهاية وجودٌ ظرفي، وقد عبّر المسؤولون الفرنسيون مراراً عن رغبتهم في الانسحاب سريعاً من البلد، وهناك من حدَّد شهر مارس أو أفريل لبداية الانسحاب، ولا نعتقد بعدها بأن القوات الإفريقية، ضعيفة التسليح والتيكنولوجيا العسكرية، قادرة على دعم الجيش المالي في مهمته بالشمال لسنوات عديدة.

فرنسا تدرك جيداً أنه لا طاقة لها بـ «حرب رمال» طويلة الأمد تستنزف قدراتها العسكرية والمالية في شمال مالي، فوضعُها الاقتصادي متأزم في السنوات الأخيرة، وقد استخلصت الدرسَ جيدا من دعمها العسكري للاحتلال الأمريكي لأفغانستان، وتأكدت أن المقاتلين السلفيين حيثما وُجدوا، يبحثون عن حروب عصابات طويلة يستنزفون بها قدرات الدول المحتلة، كما يفعل الطالبان منذ أكتوبر 2001 إلى حدِّ الساعة، ولذلك آثرتْ منذ بداية تدخلها في مالي أن يكون سريعاً وحاسماً حيث تنقذ من خلالها النظامَ المالي الحليف من السقوط، وتقود جيشه إلى الشمال تحت حماية طائراتها العسكرية، وبعد أن يستولي على المدن الرئيسة في الشمال ويكتمل تعدادُ القوات الإفريقية الحليفة، تنسحب وتترك هذه الجيوشَ وحدها على الأرض لمواصلة مطاردة «القاعدة» و«التوحيد والجهاد» و«أنصار الدين» في حرب رمال ساخنة قد تطول سنوات وتدفع خلالها فاتورة عسكرية واقتصادية ثقيلة.

ولكن المشكلة لا تمكن في الطول المرتقب لهذه الحرب كما هو حاصل في أفغانستان فحسب، ولكنها تكمن أيضاً في تجاوزات الجيش المالي بحق السكان الطوارق والعرب، والتي أدان بها نفسه وأثبت عليها تهمة العنصرية التي طالما لاحقته في العقود الماضية، وكانت أحد الأسباب الرئيسة لاتّساع نطاق الدعوات الانفصالية في إقليم الأزواد شمال مالي. ولو كان الجيشُ المالي حكيماً، لترك كل النزعات الانتقامية جانباً وفضل التركيز فقط على تصفية شمال البلد من الجماعات الإرهابية وتجار المخدرات والجريمة المنظمة، قبل أن يترك المجالَ لحكومته للتفاوض مع الطوارق الأزواد من موقع قوة بشأن مطالبهم السياسية، وإقناعهم بالتخلي عن مطلب الانفصال والرضا بالحكم الذاتي كأقصى تنازل من باماكو.. ولكنه بدل ذلك، تورّط في انتهاكات حقوقية فظيعة تحلب كلها في إناء الجماعات السلفية من جهة والحركة الانفصالية من جهة أخرى، وعرّض بذلك البلد لمزيد من المتاعب والفوضى، وبالنتيجة، سيعرّض أيضاً البلدان المجاورة للمزيد من المتاعب.

وتخطئ مالي إذا اعتقدت أن فرنسا حريصة على وحدتها الترابية، وأنها أرسلت طائراتِها وجنودَها وقادت جيشها والجيوش الإفريقية إلى مدن الشمال لتحقيق هذا الغرض، بل فعلت ذلك لإنهاء الخطر الداهم للجماعات السلفية التي كانت تهدد بالزحف على باماكو نفسها وإسقاط نظامها العلماني وإعلان كل مالي «دولة إسلامية»، ومن ثمة تهديد مصالح فرنسا الاقتصادية وفي مقدمتها مناجم اليورانيوم والذهب الغنية بالمنطقة، وهو ما لا يمكن أن تسمح به فرنسا أبداً، وقد أبدت حرصها على استهداف مواقع الجماعات الإسلامية شمال مالي ولم تتعرض أبداً لحركة أزواد العلمانية، وبدت الحركة وكأنها فهمت ما تريده فرنسا فساعدتها في هذه الحملة ضد الجماعات السلفية، وفي نفس الوقت طالبت بدخول 1800 جندي تشادي إلى كيدال بدل الجنود الماليين لتفادي أعمالهم الانتقامية ضد السكان، وبدا واضحاً أن فرنسا تريد الدفع بباماكو إلى البحث عن حل سياسي مع حركة الأزواد وتجنُّب خوض أية مواجهة عسكرية ضدها، وهو ما يثير الشكوك في الواقع حول إمكانية انقلاب فرنسا على باماكو ودعمها لمطالب هذه الحركة الانفصالية العلمانية مستقبلاً وبطريقة سرّية إذا ما تأكدت من زوال خطرِ «القاعدة» والجماعات الموالية لها نهائياً، وهذا لخلق فتنة عرقية جديدة في الساحل وشمال إفريقيا وزعزعة استقرار الجزائر بإعادة بعث مشروع دولة الصحراء الكبرى الذي طرحه دوغول ورفضته الثورة والطوارق أنفسهم، فربما كانت الفرصة مواتية هذه المرّة، ولا فرقَ لدى فرنسا بين مالي موحّدة يحكمها نظامٌ علمانيٌّ حريص على مصالحها، وبين دولتين قائمتين في الجنوب والشمال يحكمهما نظامان علمانيان يحرصان أيضاً على استمرار مصالحها، ونفس الأمر ينطبق على باقي الدول الست التي يتواجد بها طوارق. ولا شك أن التحذيرات التي تتحدث عن أن المستهدف الأول من التدخل في شمال مالي هو الوحدة الترابية للجزائر هي في محلها تماماً، وعلى الجزائر أن تتخذ أقصى درجات الحيطة والحذر حتى لا تلحق بها شظايا الحرب المالية خسارة جسيمة تطال وحدتها الترابية، وأن تتحرك لإجهاض هذا المخطط الاستعماري الجهنمي قبل فوات الأوان.

القضية الفلسطينية إلى... أين؟!

الأستاذ : محمد الحسن أكيلال

لتكن أولى الخطوات القاهرة

سباق ضد الساعة يخوضه الرئيس «د. محمد مرسي» للخروج بمصر من أوضاعها المزرية المتخلفة في كل المجالات وعلى كل الأصعدة لإثبات صحة توجه ومصداقية وصدقية رؤية الإخوان المسلمين الذين منعوا حتى من مجرد التعبير عن رأيهم منذ إنشاء حركتهم عام 1926 إلى حين إطاحة الثورة الشعبية بالنظام الحاكم ورئيسه «حسني مبارك» 25 يناير 2011.

الرئيس يواجه قوى كثيرة لا تتورع عن الدفع بمصر إلى مهاوي الفتنة المدمرة لكل شيء، للضغط عليه لمغادرة الرئاسة والحكم، والأكيد أن من هذه القوى - أشرسها جميعا - عدة وعتادا وعددا المخابرات الاسرائيلية (الموساد) المحاطة بجموع المنتفعين من المصريين من التطبيع مع دولة الكيان الصهيوني.

الحراك الذي تعرفه المدن المصرية في الفترة الأخيرة، ولو حاولت «جبهة الإنقاذ» التي يقودها الثلاثي الذي أخفق في الانتخابات الرئاسية الأخيرة: البرادعي، عمرو موسى، الصباحي، وهم يمتطون حصان الوطنية والقومية المصرية كبديل للوفديين الذين شاخوا ولم يعد يسمع صوتهم إلا من طرف الأقلية المرتبطة به عاطفيا بصفة خاصة بزعيمه التاريخي الأول المرحوم «سعد زغلول» إلا أن هؤلاء، عدا البرادعي الذي كان من الأوائل الذين استطاعوا بقوة الحركة - التغيير - التي أسسها قبل الثورة أن يكونوا الفاعلين الأساسيين للثورة الشعبية التي أطاحت بنظام مبارك. فالاثنان الآخران: عمرو موسى والصباحي قد ركبا قطار الثورة في سلمه بعد أن امتلأت كل العربات بالإسلاميين والتغييرين من شباب مصر.

الخطر يحيط بمصر من كل الجهات الأربعة، فهو الخطر الذي يستهدف أولا رأس مرسي، وثانيا ومن خلاله رؤوس كل الإخوان المالكين لزمام تحريك أغلبية الشعب المصري.

حرب شرسة وصلت حدّ الدوس على القيم والأخلاق والأرواح البشرية، تقوم بها وسائل الإعلام والدعاية المختلفة، ويبدو أن موقع مصر الجيوسياسي الذي جعل منها نقطة تقاطع لقوى خارجية عديدة أعطت لهذه الحرب الضروس زخما قويا يكاد يقضي على كل ما بقي في مصر من مقومات الصمود في وجه هذا الإعصار العاتي العاصف بها، وهي بين يدي الإخوان المسلمين المعروفين لدى الخاص والعام أنهم القوة المنظمة الوحيدة في مصر القادرة على وضع إستراتيجية حقيقية لإعادة بنائها واستعادة دورها المحوري في المنطقة، وهذا أخطر ما يقلق دولة الكيان الصهيوني.

في الأيام القليلة الماضية احتضنت مصر لقاءين هامين في وقت واحد هما:

-لقاء المصالحة الوطنية الفلسطينية بين فتح وحماس وغيرهما من فصائل المقاومة.

-مؤتمر التعاون الإسلامي الذي يرأسه أمينه العام «أوغلو» التركي، وقد حضر المؤتمر رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية «أحمدي نجاد».

اللقاء الأول انتهى باتفاق على تشكيل حكومة وحدة وطنية والإعداد لانتخابات تشريعية ورئاسية.

اللقاء الثاني تميز بحضور - لأول مرة - رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية كأول زيارة لأعلى مسؤول إيراني لجمهورية مصر العربية منذ ما يزيد عن ثلاثين سنة.

هذه الزيارة فتحت للرئيس أحمدي نجاد أبواب كثيرة لبداية العلاقات المصرية الإيرانية، وأهمها: اللقاء مع علماء الأزهر الشريف، والثاني اللقاء مع رجال الفكر والثقافة في مصر.

اللقاءان يرسمان مثلثا يحيط نقطة فلسطين، أضلاعه تتمثل في الخطوط: طهران، أنقرة، القاهرة، هذا المثلث حاليا مرسوم بقلم الرصاص على ورقة بيضاء، ولكن بالنسبة لدولة الكيان الصهيوني وأمريكا وحلفائها الغربيين هو مثلث الخطر الذي يجب أن يمحى.

قوى الحراك الحالي المكونة من بقايا النظام السابق يمكن تفهم دوافعها ومبرراتها، لكن القوى الأخرى وعلى رأسها تكتل الإنقاذ لا يمكن قبول أي عذر لها حاليا إذا كانوا فعلا كما يدعون أنهم حريصون على مصير ومستقبل مصر ومكانتها في المنطقة.

«فالبرادعي» الذي أطاحت به الولايات المتحدة الأمريكية من على رأس الوكالة الدولية للطاقة النووية بسبب علاقة المصاهرة مع الشعب الإيراني، كان يفترض أن يكون قريبا من التيار الثوري الإسلامي المستنير، وهذا يجعله قريبا ولو تكتيكيا من الإخوان المسلمين.

الصباحي الذي يتزعم التيار القومي الناصري، وإن كانت هناك أسباب تاريخية للعداء بين تياره وتيار الإخوان، إلا أن المتغيرات والمستجدات تفرض عليه مراجعة جادة لكل المواقف السابقة وقراءة جديدة جادة للمسار الجديد الذي بدأته مصر الثورة، وهذا أيضا يفرض عليه التقرب من الإخوان.

عمرو موسى الوحيد الذي أحاطته الظروف التاريخية بعلامات استفهام وتعجب يجب عليه أن يزيلها، لقد كان أمينا عاما للجامعة العربية بفضل ضغوط وتدخلات الرئيس المخلوع حسني مبارك.

كاتب جزائري hacen03@live.com

«استثمار الأوقاف في ترقية التعليم والبحث العلمي: الجزائر نموذجا» - 01

تساءلت وأنا أبحث في موضوع الأوقاف: هل اقتصر الوقف على المساجد والكتاتيب والمقابر؟ أم أن الفكر الوقفي أوسع من هذا كله؟ واكتشفت أن الفكر الوقفي عند المسلمين بلغ في مراحل تاريخية من الحضارة الإسلامية مستوى راقيا من التطور، إلى درجة أن المسلمين فكروا حتى في الحيوانات المعطوبة المريضة وخصصوا لها أوقافا لرعايتها، ووجدت أيضا أن المسلمين قبل أن يفكروا في الحيوانات فكروا في الإنسان أولا، فأوقفوا دور عابري السبيل والخانات والصيدليات والمكتبات، بل وصولوا في المغرب إلى درجة أنهم وضعوا أوقافا خاصة بالمشرفين (من العلماء) على شرح كتب معيّنة، فأيّ طالب علم احتاج شرح كتاب من هذه الكتب يوجّه إلى العالم المعين لذلك وأجر العالم من الأوقاف المخصصة لهذا الغرض فقط.

والعجيب في الأمر أن الفكر الوقفي الإسلامي استفاد منه الغرب إلى أبعد الحدود، فنجد القطاع الخيري (الوقفي) وصل في الولايات المتحدة الأمريكية نسبة 56 % من مجموع قطاع الخدمات العامة وهذا سنة 1989 م حيث تتصدر الصحة نسبة 56% يليها مباشرة خدمات التعليم بـ 26%.

وتذكر الدراسات في مجال القطاع الخيري (الوقفي) أن التعليم الذي يقدمه القطاع الوقفي والتبرعي يتفوق على القطاع الحكومي والتجاري تفوقا كبيرا خاصة من حيث الكفاءة ونسبة الانجاز العلمي إلى عدد الطلبة، وهذا دائما في الولايات المتحدة الأمريكية، علما أن نفس الممارسات الخيرية الوقفية نجدها في بريطانيا وفرنسا وغيرهما.

عند استعراضي للنماذج السابقة في مجال العمل الخيري الوقفي، قلت: لماذا نجح الغربيون «أمريكا نموذجا» في تطوير الفكر الوقفي الذي ترجع أصوله إلى المسلمين الذين كانوا السبّاقين فيه؟ ثم أما آن الأوان أن نفكر بجدية في استثمار الأوقاف بشكل رشيد وعقلاني في مجالات التعليم عامة والتعليم العالي خاصة؟ علما أن ذلك قد يعود بالنفع الكبير على التنمية الشاملة في دولنا العربية والإسلامية، وهل عجزنا عن استغلال إيرادات الأوقاف أو بعض أصولها في مجال تطوير مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي الراقي؟ سأحاول أن أركز في ورقتي على الأوقاف الجزائرية، واقتراح ما يمكن أن يخرجها من انحصارها في مجال التعليم الديني إلى التعليم العليم العام بكل مستوياته، والبحث العلمي أيضا، وهذا من خلال ما يلي:

أولا: واقع التعليم والبحث العلمي في الوطن العربي

بذلت الدول العربية جهودا متفاوتة في مجال التعليم بكل المستويات، وهذه الجهود كانت لها أيضا نتائج متفاوتة في الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، فمن الدول العربية من أصبحت اقتصادياتها من أرقى الاقتصاديات في العالم ومنها من برز فيها عناصر حصلوا على جائزة نوبل، ومنها من أصبحت قطبا علميا وفكريا بارزا، إلا أن كل هذه النتائج الناجمة عن استراتيجيات أحادية لا يمكن من خلالها الحكم على دولنا العربية أنها وصلت حقيقة إلى تحقيق المرجو من تلك الاستراتيجيات، وذلك نابع من واقع معاش تتحدث الإحصاءات فيه عن أكثر من 24 مليون بطال عربي بكل المستويات التعليمية وبنسبة شبانية عالية. وأيضا نسبة فقر فاقت في بعض الدول العربية 50% من مجموع السكان...إلخ

فما هي مختلف المؤشرات الرقمية التي من خلالها نستطيع الحصول على نظرة شاملة لواقع العلم والمعرفة والابتكار لدى الدول العربية؟ بالاطلاع على تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2003 اتضح أن البلدان العربية تبقى بعيدة جدا عن مجتمع المعرفة، بمعنى أن الفجوة المعرفية بين العديد من البلدان النامية ومنها العربية ومجتمعات المعرفة ضخمة وتتنامى بصورة متسارعة.

حيث يقدر البعض أن فرصة البلدان النامية في اللحاق بمجتمعات المعرفة تتطلب قيام نمط من النمو الأسي في اكتساب المعرفة وتوظيفها حتى يمكن سد فجوة المعرفة بين صنفي المجتمعات.

وفي نفس السياق خلص تقرير التنمية الإنسانية في الوطن العربي لعام 2002 إلى التخلف النسبي للبلدان العربية في مضمار اكتساب المعرفة باعتباره أحد النواقص الجوهرية المعوقة للتنمية الإنسانية في بداية القرن الحادي والعشرون.

ويذكر التقرير لسنة 2003 أن قطاعات واسعة من العرب محدودة الدخل، في إشارة إلى أن اكتساب المعرفة يتطلب مستويات معينة من الدخل، ذلك أن تكلفة التوصل لسبل اكتساب المعرفة خاصة تلك المستوردة من الخارج مباشرة أو يعتمد إنتاجها محليا مكونات مستوردة (سلعا أو خدمات)، يرتفع سعرها بسبب اقتضاء ريع على إنتاج المعرفة ثم تجسيدها في سلع وخدمات، أو بسبب الاحتكار محليا. وبغية توضيح ذلك لدينا وسيلتين معرفيتين يمكن الاستعانة بهما في توضيح هذه النتيجة وهما: الانترنيت والحاسوب.

ففي مجال الانترنيت نجد الإمارات العربية المتحدة تتصدر عدد مستخدمي الانترنيت لكل 10.000 من السكان، حيث يتراوح العدد (سنة2000) ما بين 3000 و 4000 مستخدم. ونجد تكلفة الاستخدام لا تتجاوز 0.2 % من الناتج المحلي الإجمالي للفرد. وفي المقابل نجد المغرب ومصر لا يتجاوز عدد المستخدمين في كل منهما 100 مستخدم لكل 10.000 ساكن إلا أن التكلفة في المغرب هي الأكثر ارتفاعا بين الدول العربية، فقد وصلت في سنة 2002 إلى ما يقارب 2.9 % من الناتج المحلي الإجمالي للفرد، وفي مصر تقريبا 0.75%. مما يبرر عدم انتشار استخدام الانترنيت في معظم الدول العربية للفترة المدروسة. (مع الإشارة إلى أن المعطيات قد تكون تغيرت بشكل طفيف ما بين 2003 و2005).

أما ما تعلق باستخدام الحاسوب وهو أداة أساسية حاليا لنقل المعرفة (خاصة عبر شبكات الانترنيت)، فنجد أن متوسط عدد الحواسيب لكل 1000ألف من السكان لا يتجاوز (18) حاسوبا سنة 2000 (المتوسط العالمي كان 78.3 حاسوب لكل 1000 شخص).

ومن هذين المؤشرين (نسبة استخدام الانترنيت والحاسوب) تظهر بعض مبررات ضعف الاكتساب المعرفي المرتكز على التكنولوجيات الحديثة، رغم أن المعطيات تكون قد تغيرت بشكل طفيف إلى غاية 2005 ، لكن الواقع يثبت استمرارية التخلف المعرفي في الوطن العربي بشكل كبير، اللهم إلا بعض الدول العربية - ذات الموارد المالية الممتازة والكثافة السكانية الضعيفة- التي تجاوزت المشكل، ونخص بالذكر هنا دولة الإمارات العربية المتحدة، الكويت، وبعض دول مجلس التعاون الخليجي الأخرى.

أما في مجال التعليم فقد خلص تقرير التنمية الإنسانية العربية لسنة2002 إلى أنه بالرغم من الانجازات التي تحققت في مجال التوسع الكمي في التعليم عامة والتعليم العالي بشكل خاص منذ منتصف القرن العشرين، إلا أن الوضع العام للتعليم لا يزال متواضعا مقارنة بإنجازات دول أخرى حتى في بلدان العالم النامي، ويذكر التقرير أن أخطر مشكلات التعليم في البلدان العربية تتمثل في تردي نوعية التعليم.

ففيما يتعلق بنوعية التعليم العالي في البلاد العربية والذي يرجع وجوده إلى أبعد من عشرة قرون، تبقى السمة البارزة في هذه المؤسسات هي حداثة عهدها. حيث تذكر الدراسات أن 3/4 من الجامعات العربية أنشئت في الربع الأخير من القرن العشرين، ولا يتعدى عمر 57% منها الخمسة عشر عاما.

ففي دراسة تبناها المكتب الإقليمي للدول العربية في برنامج الأمم المتحدة الإنمائي لتحسين نوعية التعليم الجامعي في البلدان العربية (في بعض الفروع العلمية الحيوية)، تناولت الدراسة 16 جامعة عربية (12 منها عامة و4 خاصة) من 12 دولة عربية، أظهرت الدراسة أنه فيما يتعلق بمستوى الجامعة فقد تراوحت قيمة مؤشر إجمالي الجودة الذي يلخص نتيجة التقييم على تسعة من المؤشرات التفضيلية بين 42% و 91% بمتوسط 60% تقريبا، وكانت الغالبية من الجامعات الخمس عشرة (8 من 15 جامعة) أقل من المتوسط (حيث انسحبت الكويت من التقييم).

ووفق المعايير المعمول بها يخلص التقييم إلى أن المعدل الإجمالي لسلة المؤشرات التفضيلية يقل عن مستوى «مقبول» لثمان جامعات.

مؤشر آخر نراه ضروري لتقييم الأداء المعرفي في الدول العربية ألا وهو الترجمة، ذلك أن العالم المتقدم يتوفر على أحدث المعارف، بل أن وتيرة التطور المعرفي عندهم سريعة بشكل رهيب، لذا يمكن أن تكون الترجمة من اللغات الأجنبية للعالم المتقدم (والتي تتصدرها اللغة الانجليزية المتربعة على 85% من الرصيد المعرفي العالمي)، كفيلة بأن تقدم رصيدا معرفيا يمكن الدول العربية من مواكبة التطورات المعرفية، إلا الواقع غير ذلك، فالأرقام العالمية تذكر أن عدد الإصدارات تأليفا وترجمة في العالم تقدر بـ 830.000 عنوانا سنويا، فما ترجمه العرب منذ عهد المأمون إلى سنة1999 لم يتجاوز 10.000 كتاب، وهو يوازي ما تترجمه إسبانيا في عام واحد، هذا يعني أن عدد الكتب المترجمة لكل مليون من السكان في الوطن العربي أقل من كتاب واحد في السنة، بينما يقدر بـ 920 كتابا في إسبانيا لكل مليون من السكان.

أما ما تعلق بالإبداع والابتكار الذين يعدان كنتيجة للتراكم المعرفي، فتؤكد المؤشرات العالمية على ضعف نشاط البحث والتطوير في الدول العربية، وتخلفه عن الدول المتقدمة وحتى بعض الدول النامية، والجدول أدناه يوضح ذلك:

الجدول رقم 1 : عدد براءات الاختراع المسجلة في الولايات المتحدة الأمريكية من بلدان عربية.

دول عربية		دول أخرى	
البلد	عدد براءات الاختراع	البلد	عدد براءات الاختراع
البحرين	6	كوريا	16328
مصر	77	إسرائيل	7652
الأردن	15	تشيلي	147
الكويت	52		
عمان	5		
السعودية	171		
سوريا	10		
الامارات	32		
اليمن	2		

إن أحسن الدول العربية التي سجلت أكبر عدد من براءات الاختراع، والتي تعتبر من أحسن الدول في مجال التحصيل المعرفي هي المملكة العربية السعودية في الفترة (2000/99-80)، ورغم كل ذلك يعتبر هذا الأداء ضعيفا بالنسبة للدول العربية عامة مقارنة مع إسرائيل.

إن هذه الأرقام عن الاختراعات المسجلة لها أسبابها في الجامعة، إذ نجد الدراسات التي قام بها البنك العالمي والتي منها دراسة تمت سنة 98، تظهر أن عدد الملتحقين بالفروع العلمية في التعليم العالي في الفترة (95-90) لدى الدول العربية مقارنة مع دولة واحدة هي كوريا الجنوبية يعتبر من الأضعف في العالم، ذلك أن 20 % من الطلبة يلتحقون بفروع علمية في كوريا الجنوبية مقارنة مع 7 % لأحسن نسبة مسجلة في الأردن من بين الدول العربية، مما يبرر تدني الابتكار والاختراع كنواتج عن معرفة متراكمة في الوطن العربي.

ثم أن تدني الإنفاق على البحث والتطوير في التعليم العالي في الوطن العربي يبرر أيضا انخفاض نسبة الابتكارات والاختراعات، فالأرقام تدل على أن أدنى نسبة إنفاق في مجال البحث والتطوير نجدها في الوطن العربي حيث بلغت 0.2 % من الدخل القومي الإجمالي ما بين (-90 95)، في حين نجد الدول المتقدمة تخصص 3.1% من دخلها القومي للبحث والتطوير.

وانعكس كل هذا سلبا على عدد مراكز البحث في الدول العربية فنجد أدنى دولة عربية من حيث عدد المراكز (البحرين وجيبوتي) بها مركز واحد بينما أعلى عدد لهذه المراكز متواجد في مصر بـ 73 مركز بحث علمي، ويبلغ عدد المراكز البحثية 280 مركزا في الوطن العربي.

أما في مجال إصدار الكتب فيأتي الوطن العربي في المرتبة ما قبل الأخيرة، أي قبل دول إفريقيا الوسطى (ما عدا الدول العربية) وفق إحصاءات عام 1991 (وهذا ما تؤكده تقارير اليونسكو لسنة1999).

إن واقع العلم والمعرفة والابتكار في الوطن العربي محبط، لكن هل نقف أمام هذه الأرقام المفزعة دون أن نبذل جهودا لتغييرها نحو الأحسن؟ وألا يمكن أن الأوقاف أحد حلول أزمة تدهور التعليم والبحث العلمي في الوطن العربي؟

يتبع

رؤيـــة

بقلم: الدكتور مسدور فارس
abouabdelbassetfares@yahoo.fr

إقتصاد الخمور في بلد الشهداء...

ماذا يمثل إنتاج الخمر في بلادنا، وماذا يقدم لنا من مزايا اقتصادية، ثم ألا يمكننا الاستغناء عنه؟ ما الذي يجعل الجزائر البلد المسلم ينتج ويوزع ويصدر خمورا في الداخل والخارج، بل الأعجب والأغرب أن فوائضنا من العملة الصعبة التي دفعنا الثمن باهظا من أجل الوصول إلى تحقيقها إذا بنا نستخدمها في استيراد الخمور، عوض استيراد التكنولوجيا المتطورة، أو الأجهزة الطبية التي تحتاجها مستشفياتنا، أو أي شيء ينفع الأمة عوض أن يدمرها ويدمر شبابها الركيزة الأساسية لها.

أذكر مرة وأنا أستمع إلى أحد المسؤولين الكبار (هداه الله) في بلادنا وهو يتحدث أمام البرلمان (بكل تكبر)، إذ أجرى مقارنة بين ما يقدمه هكتار من القمح وهكتار من العنب الذي يستخدم في إنتاج الخمر، حيث بين بأن هذا الأخير يعطي أضعاف مضاعفة من الايراد الذي يعطيه الهكتار من القمح، وتطاول أكثر وقال في الاقتصاد لا دخل للدين المهم أننا نفاضل بين الخيارات التي تعطينا أفضل إيراد إقتصادي، متناسيا تماما أن هذا البلد بلد مسلم يدين بدين الاسلام الذي يعتبر الخمر أم الخبائث، وأن هذا المنتوج سبب للتفكك الأسري، وانتشار الجرائم، وسبب لحوادث المرور والإعاقات التي تأتي منها ناهيك عما نفقده من مواطنين بسببها.

والذي يؤلمك أكثر أنك ترى مستثمرين محليين وأجانب يتشاركون من أجل مصانع لإنتاج الخمور عوض مصانع لتصدير التمور، تلك التمور الجزائرية الراقية المطلوبة بقوة في كل أنحاء العالم، لكن أمثال هذا المسئول وغيره كثيرون يريدوننا أن نأكل الحرام ونطعم أبناءنا الحرام، لذا يجد المستثمرون في إنتاج الخمور كل التسهيلات مقارنة مع المستثمرين في مجالات نقل التكنولوجيا المتطورة، أو غيرها من المجالات الصناعية والتكنولوجية النافعة للأمة، ومن أراد أن يتأكد ليسأل عن الاستثمرات العربية والغربية والأسيوية التي نفرت من بلادنا نتيجة أناس ماتت ضمائرهم فحطموا الاقتصاد الوطني وجعلوه اقتصادا ريعيا لم يصل ليصدر 2 مليار دولار خارج المحروقات.

حتى ونحن نريد أن نطور جانبا من إمكاناتنا السياحية لم نجد إلا الخمر كأداة لذلك ففي كل مرة أدخل مطار هواري بومدين أحس بالاعتزاز حينا والخزي والعار حينا آخر، فالاعتزاز نابع من كون المطار يشرّف وجه الجزائر، جزائر القرن الواحد والعشرين، أما الخزي والعار فينتابني بمجرد أن أصعد إلى قاعة الانتظار لأستقل الطائرة، وأحيانا أحتاج إلى أن أجّول لأقتل الوقت الذي يقتلني، لكنني فزعت لأول مرة عندما اكتشفت أن في قاعة الانتظار العلوية تباع الخمور ذات الصنع الجزائري (الراقي؟؟؟)، في بلد يدين بالإسلام، وبني ثالث أعظم مسجد في العالم (أنا من وضع تصورا له بأبعاد اقتصادية واجتماعية وثقافية) بعد الحرمين الشريفين، ودستوره (القديم والمعدل) ينص على أن الإسلام دين الدولة، وشعبه يقرأ قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)، ويقرأ أيضا حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (لُعنت الخمر على عشرة أوجه بعَيْنها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها وشاربها وساقيها).

هي السياحة في بلدي، سياحة الخمور الجزائرية الراقية المعروفة عالميا، وعلينا أن نرضي العالم ونقدم له أجودها، بل نضعها في متناوله (حتى يرجعوا إلينا دائما في سياحاتهم) وكأن شعارنا في السياحة يقول: مرحبا بكم في بلد الخمور الراقية...

الأدهى والأمر أنك تصعد الطائرة الجزائرية، فيضيّفونك، بأن يُطعموك ويُسقوك، لكنني أجّرّع المرارة وأحس بالاشمئزاز عندما تمر المضيّفية أو المضيّف بعربة فيها مشروبات حلال ومعها زجاجة خمر من صنع جزائري...آه وألف آه يا بلد العروبة والإسلام...يا بلد العزة والكرامة، ألا تعلم مؤسسة الطيران عندنا أن بيع الخمر وشربه كبيرة من الكبائر، ألا يعلمون أن الذي حرمها هو رب العزة جل وعلا، والعجيب أنك تجد من المسافرين الجزائريين المسلمين من لا يصبر بل يشرب دون حشمة ولا حرمة، غير مكترث ولا محترم لإخوانه المسافرين.

كيف ينظر إلينا الناس من كل أنحاء العالم ومن كل الثقافات، أينظرون إلينا أننا بلد لائيكي، أم إسلامي، أم عربي وبس، أم غربي....من نحن؟؟؟؟ بالله عليكم أخبروني، من نحن؟؟؟؟ أليس هذا المطار هو من يرتاده المعتمرون والحجاج لبيت الله؟؟؟ أليست طائراتنا هي من تنقل الحجاج والمعتمرين إلى البقاع المقدسة؟؟؟ ما هذا التناقض؟ أليس فيكم رجل رشيد؟ أليس فيكم من يقول خافوا الله في هذا الشعب؟ أليس فيكم من يقول طهّروا اقتصاد بلادنا من تجارة وسياحة الخمور، طهّروها من أم الخبائث وكبيرة الكبائر، هل من مجيب؟ هل من مجيب؟

لـماذا ليــس لك هــذا؟

بقلم: محمد الهادي الحسني

لا أعلم من هو أول من أطلق شعار «من أين لك هذا؟» وهو شعار جميل يراد به معرفة مصادر أموال المسلمين -خاصة المسئولين-. أمن حلال هي أم من حرام؟

لقد رفع كثير من حكام المسلمين - عبر تاريخهم - هذا الشعار، ولكن منهم من رفعه صادقا، اجتهد في تطبيقه على نفسه، وعلى أقاربه، وعلى أصحابه؛ وأكثرهم رفعوه - ويرفعونه اليوم - نفاقا يراءون به الناس، ويستغفلونهم، لأنهم لم يعملوا في أثناء حكمهم إلا بعكس هذا الشعار، حيث يستغلون سنوات حكمهم - ومسئوليتهم - لنهب المال العام، والرشوة، وتوزيع الأموال والمشروعات على الأقارب والأصحاب، وتبذيرها في إشباع الشهوات، في الوقت الذي يموت فيه كثير من الناس جوعا، أو يعيشون معيشة ضنكا..إن هؤلاء المسئولين - بمختلف مسئولياتهم ودرجاتها- الذين يتظاهرون بالنزاهة ويفعلون غيرها هم ممن ينطبق عليهم قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ. وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} (البَقَرة 204 206/).

إن الملاحظ في الفترة الأخيرة أن الناس في العالم الإسلامي لم يعودوا يسمعون - مجرد السماع - هذا الشعار، لأن أكثر المسئولين - في مختلف المستويات والمسئوليات - بلغوا من الوقاحة في ممارسة السرقة، والرشوة درَكَة ليس بعدها درَكَة، ولم يعودوا يخشون الله، ولا يستحيون من الناس؛ بل صاروا يجاهرون بما يستولون عليه مما لا حق لهم فيه..

كنت ذات يوم مع الأستاذ عبد الحميد مهري - رحمه الله - وكان معنا صحفي معروف، فقص علينا قصة جزم أنها حقيقية، حيث ذكر أن مجموعة من كبار المسئولين اجتمعوا منذ سنوات خلت، فقال أحد أولئك المسئولين: لابد من رفع شعار «من أين لك هذا؟»، في هذه المرحلة، لنستطيع تجنيد الشعب، لأن الظروف الإقليمية والدولية خطرة، ووطننا مستهدف؛ بسبب مبادئه الثورية، ومواقفه الأصيلة، وثرواته الكثيرة.. والإمبريالية متحفزة ونهمة..سكت ذلك المسئول، ونظر الجمْع بعضهم إلى بعض، وساد صمت لمدة قصيرة.. ثم قطع مسئول آخر ذلك الصمت بنحنحة أزعجت الجمع، وقال: إذا كان صاحبنا قد طلب منا أن نرفع شعار «من أين لك هذا؟»، فأنا أقول إن الشعار الذي يجب أن نرفعه هو «لماذا ليس لك هذا؟».

ارتسمت علامات الاستغراب والتعجب على وجوه الحاضرين، وتبادلوا النظرات فيما بينهم، فلما رأى «صاحبنا» ذلك، تنحنح مرة أخرى، وقال: إن «الفلسفة التي أؤمن بها، وأعمل بها هي أن من لم ينفع نفسه ومن حوله من أقارب وأصحاب لا ينفع غيره...وراح يجادل عن «فلسفته»، ويحاول أن يقنع بها من كان معه في ذلك المجلس...ولن يقتنع بها إلا من سفه نفسه، وغلبت عليه شقوته.

إن ما نقرأه في الجرائد، وما نسمع عنه ونراه من كثير من المسئولين «الكبار» في وطننا، الذين إذا رأيناهم تعجبنا أجسامهم، وإن يقولوا نسمع لأقوالهم، ونصفق لهم، ونتحيز لهم، يجعلنا نجزم أن أصدق شعار يطبقونه هو «لماذا ليس لك هذا؟».

إن آخر ما سمعناه وقرأنا عنه هو هذه الفضيحة التي تولى كبرها بعض «كبار» المسئولين في شركة «سوناطراك»، ولولا الإيطاليون الذين اكتشفوها، وكشفوا أكابر مجرميها ـ هنا وهناك ـ لما سمعنا عنها.

عندما نسمع بعض «كبار» المسئولين عندنا يتحدثون عن التضحية والوطنية، «نحتقر» أنفسنا، و«نشك» في وطنيتنا، لأننا ـ بانخداعنا لهم ـ نحسبهم من «خير القرون» أمانة، وإخلاصا، ولكننا إن اقتربنا منهم سددنا أنوفنا من رائحة الخيانة التي تنبعث منهم، رغم العطور القوية التي يستعملونها لتغطية تلك الرائحة الكريهة.

إنهم ـ لجهلهم ـ يحسبون الأمر هينا، وهو عند الله عظيم، لقد ران على قلوبهم، فلم يعودوا يخجلون مما يكتب عنهم مما يمارسونه من رشاوى وسرقات، وصفقات مغشوشة.

لقد قرأت في كتاب «ذاكرة ملك»، وهو عبارة عن حوار طويل أجراه صحافي فرنسي مع الحسن الثاني، أن الذي يزعجه ـ في وطنه المغرب ـ هو أن الرشوة صارت تمارس على مستوى أبسط الموظفين، لأنه يعلم ممارستها على مستوى الموظفين «الكبار»، وهذا في الغالب هو السائد في العالم العربي.

إن الوظائف كلها ـ من أدناها إلى أعلاها ـ في جميع الميادين هي أمانات يجب على من تولاها أن يؤدي حق الله ـ عز وجل ـ وحقوق عباده فيها، ومن قصر في آدائها، أو استغلها لمآرب خاصة، فقد خان الله، ورسوله، والمؤمنين وهو يعلم. وقد أنبأ «الأمين» رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة، وما أكثر تفريطنا في الأمانات، ولكن المفرطين دركات، كما أن مؤدي الأمانات درجات.

عن "الشروق اليومي" بتاريخ 14 فيفري 2013

لماذا استحال الربيع خريفا...؟

بقلم الأستاذ :محمد العلمي السائحي

قد يتعجب الناس من هذه الاضطرابات التي تجتاح تونس ومصر واليمن، أما سوريا فلا حديث عنها الآن لأن الأوضاع فيها لم تستقر بعد، ولا ندري أي الفريقين ستُحسم المعركة لصالحه، وإن كنا نتوقع أنها هي الأخرى سيقع لها ما وقع لمصر وتونس، وليبيا و اليمن، فهم كانوا يتوقعون من الثورات التي قامت في كل من تونس، ومصر، وليبيا، واليمن، ومؤخرا في سوريا، من أجل إسقاط النظم الاستبدادية، وإرساء نظم ديموقراطية حقيقية، أن تمضي في سبيل تحقيق أهدافها دون أن يعترضها عائق، أو يصدها مانع، متناسين تماما أنه غالبا ما تعترضها عقبات داخلية وأخرى خارجية، تحتاج إلى كثير من الجهد والوقت لتذليلها، والتغلب عليها، وتجاوزها، وما أكثر الثورات التي انحرفت عن مسارها بفعل تلك الموانع التي وقفت في طريقها، وما أقل تلك التي تمكنت من تطويعها والسيطرة عليها، ثم إنهم افترضوا أن كل المنخرطين في الثورة هم على قلب رجل واحد، ناسين أو متناسين أن الثورات قابلة للاختراق، فما أكثر من قفز إلى قطار الثورة قبيل وصوله إلى المحطة الأخيرة بقليل، وما أكثر عناصر المعارضة الخارجية التي انضمت إلى الثورة لاعن اقتناع بها وبأهدافها ولكن امتثالا لأوامر الدول التي منحتهم اللجوء السياسي إليها، علمانيين كانوا أو إسلاميين، كما لم يضعوا في اعتبارهم أن النظم الاستبدادية لا تسقط فعليا بمجرد الإطاحة برؤسائها وحكوماتهم، بل يتطلب الأمر القضاء على الذهنيات التي كونتها، أي أن على هذه الثورات أن تواجه صراعا ثقافيا للتخلص من رواسب تلك النظم الاستبدادية التي تمنع الانسجام وتعيق التناغم، بين قادة الثورة والجهاز الإداري وعامة الشعب، فتلك الرواسب تعتبر من أهم العقبات الداخلية التي تعيق الثورات وتعرقل اندفاعها نحو أهدافها وغاياتها، كما أن هؤلاء المتعجبين لم ينظروا إلى تأثيرات العوامل الخارجية على الثورة ورجالها، فهم لا يقودون ثورة في جزيرة معزولة، وإنما يفعلون ذلك في محيط دولي يؤثر فيهم كما يتأثر بهم، فإذا كانت ثوراتهم لا تنسجم مع نظمه، ولا تلتقي مع مصالحه، لابد أن يتدخل بصيغة مباشرة أو غير مباشرة في شؤونها، دفاعا عن نظمه، ورعاية لمصالحه، وهو في سبيل ذلك لا يتورع عن توظيف الطائفية أو استغلال الدين أو اللعب بورقة الأقليات، أو الاستعانة بالأيديولوجيات، فالمهم عنده هو الوصول إلى ما يريد، ولا ننسى أن من أبرز مرتكزات ثقافتهم السياسية أن: «الغاية تبرر الوسيلة».

وإذن فإن المحيط الدولي إن كانت الثورة قد تجد فيه المؤيد والداعم، فإنها تصادف فيه أحيت أم كرهت المعارض والمعادي والمناهض لها الذي يؤلب عليها الداخل والخارج لإفشالها والقضاء عليها، وذلك لمنعها من إحداث التغيير الذي يرى فيه خطرا يتهدد هيمنته، ويضر بمصالحه مهما كانت تلك المصالح.

ثم على هؤلاء المتعجبين من عدم استقرار الأوضاع في البلاد التي عمها ما يسمى بالربيع العربي، أن ينتبهوا إلى حقيقة هامة، وهي أن التيارات الإسلامية هي التي تصدرت للحكم في معظم هذه البلاد، والغرب يستحيل أن يسمح لتيارات الإسلام السياسي على وجه الخصوص الاستقرار في الحكم، لأن هذه التيارات متشبعة بثقافة مناهضة للفكر الغربي، فضلا عن كونها تطمح إلى النهوض بالعالم العربي والإسلامي من كبوته الحضارية، والتي لولاها لما تمكن الغرب من أن يتخذ منه مركبا ذلولا، فهي إذن من وجهة نظره تشكل خطرا عليه ولذا وجب عليه أن يقاومها ويتصدى لها بكل الوسائل، وفي سبيل ذلك لا بأس أن يتحالف مع بقايا النظام الاستبدادي، وعناصر المعارضة المناهضين إيديولوجيا للإسلاميين، ولا بأس كذلك أن يخترق الأحزاب الإسلامية الحاكمة، ويعمل على تفجيرها من الداخل، عن طريق تأليب البعض على البعض، وضرب هذا بذاك، ولا بأس أن يستغل الأقليات الدينية والعرقية، بل لا يرى بأسا حتى في إثارة الصراعات الحدودية التي قد تُفضي إلى حروب مدمرة تُهلك الحرث والنسل، خدمة لأهدافه وتحقيقا لمطالبه، ومن هنا إذا اعتبرنا تأثيرات هذه العوامل الداخلية والخارجية على ثورات الربيع العربي في المنطقة، عرفنا دون عناء لماذا استحال الربيع خريفا فيها...!!

القرآن والسياسة (03)

بقلم: عبد القادر قلاتي

إذا كانت نظرية الإمامة - كما رأينا في المقال السابق - بهذه الضحالة والضعف، فإن نظرية الخلافة عند السنة، تمتلك من المقدرة المعرفية ما يؤهلها لان تكون نظرية الإسلام في السياسية والحكم؛ لأنها نظرية مفتوحة على تقبل الأفكار الجديدة، وليست مغلقة بنصوص حدية كما هو الشأن في نظرية الإمامة، وما يقوي نظرية الخلافة هو المفهوم الأساسي الذي قامت عليه وهو أن الخليفة يخلف النبي -صلى الله عليه وسلم - في وظيفة الحكم والسلطة ولا يرث نبوته عن طريق الإمامة كما زعمت المقولات الشيعية.

إن نظرية الخلافة كما قررها الفقه السني ونظر لها طويلا، ليست سوى آلية سياسية، يقوم عليها الشأن السياسي للأمة بعد غياب الحاكم الأول وهو سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي قامت دولته على ميراث النبوية، واستمرت على هذا الميراث إلى سقطت في النصف الأول من القرن الماضي.

لقد قرر الفقه السياسي السني في إطار جدله الفكري والقانوني، أن منصب الخلافة، منصب سياسي يقوم على أساس الدين، ولعل الخلاف الذي قام بين السنة -الذين يمثلون متن الإسلام- والفرق الهامشية كالشيعة والخوارج، مصدره هذه الرؤية التي تبناها السنة لمسألة الحكم والسياسة، فلم يلبس الفكر السني نظريته السياسية لبوسا دينيا، وإنما قرر أن يكون الحاكم أو الخليفة من عامة المسلمين، وان الشروط التي يجب أن تتوفر فيه ليست من قبيل القرابة أو القومية، وإنما تحددها الكفائة والأفضلية، وما الجدل الذي دار بين علماء الكلام في جواز إمامة من يوجد في الناس أفضل منه ليس عنا ببعيد، فقد جاء في خضم هذا الجدل الفكري أسئلة من قبيل، من أحق بالإمامة، هل هو الأفضل أو المفضول؟، وهل هو الأحسن خلقا وعلما وسيرة؟ أم هو الأكفأ في القدرة وتسير الأمور.ولم يتجاوز هذا الجدل الفكري والمعرفي هذه الأسئلة حول الشروط التي يجب أن تتوفر في الحاكم من ناحية الكفاءة الذاتية.

كما يقوم منصب الخلافة النبوية على أساس المسؤولية المشتركة والرعاية الكاملة بين الحاكم والمحكوم لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، وقوله أيضا: «إن الله يرضى لكم ثلاث: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم»، إلا أن المهم في نظرية الخلافة في الفكر الإسلامي السني، هو ذلك الأساس الذي لا تتم فيه عملية تنصيب الحاكم، أو الخليفة إلا به، ألا وهو مبدأ الشورى الذي يعطي لهذه النظرية ما يجعلها قوية أمام ما يصدر من نقد للفكر السياسي الإسلامي، لأن هذا المبدأ لا يمكن تجاوزه في مسألة خطيرة كمسألة الحكم والسياسة، والنص في القرآن الكريم واضح الدلالة، فلا يمكن لأي تأويل أن يخرجه عن سياقه اللغوي، يقول الله تعالى: «وأمرهم شورى بينهم»، ويقول أيضا: «وشاورهم في الأمر»، فهل هنا أمر أكبر وأخطر من موضوع الحكم والسياسة.

يؤسس التيار العلماني نقده لنظرية الخلافة انطلاقة من الشرط الذي جعله بعض الفقهاء إلزاميا في اختيار الحاكم، وهو الانتماء إلى قريش، ويرى هذا الرأي أن القرشية شرط في الخليفة الذي يتولى أمر المسلمين، لكن هذا الشرط لم يصمد طويلا في عملية اختيار الحاكم، ليتم التنازل عنه بعد أن انتقلت الخلافة من العرب إلى العجم، وهو ما يستقيم مع الرؤية التأسيسة لنظرية الحكم عندنا، التي تجعل مسألة الحكم سياسية وليست دينية أو قومية، فما قرره الفقه السياسي من اشتراط الكفاءة هو الأقرب إلى روح الدين والأقرب إلى التصور الإسلامي لهذه المسألة الخطيرة. بقي أن نقول أن دفاعنا عن هذه النظرية، ليس من قبيل التقديس للموروث، والتعصب للطائفة، ولكن ما قدم من نقد لهذه النظرية، لا يملك أن يصمد أمام ما حققته هذه النظرية للأمة عبر التاريخ، وإن كنا نقر بصعوبة تطبيقها في ظل الوضع المزري الذي تعيشه أمتنا العربية والإسلامية، كما نقر بأن تطوير هذه النظرية لتستقيم مع معطيات العصر ضرورة يفرضها التطور الهائل في الفكر السياسي المعاصر.

guellatiabdelkader@gmail.com

تعزية

يقدم الأستاذ عبد الحميد عبدوس، أصالة عن نفسه، ونيابة عن كل أفراد أسرته، أصدق التعازي وخالص المواساة إلى الحاج الدكتور **الطيب ينون** رئيس حزب الجبهة الجزائرية للتنمية والعدالة والحرية، الذي رزئ يوم الأربعاء الماضي 13 فيفري 2013 في وفاة **والدته الحاجة «الزهرة»**، والتي وري جثمانها الطاهر الثرى في مقبرة القطار بالجزائر العاصمة، يوم الخميس 14 فيفري 2013 بحضور جمع غفير من الأهل والأقارب.

وبهذه المناسبة الأليمة نتوجه إلى الله العلي القدير بخالص الدعاء أن ينزل شآبيب رحمته على روح الفقيدة، ويتغمدها بواسع مغفرته ورضوانه، وأن يسكنها أعالي الجنان، ويلهم ولدها وبناتها وأحفادها وحفيداتها وذويها وأقاربها، جميل الصبر، وأن يكرمهم بجزيل الأجر.

إنا لله وإنا إليه راجعون

نظـرات مشـرقة

لقاء مع تلاميذ الامتياز

بقلم: الأستاذة عفاف عنيبة

منذ أشهر التقيت بتلاميذ قسم نهائي امتياز، وعندما أجريت حوارا معهم، توصلنا إلى حقيقة أن المنظومة التربوية عقدت كثيرا عملية تنظيم برنامج عمل التلميذ بشكل عام.

فهم في مرحلة ما من الدراسة يدركون أنهم في حاجة إلى أن يضبطوا يومهم، وقد أدركت قيمة ذلك باكرا جدا، وأنا بعد في طور الابتدائي، وقد شاءت الأقدار أن أدرّس السنوات الأخيرة من الطور الأول في إندونيسيا، وقد طبقت والدتي الكريمة -حفظها الله- برنامجا تعليميا أتاح لي استغلال وقت فراغي خير استغلال. كنت أجهل ما معنى الفراغ، وهذا ما كنا نود نقله إلى أبنائنا باكرا وليس في طور متأخر من التعليم، لا ينفع تعليم قيمة الوقت لتلاميذ في مستوى البكالوريا، وكيف لهم توظيفه ليتقدموا في مشوارهم الدراسي الطويل.

وهل نعلمهم حقا ذلك؟ لا أظن، لأننا نرى كيف أن المراهق في الخامسة عشر لا يدري كيف يتعامل مع ساعات النشاط المتاحة له يوميا، يجهل طفلنا كل شيء عن الوقت، بل يتعاطى معه وكأنه معطى لا نهائي، يستبيحه كيفما شاء بدون محاسبة أو مراقبة.

وهذا ما يجعلني في حالة تذكير دائمة وأنا أخاطب التلاميذ: «ينبغي أن تفهموا جيدا أن كل ساعة تمضي سدى غير قابلة للتعويض، وأن الوقت لن يسايركم إلى الأبد، وعليكم باستغلال كل الوسائل المتاحة لضبط برنامج عمل واجتهاد يعينكم على قطع أشواط هامة في مسيرتكم، فلا تستهينوا بهذه المسألة!».

تساهم عوامل كثيرة في تشتيت انتباه وطاقة التلميذ، وأول ما نلاحظه هو عدم اكتراث الأسرة والمدرسة على السواء بهمامهم، كتحفيز الطفل وتعليمه اعتماد خطة عمل لبلوغ هدفه، ولا ينبغي التركيز على النجاح، مهملين جانبا مهما جدا في عملية طلب العلم، فالطفل الذي يلتحق بالمدرسة وهو في الخامسة من عمره؛ يوم تخرجه من الجامعة وهو في الثانية والعشرين عليه أن يكون خلاصة تكوين روحي وعلمي، ماذا نقول عن طلبة يقال لهم ذلك وهم أبعد عن النضج والوعي اللازمين؟

ماذا نقول عن تلاميذ لا يهذبهم التعليم، ولا يضيف لهم، ولا يجهزهم للمستقبل وتحدياته؟ ماذا نقول عن أسر كل ما تعرفه عن التربية والتعليم الشهادة التي تخول ابنها مساعدة أبيه في تحمل تكاليف الحياة؟

المدرسة التي تخرج لنا فردا ضعيفا، ضائعا، لا هدف له، ولا انتماء، كيف لا نعيد النظر في مناهجها التعليمية؟

كيف لم تخضع بعد المنظومة التربوية إلى عملية تقويم شاملة بعد كل هذه السنين من التطبيق؟

ouneibafaf@gmail.com

إن الإجراءات الأسلوبية التي أنجزتها وزارة الإسكان والعمران، باستعمال «الإنترنت» في الاتصال بالمواطنين الذين كانوا قدموا مطالبهم للسكن لدى وكالة «عدل» منذ عشر سنوات فما فوق، جاءت واضحة، وبالصورة العملية في ميدان التعامل مع صعوبات الإدارة والموظفين فيها، إنها إجراءات تحقق في المقام الأول أمرين اثنين هامين:

بقلم: الأستاذ إبراهيم قمور

مطالب السكن بين المتقدمين والمتأخرين

* الأمر الأول: إعادة الثقة المفقودة في المصالح السكنية، والتي عبثت بها تصرفات خاطئة، كيف وقع ذلك؟ في الإجابة عن هذا السؤال؛ نذكر أنه من طبيعة الأشياء العادية أن يحصل المستيقظ باكرا والمجتهد في البحث على الوظيفة أو الاستفادة المعروضة قبل غيره من يصلون متأخرين ويأتون متباطئين، ومعنى هذا أن الشركة أو المؤسسة أو الوكالة مثل «عدل» لما تنشر إعلانا تبحث من خلاله عن عامل -ما- فإن الذي يصل الأول أو يحضر باكرا هو الذي يظفر بذلك العمل الوظيفي، وكذلك يكون الشأن في الاستفادة، وربما يحدث هذا عكس ما يقع عندنا ويتحدث به الناس علانية في لقاءاتهم، من أن الحاضر المتأخر هو الفائز بتلك الوظيفة أو الاستفادة المعلن عنها، ولعله الحظ! ويظهر أن مصلحة السكن في وكالة «عدل» قد اتبعت هذا المنهج مثل غيرها، في إسناد السكنات إلى المطالبين، فأسكنت عددا كبيرا من المتأخرين في تقديم المطالب على السابقين في تقديمها، وهذا التصرف كيفما تكن أسبابه المرئية والخفية، قد جعل ثقة أغلب المواطنين تنهار ثم تنفتح أمامهم طريق الإحباط والشكوى والاحتجاج، وهذا الموقف شديد القسوة وعميق الألم، لأنه يقود إلى الشك في إنصاف المحتاجين، حقا وصدقا، من أي مشروع اجتماعي يأتي ليحقق تخفيف معاناة الذين يقدمون المطالب من وراء المطالب وينتظرون نصيبهم، ولابد لنجاح هذه الإجراءات الجديدة، التي تمتاز بالضبط، من ثقة قوية تعيد للنفوس المقدار اللازم من الهدوء والاطمئنان على أن التصرف الجديد محاط بالعناية الصادقة، وأن ظاهرة تسبيق المتأخر، وتقديم صاحب الحيلة، قد ذهبت وانتهى تأثيرها وهي الظاهرة التي توشك أن تدفع الضعفاء إلى اليأس.

* الأمر الثاني: أنه في هذه الإجراءات استرجاع هيبة العدالة في الشؤون الاجتماعية، بعد أن كانت قد انهدمت وتمزقت أطرافها، ولعبت بعظامها طائفة من العاملين الذين يتظاهرون بالاجتهاد في الفراغ من غير أن ينجزوا شيئا، ما عدا تخطيم الآمال وتخريب النوايا، ودفع المواطنين على اختلاف فئاتهم إلى الشك والإحباط، والاستهزاء بعبارة «المواطنة»، والسخرية من عبارة العدالة الاجتماعية.

ومن الواضح أن عناصر عاملة في مصالح السكن، وخاصة وكالة «عدل» لا يعجبها هذا الأسلوب الجديد، في الاتصال بأصحاب المطالب عن طريق «الإنترنت» الذي لجأت إليه وزارة السكن والعمران من باب الحرص على النظافة في التسيير، وذلك لأن بعض تلك العناصر تعوّدوا على «التغماس» في عسل الشقق، والمحال التجارية، وقطع الأرض، والأملاك العمومية عامة، تحت شعارات براقة مزينة في ظاهرها، وتنطلق جميعها إلى الكسب والثراء بالحيلة على حساب حقوق الآخرين، ومن دون تعب أو مشقة، وما أكثر هؤلاء الذين لا يرضيهم ولا يريحهم الضبط والشفافية ومحاولات تغطية المشكلات بأستار وهمية من العدالة في المسائل الاجتماعية، لأن النحل ينقطع يومئذ عن إنتاج العسل!

لكن المعذبين مع مشكلات السكن، والذين ألفوا تقديم المطالب ثم يميلون إلى الصبر وانتظار الإجابة، يفرحون وتهدأ نفوسهم حينما يرون السعي الحثيث والإجراء الجديد السليم الذي جاء لأجل ترميم بنيان الثقة وتصحيح جدران صرح العدالة في الشؤون الاجتماعية.

والمؤكد أنه لابد للنجاح في المشاريع ذات الطابع النافع العام، من وجود الرائحة العطرة للعدالة التي تفتح الطريق واسعا أمام المشتكي ليصل إلى سامعه، وأمام المظلوم والمحقور ليصل إلى من بيديه رفع الظلم والحقرة، ومن مظاهر هذه الرائحة العطرة مراعاة الأسبقية، وتقدير أوضاع السابقين واللاحقين في تقديم المطالب للعمل أو السكن أيضا، أو غيرهما.. وليس من السهل إعادة الثقة إلى النفوس مع الإدارة، وليس من اليسير إرجاع الاطمئنان إلى السلوك في الإدارة، بعد أن أكلته الحيل والانحرافات من كل نوع، بما فيها التزوير والغش، الأمر الذي قاد -ويقود- إلى أسبقية المتأخرين على المتقدمين، بسبب المصالح التي طغت على كل ترتيب فيه وضوح وعدل، مع أن الحق والعدالة يقتضيان الترتيب العقلي والأخلاقي والعدلي.

لنحافظ على سمعة الجزائر بإعلام راق...

بقلم:
الأستاذ عبد الباقي صلاي *

هل يكفي الحديث والبكاء على الإعلام في الجزائر من قبل من يدعون الانتماء إليه سواء صدقا أو كذبا وافتراء، حتى نقول بأننا فعليا نرغب في التمكين لإعلام متوازن وإعلام راق يساير الرقي والحضارة، والسؤدد، ويرفع من قيمة الفرد كيفما كان موضعه الثقافي، ويتمتع بمصداقية كبيرة لا تشوبها شائبة ولا يخالطها شك أو ريبة، وهل يكفي أن نسن ترسانة من القوانين لنضمن على الساحة الإعلامية إعلاما قويا يتطلع إليه الناس ضامنين الاستفادة من هذا الإعلام على مستوى معاشنا ومستوى تفكيرنا لا ابتذال فيه من حيث المادة الإعلامية التي تقدم للناس، ولا شطط فيه من حيث الرسالة التي يود إيصالها للأمة بكل أطيافها المفاهيمية؟.

أظن أن الإجابة على مثل هذه الأسئلة في الوقت الراهن تمتاز بالضبابية كما تمتاز بالسطحية إن لم أقل تمتاز بالتهريج والارتجالية أكثر مما تمتاز بالصدقية والتخطيط المحكم والحكيم، لأن الإعلام في الجزائر بكل تفرعاته اليوم هو جزء من منظومة فكرية مشوشة تكاد تكون مقصودة ليبقى الحال على ما هو عليه ويبقى المستفيدون من ريع الإشهار يبحثون عن مادة فقط تبقيهم لصيقين بهذا الريع الإشهاري دون الالتفات للمهنية ومستقبلها على المجتمع برمته.

والسؤال الجوهري يوجه بشكل مباشر للمسؤولين عن هذا القطاع الحساس، وعلى رأسهم وزارة الإعلام والاتصال، أين هو الإعلام الحقيقي الذي يجب أن يرقى بالناس لا أن يهبط بهم إلى أسفل السافلين، أين هو الإعلام الحضاري الذي يؤسس لمنظومة فكرية متجانسة تتحسس الخطر قبل وقوعه، وتدرك مكامن الشر من مكامن الخير، ويغرس في ذات الوقت حب الجزائر في قلوب الناس، فلا أظن أن وزارة الإعلام والاتصال تدري أن الناس من قراءتها لأغلب الصحف اليومية تصاب بالإحباط وتلعن يومها، وتتمنى ألا يكون صبح إذا كان ما تقوله هذه الصحف هو ما يجري في الجزائر، خصوصا تلك الأخبار التي أغلبها مغلوطة وتتحدث عن أشياء غريبة جدا عن مجتمعنا،كحالة الاغتصاب وزنا المحارم وقتل شاب لأمه، وقتل أب لابنه، وشيخ يسكر في المسجد، وهذا كله من أجل تسويد الصحيفة، ولا يهم تداعيات هذه الأخبار فيما بعد على النسيج المجتمعي للجزائريين!.

لست أدري صراحة لماذا المسؤولون عن هذا القطاع لا ينظرون إلى ما تحويه هذه الصحف من أخبار تخص بالأساس المجتمع، ولماذا يتم التغاضي عن مثل هذه الأخبار التي أضحت مع مرور الوقت شيئا مألوفا لدى القارئ وأصبحت مثل هذه الأخبار في الوعي الجمعي للمجتمع شيئا غير مخل بالتركيبة المجتمعية فيما معناه أصبحت شيئا عاديا جدا لدى الكثيرين ممن يقرؤون هذه الأخبار بل أصبحت هذه الأخيرة مسلية بالنسبة إليهم، دون أن يعلموا أن هذا يؤثر في الحالة النفسية ليس فقط على مستو ى يوميات المواطن ولكن على مستقبل الأجيال برمتها، لأنه من غير المنطقي أن يكون الجزائريون بالحالة التي تقول بها بعض الصحف أنهم مجرمون ولا يوجد شيء جميل في حياتهم.

لقد حاولت أن أفهم لماذا السلطات المعنية بالأخبار لا يعنيها ما تنشره هذه الصحف التي يصدق عليها أنها فعلا صحف صفراء، لا تمثل إلا السذاجة الفكرية والإثارة القميئة والبلبلة الفكرية، فهل هي عملية مقصودة لذاتها أم أن الأمر أصبح يتجاوز وزارة الإعلام والاتصال بقضها وقضيضها!.

لأنه من غير الأخلاقي البتة أن يترك الحبل على الغارب لتعيث هذه الصحف الصفراء فسادا في المجتمع باسم حرية تناول المعلومة ونشرها،- ولا ندري هل هي معلومات صحيحة أم هي معلومات مغلوطة الغرض منها ملء الصحيفة بالأخبار وبيعها-. ومن غير الأخلاقي أن يتم التحفظ على الأخبار الأمنية كنوع من الضرورة القصوى لما تفكر فيه السلطة الفعلية، ويتم السماح لمثل هذه الصحف لتنشر الترويع في أوساط المجتمع من جهة أخرى، فهل من الأخلاق ومن المهنية الإعلامية أن نكتب يوميا عن زنا المحارم في مجتمع محافظ- حتى لو فرضا هي أخبار صحيحة لا يجوز من حيث أنها أخبار غير لائقة نذكرها فهناك جهات مختصة تناول هذه المواضيع وتتكفل بحلها- ونشجع على ترويج أخبار القتل بدون أي غرض سوى فقط الإلهاء وكسر التفكير.

هناك مقولة يتداولها من يشتغلون في الوسط الإعلامي هي أن الجمهور يريد التسلية من جانب الإعلام، وعليه يجب توفير هذا الجانب حتى تباع الجرائد، وحتى يأتيهم الإشهار، ولا بأس إن كانت هذه التسلية في قالب أخبار القتل والتقتيل ونسج قصص من الخيال، حتى أن من يزور الجزائر من الأجانب عندما يقرأ أخبار الاغتصاب، وأخبار القتل العائلي يظن أن الجزائر بطولها وعرضها لا تصلح حتى للإقامة فيها أسبوعا ناهيك عن العيش فيها!.

رسالتنا نوجهها لمعالي وزير الإعلام والاتصال ليضع حدا لمثل هذه الترّهات الصحفية، ويضع خطة مع وجهاء المجتمع لمدارسة مثل هذه الأخبار التي أصبحت تسيء للجزائر ولسمعة الجزائر في الداخل والخارج، وأضحت مع مرور الوقت قنبلة فعلية تنفجر في أي لحظة في وجه المجتمع وستخلف كوارث لا تحمد عقباها، لأن التمادي في نشر مثل هذه الأخبار التي من المؤكد أنها أخبار مغلوطة ولا أساس لها من الصحة، سوف يعطي انطباعا قويا بأن وزارة الإعلام والاتصال، إما لا علم لها بما يجري أو أنها تعلم ولم تتحرك لغرض لا نعلمه، فنرجو لو أنها تعلم بذلك أن تخبرنا إنها تعلم حتى نطمئن، لأننا صراحة لم نعد مطمئنين على مستقبل الجزائر من جانب هذا الإعلام المبتذل وهذه الصحف الصفراء التي تحاول أن ترسم الخارطة الإعلامية على مزاجها الموبوء.

إعلامي ومخرج أفلام وثائقية

ندوة «الربيع العربي» إفرازات المحيط وإكراهات الواقع

بقلم الأستاذ : محمد مصطفى حابس

في الوقت الذي يجمع فيه وزير خارجية فرنسا المعارضة السورية في باريس حول طاولة المفاوضات، للإطاحة بالنظام السوري و توقيف شلال الدم، نظمت في سويسرا عدة منظمات سورية ودولية ومدافعة عن حقوق الإنسان، من بينها المعهد الاسكندنافي لحقوق الإنسان ومنتدى حوران للمواطنة واللجنة العربية لحقوق الإنسان، مؤتمرا في جنيف ما بين 28 و 29 يناير 2013، تحت شعار «من أجل سوريا ديمقراطية ودولة مدنية»، وحضر نحو مئتي شخصية سورية وعربية وأجنبية من بينهم معارضون سياسيون وباحثون ومختصون بالشأن السوري من 36 دولة عربية وأجنبية. ويهدف المؤتمر، حسب المنظمين لـ «تشجيع حوار حقيقي بين الهيئات الديمقراطية للمعارضة السورية، لمناقشة، وبشكل مفتوح، مسائل العنف وتأثيراته وأخطار الانشقاقات العرقية، وعن تصور المشروع الديمقراطي المستقبلي في سوريا، كما يرغب المشاركون في هذا المؤتمر، من أحزاب سياسية ومنظمات حقوقية ومدنية، من الداخل وفي المهجر، في الخروج بتصور واضح حول برنامج انتقالي عملي، يقود نحو إقامة دولة مدنية ديمقراطية في سوريا.

وقد انطلقت أشغال المؤتمر صباح الاثنين 28 يناير في فندق «ستارلينغ» (بجوار مطار جنيف الدولي)، بحيث أوضح الدكتور هيثم مناع رئيس المؤتمر، في كلمته الافتتاحية أن هذا المؤتمر يهدف لوقف العنف باعتباره العلة القاتلة للمشروع الديمقراطي. كما أشار إلى أن واحداً من مهام المؤتمر هو توضيح التخوم بين المشروع المدني الديمقراطي السلمي وأي شكل من أشكال الصراع المسلح والتعبئة الطائفية والتبعية السياسية والمالية.

من جهته أكّد الرئيس التونسي المنصف المرزوقي في كلمة له ألقاها بالنيابة عنه الناطق باسم الرئاسة التونسية،الأستاذ عدنان منصر؛ على بناء الدولة المدنية الديمقراطية، وشدد على ضرورة توحّد المعارضة السورية، فيما رأى قيس العزاوي سفير العراق في الجامعة العربية أن المؤتمر هو خطوة بالاتجاه الصحيح في ظل وضع إنساني سيئ تعاني منه سوريا . كما أشار إلى دعم العراق لكل الحلول السياسية التي طرحت سابقاً لوقف العنف في اليوم الأول نوقشت مواضيع متعددة منها، تحليل المخاطر الكبرى على المشروع الديمقراطي، وذلك باستعراض نظرة الدولة المدنية لظاهرة الطائفية ومسؤولية السلطة الديكتاتورية في توليد العنف، ومدى تأثير الحركات الإسلامية على المشروع الديمقراطي، وكيفية انعكاس مبادئ حقوق الإنسان في بيانات المعارضة المسلحة، ومدى وجود مخاطر على الأقليات الدينية في سوريا، فيما أسهب السيد ناصر الغزالي، كما هو حال غلاة الفرنكوفونية في الحدي عن الدولة الدينية والدولة المدنية كما لو كان الموضوع الأول اليوم للسوريين، واستطرد في البحث والتدليل على الأصول الفكرية للعنف بقوله أن العنف الإسلامي جاء من مصر عن طريق حسن البنا وسيد قطب، وأوغل في جلد الذات بعده الشيخ رياض درار بورقة بعنوان «الحركة الإسلامية المسلحة والآفاق الديمقراطية في سوريا»، بقوله أن الناشطين الاسلامين في سوريا بتشددهم ضد الحل الديمقراطي يساهمون في تأخر الإسلام، وأن الفكر التكفيري جاء به مؤسسو الإخوان وعلى رأسهم سيد قطب ثم حسن البنا..

وإيجاد حل سياسي في سوريا، وأعرب عن أمله بإيجاد مثل هذا الحل دون تدخل خارجي ودون المزيد من إراقة الدماء، ودعا إلى حوار وطني لا يستثني أحداً، وأن يخرج هذا المؤتمر بتصورات تُسهم بوضع حد لمأساة السوريين. ثم فتح المجال للمحاضرين والمتدخلين، علما أن ما يربو عن ستين شخصية من سوريا و دول عربية تعذر حضورها، وقال المنضمون أن السبب يعود لرفض سويسرا منحهم تأشيرات الدخول.

أما اليوم الثاني، خصص لجلستين: الأولى، حول حماية المشروع الديمقراطي بإثارة موضوع المصالحة والمحاسبة وكيفية مراعاة الحقوق القومية في المشروع الديمقراطي وكيفية إعادة البناء والتنمية، ومدى تأثير العنف والطائفية في الخطاب الإعلامي. وفرص الحل السياسي، وخلص المؤتمر ببيان مقتضب تحت عنوان «بيان جنيف»، جاء فيه على الخصوص:

انطلاقا من الإيمان العميق بضرورة حماية سوريا أرضا وشعبا، وفي مواجهة مخاطر تدمير اللحمة الوطنية الناجّة عن النظام الديكتاتوري الفاسد على مدى عقود متتابعة.

يأتي اجتماع فعاليات وشخصيات وطنية ديمقراطية من اجل إنقاذ سوريا من الحالة الكارثية، ووضعها على الطريق الآمن من خلال توحيد القوى المجتمعية على أساس الديمقراطية والتعددية والمساواة وكسب تأييد كل القوى الخارجية العربية والدولية المساندة لمطالب الشعب السوري المحقة في إسقاط النظام الديكتاتوري بما يضمن إقامة الدولة المدنية الديمقراطية منطلقا من المهام التالية:

-1 اعتبار اتفاق جنيف الدولي أساسا صالحا للتنفيذ وفي مقدمته إيقاف متزامن للعنف.

-2 العمل على إقامة عملية سياسية عبر التفاوض بين المعارضة والسلطة لتنفيذ بيان جنيف الدولي من أجل إصدار إعلان دستوري تتشكل على أساسه حكومة كاملة الصلاحيات لإدارة المرحلة والعمل على إجراء انتخابات تشريعية ورئاسية نزيهة بإشراف دولي.

-3 الدعوة إلى عقد مؤتمر جنيف الدولي الثاني بحيث يأخذ بعين الاعتبار المستجدات الميدانية ومتطلباتها ويضع آليات ملزمة بنتائج التفاوض من مجلس الأمن وفق الفصل السادس

-4 القيام بأعمال الإغاثة الفورية والعمل على إعادة الحياة إلى طبيعتها لجميع السوريين اللاجئين والنازحين وإعادتهم بتأمين الإيواء المناسب لهم داخل الوطن ومعالجة الجرحى وتعويض المتضررين وإعادة المؤسسات التعليمية والصحية والمباشرة بإعادة الإعمار.

-5 الالتزام بوحدة سوريا شعبا وأرضا وعلى المساواة الكاملة بين جميع السوريين، وإقامة نظام سياسي يحترم حقوق الإنسان والشعوب والحريات العامة حسب المواثيق الدولية والدخول إلى مجتمع الحداثة والمعاصرة، مجتمع المواطنة المتساوية.

-6 من أجل تفعيل ما اتفق عليه اتفق المجتمعون على تشكيل لجنتين:

ألجنة هدفها إقامة القطب الديمقراطي المدني في سوريا والتواصل مع قوى المعارضة السورية بكافة أطيافها.

بلجنة هدفها التواصل والتنسيق مع الجماعة الدولية والمجتمع المدني العالمي فيما يساعد على تحقيق أهداف الثورة السورية في الحرية والكرامة والسيادة الكاملة.

الربيع العربي و جدلية الاستبداد والثورة الاجتماعية.

وعلى هامش هذه الندوة السورية، نظمت ندوة موسعة حول الربيع العربي عموما إفرازاته في الواقع والأفاق شارك فيها نخبة من الدارسين والإعلاميين، وكان نصيب كاتب هذه السطور، قراءة مقتضبة وخلاصات في جدلية الاستبداد والثورة، وهي عبارة عن تلخيص لتوصيات ندوة بعنوان: «جدلية الاستبداد والثورة الاجتماعية (تونس ومصر نموذجا)، التي نظمها «منتدى الدراسات الحضارية السننية» منذ سنتين خلت تحديدا، أيام -27-25-22-20 29 من شهر جانفي 2011، حول التحولات السياسية الضخمة التي حدثت في المجتمع التونسي والمصري، وتناولت الموضوعات التالية: الاستبداد والثورة/ آفاق الثورة الاجتماعية/ إشكالية الالتفاف على الثورات.

وكان قد أشرف عليها المفكر الجزائري، الدكتور الطيب برغوث - (الذي استضافته البصائر في حوار شامل في شهر أكتوبر 2012، عددي 620 و622) - رئيس المنتدى وأعضاء المجلس العلمي للمنتدى بحضور عدد معتبر من المثقفين والمهتمين بهموم النهضة الحضارية للأمة، من مختلف القارات، ساهم الكثير منهم بتدخلاتهم، في إثراء الندوة التي توصلت إلى جملة من الخلاصات الفكرية والمنهجية.

رسالة من المدينة المنورة (3)

الدكتور يحي بكلي الجزائري*

لجمعية أسسّت على التقوى من أوّل يوم أحق أن تنشط فيها...

بمناسبة ملاحظتنا للنشاط الهادئ والمتزن والواعد لفروع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في سياق اجتماعي سياسي يتسم بالرداءة وهبوط المستوى الأخلاقي والفكري العام للأمة الجزائرية وتردي القيم في المجتمع إلى أسوأ مما كان عليه في العقد الأول من القرن الماضي، ولكن بالرغم من ذلك لا تزال بعض القيم تناضل وترفض السقوط كلّية وذلك من خلال جهود جمعيات مباركة مثل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأخواتها من الجمعيات الخيرية والاجتماعية المتناثرة هنا وهناك في ربوع الجزائر الشاسعة، هذا العمل الخيري والإصلاح الذي جرت سنّة الله في خلقه أن تبقى جذوته مشتعلة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..غير أن هذا العمل الإصلاحي يحتاج إلى رجال من طينة خاصة، من المدينة المنورة أقول لكل الجزائريين العاملين في الحقل الإسلامي لقد فرطتم في كل المكتسبات فرجاء لا تفرّطوا في جمعية العلماء فهي كلّ ما تبقى للجزائر المسكينة..أرجو من كل من يشتغل مع الجمعية أن يتقي الله ويكون مخلصا في عمله ولا يتسلق بها المناصب والمكاسب الدنيوية، إلى كل الطموحين السياسيين وهم كثر في الجزائر، وبالذات من الإسلاميين، أتوسل إليكم لا تجعلوا جمعية العلماء مطيّة لطموحاتكم..قراءنا الأفاضل تعلمون جيدا أنّ بذرة الجمعية تأسست في المدينة المنورة ولذلك أقول إنّ المدينة المنورة ساهمت في استقلال الجزائر عن الاستعمار الفرنسي، باعتبار أنّ جهاد جمعية العلماء كان الأساس الذي هيأ لنجاح الثورة الجزائرية المباركة، كان ذلك أثر سلسلة لقاءات كان يعقدها الإمام ابن باديس والشيخ الإبراهيمي رحمة الله عليهما في دار هذا الأخير بالمدينة كل يوم من بعد صلاة العشاء إلى صلاة الفجر في العام الذي حج فيه الإمام إلى البقاع المقدسة عام 1913، ولصدق الرجلين بارك الله في مشروعهما وهاهي تبعث من جديد وأمامها مستقبل زاهر بإذن الله... لجمعيةٌ أسِـسّتْ على التقوى من أوّل يوم أحقّ أن تنشط فيها بتقوى من الله والله يحبّ المتّـقين. في المسجد النبوي ما لا يقل عن ثماني كراسي يجلس عليها علماء أجلاّء تتشكل حولهم حلقات الطلاب من مختلف الأعمار والأجناس والمستويات. وتتنوع الحلقات من حيث تخصصها؛ ففيها حلقات للتفسير وعلوم القرآن وأخرى لعلوم الحديث وأخرى للفقه وأخرى للعقيدة وأخرى للوعظ والإفتاء، يضاف إليها عشرات من حلق تحفيظ القرآن موجّهة لكبار السنّ يتولاها مشايخ مجازون في القراءات، أمّا الصغار والبراعم فتخصص لهم القاعة الكبيرة بباب الملك فهد، والمجهّزة بأحدث أساليب العرض، لتلقينهم مخارج الحروف، ومثل ذلك كلّه في جناح النساء، ولكم أن تتخيّلوا منظر جميع هذه الحلقات وهي تشتغل في نفس الوقت من بعد صلاة الفجر إلى ما بعد صلاة العشاء، والله ينتابك شعور النحلة المخضوضة، بيئة تجعلك تشتاق إلى الرباط في المسجد، فوقتك ثمين كله علم وفائدة وأجر كبير وكلّ شيء فيه يحفزك على إحياء هذه السنّة المهجورة، فإلى إخواني بالجزائر الذين يشكون عزوف الناس عن الرباط أهدي اللقطات الرائعة التي تنسجها حلق العلم بالمسجد النبوي كما كانت تنسج أيضا في جوامع الأزهر الشريف والزيتونة، ووالله لقد رأيت في بعض مدن الجزائر مساجد أرشّحها أن تلعب هذا الدور..فهل من ملتقط للفكرة؟

المدينة المنورة 1 ربيع الأول 1434 هـ

* أستاذ بجامعة طيبة/ المدينة المنورة

لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها

محمد البشير الإبراهيمي

هذا العنوان جملة إن لم تكن من كلام النبوة فإن عليها مسحة من النبوة، ولمحة من روحها، وومضة من إشراقها.

والأمة المشار إليها في هذه الجملة أمة محمد، صلى الله عليه وآله وسلم، وصلاح أول هذه الأمة شيء ضربت به الأمثال، وقدمت عليه البراهين، وقام غائبه مقام العيان، وخلدته بطون التاريخ، واعترف به الموافق والمخالف، ولهج به الراضي والساخط، وسجلته الأرض والسماء، فلو نطقت به الأرض لأخبرت أنها لم تشهد منذ دحدحها الله أمة أقوم على الحق وأهدى به من أول هذه الأمة، ولم تشهد منذ دحدحها مجموعة من بني آدم اتحدت سرائرها وظواهرها على الخير مثل أول هذه الأمة، ولم تشهد منذ دحدحها الله قوماً بدؤوا في إقامة قانون العدل بأنفسهم، وفي إقامة شرعة الإحسان بغيرهم مثل أول هذه الأمة، ولم تشهد منذ أنزل الله إليها آدم وعمرها بذريته مثالاً صحيحاً للإنسانية الكاملة حتى شهدته في أول هذه الأمة، ولم تشهد أمة وحدت الله فاتحدت قواها على الخير قبل هذه الطبقة الأولى من هذه الأمة.

هذه شهادة الأرض تؤديها صامتة فيكون صمتها أبلغ في الدلالة من نطق جميع الناطقين، ثم يشرحها الواقع، ويفسرها العيان الذي تحجبه بضعة عشر قرناً، بل إن هذه الأمة استقامت في مراحلها الأولى على هدي القرآن، وعلى هدي من أنزل على قلبه القرآن فبينه بالأمانة، وبلغه بالأمانة، وحكم به بالأمانة، وحكمه في النفوس بالأمانة، وعلم وزكى بالأمانة، ونصبه ميزاناً بين أهواء النفوس، وفرقاناً بين الحق والباطل، وحداً لطغيان الغرائز، وسداً بين الوحدانية والشرك، فكان أول هذه الأمة يحكمونه في أنفسهم، ويقفون عند حدوده، ويَزنون به حتى الخواطر والاختلاجات، ويردون إليه كل ما يختلف فيه الرأي، أو يشذ فيه التفكير، أو يزيغ فيه العقل، أو تجمح فيه الغريزة، أو يطغى فيه مطغى النفس.

فالذي صلح به أول هذه الأمة حتى أصبح سلفاً صالحاً هو هذا القرآن الذي وصفه منزِّله بأنه إمام، وأنه موعظة، وأنه نور، وأنه بينات، وأنه برهان، وأنه بيان، وأنه هدى، وأنه فرقان، وأنه رحمة، وأنه شفاء لما في الصدور، وأنه يهدي للتي هي أقوم، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه قول فصل وما هو بالهزل.

ووصفه من أنزل على قلبه، محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وآله وسلم، بأنه لا يخلق جديده، ولا يبلى على الترداد، ولا تنقضي عجائبه، وبأن فيه نبأ من قبلنا، وحكم ما بعدنا، ثم هو بعد حجة لنا أو علينا.

القرآن هو الذي أصلح النفوس التي انحرفت عن صراط الفطرة، وحرر العقول من ربقة التقاليد السخيفة، وفتح أمامها ميادين التأمل والتعقل، ثم زكى النفوس بالعلم والأعمال الصالحة، وزينها بالفضائل والآداب. والقرآن هو الذي أصلح بالتوحيد ما أفسدته الوثنية، وداوى بالوحدة ما جرحته الفرقة واجترحته العصبية، وسوى بين الناس في العدل والإحسان، فلا فضل لعربي - إلا بالتقوى - على عجمي، ولا لملك على سوقة إلا في المعروف، ولا لطبقة من الناس فضل مقرر على طبقة أخرى.

والقرآن هو الذي حل المشكلة الكبرى التي يتخبط فيها العالم اليوم ولا يجد لها حلاً- وهي مشكلة الغنى والفقر، فحدد الفقر كما تحدد الحقائق العلمية، وحث على العمل كما يحث على الفضائل العملية، وجعل بعد ذلك التحديد للفقير حقًّا معلوماً في مال الغني يدفعه الغني عن طيب نفس لأنه يعتقد أنه قربة إلى الله، ويأخذه الفقير بشرف لأنه عطاء الله وحكمه، فإذا استغنى عنه عافه كما يعاف المحرم، فلا تستشرف إليه نفسه، ولا تمتد إليه يده.

والقرآن هو الذي بلغ بهم إلى تلك الدرجة العالية من التربية، ووضع الموازين القسط للأقدار، فلزم كل واحد قدره، فكان كل واحد كوكباً في مداره، وأفرغ في النفوس من الأدب الإلهي ما صير كل فرد مطمئناً إلى مكانه من المجموع، فخوراً بوظيفته، منصرفاً إلى أدائها على أكمل وجه، واقفاً عند حدوده من غيره، عالماً أن غيره واقف عند تلك الحدود، فلا المرأة متبرمة بمكانها من الرجل لأن الإسلام أعطاها حقها واستوقن لها من الرجل، واستوثق منه على الوفاء، ولا العبد متذمر من وضعه من السيد لأن الإسلام أنقذه من ماضيه فهو في مأمن، وحدد له يومه فهو منه في عدل ورضى، وهو بعد ذلك من غده في أمل ورجاء، ينتظر الحرية في كل لحظة وهو منها قريب، ما دام سيده يرى في عتقه قربة وطريقاً إلى الجنة وكفارة للذنب.

كذلك وضع القرآن الحدود بين الحاكمين والمحكومين، وجعل القاعدة في الجميع هذه الآية:{وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ}وأن في نسبة الحدود إلى الله لحكمة بالغة في كبح أنانية النفوس.

القرآن إصلاح شامل لنقائص البشرية الموروثة، بل اجتثاث لتلك النقائص من أصولها، وبناء للحياة السعيدة التي لا يظلم فيها البشر، ولا يهضم له حق، على أساس من الحب والعدل والإحسان. والقرآن هو الدستور السماوي الذي لا نقص فيه ولا خلل: فالعقائد فيه صافية والعبادات خالصة، والأحكام عادلة، والآداب قويمة، والأخلاق مستقيمة، والروح لا يهضم لها فيه حق، ولا يضيع له مطلب.

هذا القرآن هو الذي صلح عليه أول هذه الأمة وهو الذي لا يصلح آخرها إلا عليه...

فإذا كانت الأمة شاعرة بسوء حالها، جادة في إصلاحه، فما عليها إلا أن تعود إلى كتاب ربها فتحكمه في نفسها، وتحكم به، وتسير على ضوئه، وتعمل بمبادئه وأحكامه، والله يؤيدها ويأخذ بناصرها وهو على كل شيء قدير.

نشر المقال في مجلة الإخوة الإسلامية العراقية - العدد 01/ 21 نوفمبر 1952.

ثم نشرته في جريدة البصائر في العدد 218 /السنة الخامسة - 20 فيفري 1953.

بنى معوش والحركة الإصلاحية (الجزء الأخير)

بقلم: إدريس سحقي.

عمله ونشاطه

بدأ نشاطه التعليمي والتربوي الحر في قريته الشريعة بلدية قنزات عرش بنى يعلي رُدُحا من الزمن لا ندري كم سنة قضاها فيها.

كان في أول الأمر يعلم الأطفال في المسجد حيث قسم التلاميذ إلى فوجين أو أكثر ويعلم كل فوج حسب ثقافته وسنه والآخرون يقرؤون القرآن في الألواح تحت حراسة بعض معاونيه. كان في الأول ابن أخيه سي ساعد لست أدري إن كان حيا يرزق أو مات، ثم الشيخ محند أكلي أوقري وهو كبير السن من مواليد بنى يعلي، كذلك ثم أقبل من بعده خليفي المولود وكان أكثر انضباطا رحمه الله.

ثم عين من طرف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهذا الخبر متواتر جدا، لأن السكان في تلك الحقبة لم يكونوا يعرفون شيئا عن هذه الجمعية اللهم إلا بعض النزر القليل من المثقفين باللغة الفرنسية فمنهم القضاة والمحامون والمعلمون، ونخص بالذكر: المحامي بلعباس الشريف - سحقي لحلو اللذين يشتغلان في المحاماة، وحجوط محمد أوقاسة الذي عمل قاضيا، حيث كان أبوه قائدا (حجوط السعيد)، وابنه حجوط إبراهيم معلما، وكذا شاعف أمقران وعائلته تقريبا كلهم من المعلمين، فراحوا ضحية المنظمة السرية (OAS) حيث أبادوهم في ليلة واحدة بالقبة عام 1962 بعد وقف إطلاق النار 19 -03- 1962.

كما يوجد شعلال محند سياسي محنك قضى شبابه في الشرطة الفرنسية دون أن تغير الطبعة الاستعمارية من شأنه، وكان غيورا على دينه، كما يوجد ضابط عسكري برتبة رائد في العسكرية وهذا قبل الثورة بسنوات، وأما في الثورة تارة أدار الصندوق للضمان الاجتماعي لناحية قسنطينة (C.A.S.O.R.C) وقبل توظيف عامل عمالة قسنطينة (والى الولاة اليوم) وهذه المجموعة تسمى في التاريخ (جماعة النخبة).

من أراد التوسع فليطلع على كتابي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث للأستاذ الشيخ مبارك بن محمد الميلي، وكذا تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمان الجيلالي، وحتى الأستاذ أحمد توفيق المدني ولج هذا الباب في كتابه (كتاب الجزائر وجغرافيتها) وله مؤلفات كثيرة عن هذا الفن المؤثر في نفسية الجزائريين خاصة الغيورين على دينهم ووطنهم رحمهم الله أجمعين. والحمد لله لم يموتوا حتى استخلفهم كثير من المؤرخين العصريين أمثال د.يحي بوعزيز - د.أبو القاسم سعد الله - د.إبراهيم مياسي، دون أن ننسى علماء الاجتماع والتاريخ الثقافي مثل: د. الشيخ بوعمران - د.عمار الطالبي - د.أبو القاسم خمار - الشيخ عبد الرحمان شيبان - د. ع الرزاق قسوم - د.محمد العربي ولد خليفة..وغيرهم لا يحصى عددهم.

- الشيخ يوسف اليعلاوي القموني:

أدلى الشيخ يوسف بمعلومة تاريخية قليل من يعرفها ولم نكن نتوقعها تتمثل في تمليك قطعة أرضية باسمه، وبسببها يمنع عليه قانون النفي من القرية بسبب الخصومة التي بينه وبين السلطات الفرنسية بإيعاز من القائد وأذنابه.

والشيخ يوسف اليعلاوي جاء إلى أقمون بني أخيار سنة 1943 أو 1944م على الأكثر وليس 1948 كما ادعى الكاتب عبد الكريم بوعمامة الذي قال أن الشيخ يوسف جاء إلى أقمون سنة 1948م. ولست أدري أين استقى هذه المعلومة، وقيل أن القايد خياري ع المالك جاء في تلك السنة كذلك أي سنة 1943 وهو حفيد لأسرة مرابطية بأقمون، وله أملاك كثيرة بأقمون دون سبب تملكه بأقمون؟. وقد جاء الأول بالنور والحكمة وجاء الثاني بالشر والضغينة وتنمية العداوة بين الأسرة وحتى بين القرى، والدليل الثاني الذي يدل على أن الشيخ يوسف جاء قبل عام 1945 أي عام القسط (البون) ذكرت الوالدة المرحومة بأن الأب قد اشترى له عدة مرات قسطا من الحبوب كالقمح والشعير من السوق الموازية في العلمة سنوات 1945-1944 لأن الأب ذهب إلى فرنسا سنة 1946 فتوفي هناك سنة 1948. هذه المعلومة مدلاة من طرف كاتب هذه الحروف (إدريس سحقي) معلم متقاعد من نفس القرية وجاره القريب لا تكاد المسافة تبلغ 10 أمتار بين البيتين، كما كان أول معلم اتصلت به في المسجد قبل بناء المدرسة المفتوحة سنة 1951-1950م.

والدليل الثالث حينما دخلت المدرسة زاولت دراستي 51-50 في السنة الثانية تحضيري في ذلك الوقت، ودون مبالغة أني قاربت حفظ حزب سبح قبل الدخول إلى المسجد سمعا، وكذا بعض قطع الأناشيد القصيرة كـ: نحن أطفال صغار - شعب الجزائر مسلم، أربع أبيات الأولى - من جبالنا طلع صوت الأحرار - طلع البدر علينا - أهلا وسهلا بالزائرين - في سبيل المجد والأوطان نحي ونبيد..إلخ. هذه هي الأفكار التي غرسها الشيخ يوسف اليعلاوي في نفوسنا، طيب الله ثراه، رغم أنف الذين ادعوا أن جمعية العلماء قبلت الاندماج وتصمت عن صدى الثورة المباركة - والدليل أين هم علماء الجمعية؟ مثل: العربي التبسي - وأحمد رضا حوحو - والربيع بوشامة وأين توفي الشيخ الفضيل الورثيلاني؟ عدا الطلبة الذين تخرجوا على يد الزعماء المذكورين آنفا؟.

والشيخ يوسف اليعلاوي حينما كان في أقمون بني أخيار لم يكتف بتعليم الأطفال فقط بل كان ينظم دروسا ليلية للفلاحين في أحد بيوت الخواص في طرف القرية وتوعيتهم، وتعريفهم بالوطنية الحقة، وتوصل حتى إلى اشراك بعض المثقفين في جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم كلف عقلاء القرية أو الجمعية الخيرية لقرية أقمون بني أخيار ببناء مدرسة حسب مقتضيات العصر فتجلد المواطنون وقدم كل واحد ما يستطيع من المال أو العمل وهناك من لجأ حتى إلى بيع القطعة الأرضية التي يملكها والتي تدرّ عليه بالرزق ليقتات منها، لكن قوة الإيمان والوطنية طغت على النفس المطمئنة {وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (المزمل). وبهذا الدليل الرباني تجسم الشعب كل الصعاب حتى بنيت المدرسة وجهزت بأحسن الوسائل الحديثة مقاعد، سبورات، خزائن، الكتب المملوءة بكل فن، لكن أذان الاستعمار لم تغفل وبدأت تقلق راحة الشيخ والمشرفين على المدرسة، حتى استخرجوا رخصة من الوالي العام بقسنطينة باستعانة العرفاء كعادة الإدارة الإستدمارية رغم ذلك لم نمنع من تفتيش المدرسة من طرف الدرك تارة ومن طرف الناطور (شانبيط) وهذا ما عشناه حقيقة ليس فيه غلو ولا إفك، وكان من أشد أعداء الحركة الإصلاحية لأنه من تابعي أذناب فرنسا بواد أميزور، وكان أولهم من أمضى وأقر بأن اللغة العربية في الجزائر لغة أجنبية، وبسبب هذا نال جزاءه. كما ردّ عليه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في البصائر بمقالة جريئة تحت عنوان اللغة العربية في الجزائر نشرت في البصائر عدد 41 سنة 1948 (اللغة العربية في الجزائر ليست غريبة ولا دخيلة، بل هي في دارها وبين حماتها...). الكتاب ص 221 طبع ش و ن ت (1971).

وما بلغت سنة 51-50 من السنة الدراسية حتى هبت ثلاث قرى من بني معوش لتبني المدارس العصرية وهذه القرى تتمثل في قرية تيوال من تنشيط شليق البشير جمعية معلمين نشيطين الشيخ دليل م أمقران أطال الله في عمره والشهيد سليمان بوقيدر - والمدرسة الثانية بـ ثاقنيت يغيل من تنشيط عبد الرحمان بوردوز الشهيد والمعلم الشيخ محمد الصالح فراج، والمدرسة الثالثة بـ آيت عجيسة تنشيط عباس محند لونيس ومعلمها الشيخ تواتي المولود الشهيد والشيخ عبد الرحمان بوردوز، الذي مات شهيدا وكذا بالنسبة للشيخ المولود، الذي استشهد برتبة ملازم وهو الذي علمنا نشيد «جزائرنا يا بلاد الجدود «تأليف الأستاذ «محمد الشبوكي».

وآخر مدرسة بنيت ببني معوش مدرسة آيت وعمر المجاورة لقرية أقمون، وإن هي تابعة لأقمون قلبا وقالبا، لكن ضغائن موجهة من القايد الذي أراد انفصالها عن القرية الأم لحاجه في نفس جاكوب، وسياسة (فرق تسد) ولهم طلبة تابعون لمدرسة أقمون جلهم شهداء الثورة منهم.بشير باي عمار - مناصر الحسن - والملازم واري . م الصديق المتوفى عام 1970 - ومزوار مقران - وجمعة بشير أو جمعة وعلي.

وهكذا لا تمر مناسبة دينية إلا وتلقى طلبة المدارس آنفا مصحوبة بمعلميهم والمتعاطفين للمدارس وبعض المواطنين لتمتلئ الساحة بإلقاء الأناشيد الوطنية والخطب الرنانة الملقاة من طرف الشيوخ فتعلو التهليلات والتكبيرات، وحتى الزغاريد النسوية التي تبعث من البيوت القريبة ولا أنسى ما دمت حيا تجمع الطلبة في مفترق الطرق أقمون - تيوال - تقنيت يغيل في مكان يسمى تيزي نتزمامت في يوم من أيام الربيع الأمازيغي «أمنزو نربيع» تلاقى شيوخ المدارس وتلاميذهم وأعيان القرى المذكورة وبعض الفضوليين من القرى المجاورة وفي أثناء الخطب والإنشاد إذ باغت القايد بوشمار (صاحب اللحية) متعجبا وغاضبا فما كان من الطلبة إلا أن رفعوا عقيرتهم بكلمة واحدة «من جبالنا طلع صوت الأحرار - يناديا للاستقلال - لاستقلال وطننا» (م العيد آل خليفة ومحمد الهادى شريف) والقايد مرتبك رعبا وغضبا وكاد أن يسقط من على جواده محاولا أن يعرجه إلى الوراء:(مكر مفر مقبلا مدبرا معا -كجلمود صخر حطه السيل من عل (معلقة امرئ القيس). ولى هاربا لكن بعض الفطنين علموا ما يضمره في نفسه، فطلب من الشيوخ الانصراف قبل أن يحدث ما لا تحمد عقباه، أما القايد فما إن وصل إلى مكتبه حتى هتف الدرك الفرنسي لكل من صدوق وبني ورثيلان. ولله الحمد لم يجدوا أحدا في هذه الساحة، وقبل أن ننهي هذه الواقعة التاريخية نعلن للقراء الكرام أن من عجيب الصدف أن أول معركة وقعت بين العدو وجيش التحرير حدثت في هذه البقعة المباركة كأن لها موعدا مع التاريخ وذلك أمسية الجمعة 27 -01- 1956 . وأتت بنتائج عظيمة حيث قتل مالا يقل عن ثلاثين عسكريا واستشهاد ثلاثة جنود، وهذه الفرقة من جيش التحرير، كانت بقيادة الرائد فضال أحمد المدعو سي حميمي.

أما رد فعل العدو الفرنسي من اجتماع شيوخ المدارس الأربعة ففي الصباح الباكر أقبل الدرك إلى المدارس يستقصون سبب الالتقاء وماذا قاله الشيوخ للطلبة وللمجتمع المدني، وهل تطرقوا إلى السياسة التي تبغض الاستدمار الفرنسي، ودخل مدرستنا دركيان مع الناطور الذي كاد يلتصق بالطلبة يتصنت إلى كلام الصبية كي ينقله إلى أسياده وربما يزيده من عنده لإغلاق المدرسة أو متابعة الشيخ يوسف اليعلاوي بتهم واهية - وعند انتهاء التفتيش تركوا استدعاء للشيخ من طرف الحاكم العسكري ببوقاعة محاولا استفزاز الشيخ وتهديده، لكن الشيخ ثبت ثبوت الجبل مجيبا الحاكم بكل برودة قائلا: «حسبي إني في وطني الجزائر وأعلم لغة ديني! ولتعرف سيادة الحاكم: أن شعار الجزائريين: الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا!». فبهت الذي كفر وهكذا استمر الجهاد ضد الجهل وفرنسا تارة تغرم وتارة تنفي، ولم تقتنع ولم تسكن حتى حرست بعض الأهالي المندمجين في سياسة فرنسا وقوانينها ودعمتهم ماديا ومعنويا إلى أن أدى ذلك إلى الانقسام والتفريق بين السكان منهم المؤيد للشيخ ومنهم المعارض حتى كادت الفتنة أن تشتعل لا قدر الله وهذا مبتغى فرنسا، فطلب الشيخ التنقل وبصعوبة قبلت الجمعية طلبه فانتقل إلى عين أزال وعوض بشيوخ ليسوا بأقله منهم: الشيخ مقران بن مالك، والشيخ عمر حجيق أطال الله في عمرهما، وبعدهما خلفهما الشهيد عبد القادر المليكشي، والذي واصل الجهاد الثقافي حتى أن أحرق الجيش الفرنسي المدرسة في أفريل 1956 بإيعاز أحد الخونة الذي كان ناطورا أيام الإستدمار وهو قريب الصلة بالقائد المذكور آنفا وقد تكلمنا عنها بإسهاب ولا داعي للتكرار، والقايد نفذ فيه حكم الإعدام من طرف جيش التحرير الوطني أواخر فيفري 1956، وبسببه ثأر له اللفيف الأجنبي بحصيلة تقدر بأكثر من مائة (100) شهيد من واد الصومام إلى واد بوسلام منطقة بني ورثيلان.

معالجات إسلامية

الإسلام..وزراعة الأشجار

بقلم الشيخ الدكتور /يوسف جمعة سلامة*

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: {وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}(1).

ذكر الشيخ الصابوني في كتابه صفوة التفاسير في تفسير الآية السابقة: [{وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ} أي في الأرض بقاع مختلفة متلاصقات قريب بعضها من بعض. قال ابن عباس: أرض طيبة، وأرض سَبْخَة، تُنْبِتُ هذه، وهذه إلى جنبها لا تُنْبت. {وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ} أي بساتين كثيرة من أشجار العنب {وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ} أي وفي هذه القطع المتجاورة أنواع الزروع والحبوب والنخيل والرطب، منها ما يَنْبُت منه من أصل واحد شجرتان فأكثر، ومنها ما ينبت منه شجرة واحدة {يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ} أي الكل يسقى بماء واحد، والتربة واحدة، ولكنَّ الثمار مختلفات الطعوم، قال الطبري: الأرض الواحدة يكون فيها الخوخ، والكمثرى، والعنب الأبيض والأسود، بعضُها حلو، وبعضُها حامض، وبعضها أفضل من بعض، مع اجتماع جميعها على شرب واحد [{إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}أي علامات باهرة ظاهرة، لمن عَقل وتَدَبَّر، وفي ذلك ردٌّ على القائلين بالطبيعة](2).

إن الواجب على الإنسان أن ينظر إلى نعم الله في هذا الكون فيتأملها، ويشكر الله عليها، وأن يعرف أن وراء هذه النعم مُنْعِم وخالق ورزّاق هو الله -عز وجل- كما في قوله تعالى: {فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ، أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا، ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا، فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا، وَعِنَبًا وَقَضْبًا، وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً، وَحَدَائِقَ غُلْبًا، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا، مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ} (3).

فالمزارع يزرع الأرض ويغرس الأشجار، فنأكل من ثمارها ونستظل بظلها، كما أن الفلاح يحرث الأرض، ويبذر الحب، وهو معتمد على ربه، متوكل عليه، فإذا بالحبة تنمو بقدرة الله سبحانه وتعالى فتصبح شجرة لها جذور، وساق، وسنابل، من الذي جعل الحبة حبات؟ إنه الله رب الأرض والسماوات.

لذلك فنحن مطالبون بضرورة المحافظة على الأرض وزراعتها لأنها ثروة عظيمة، فديننا الإسلامي حثنا على عمارة الكون وزراعة الأشجار، ويجب ألا ندع مساحة جرداء بدون زراعة، كما يجب علينا المحافظة على الأشجار والحدائق العامة، وعدم الاعتداء عليها بقطعها وقلعها، فهي عنوان حضارة الأمم.

فضل الغرس والزرع

لقد حث النبي - صلى الله عليه وسلم- على زراعة الأشجار من زيتون وأعناب ونخيل وغيرها، والأحاديث النبوية تجعل غرس الشجر من أعظم الأعمال الصالحة، لما رُوي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»(4) .

وجاء في حديث آخر:(عن أبي الدرداء - رضي الله عنه- أنَّ رجلاً مَرَّ به، وهو يغرسُ غرساً بدمشق، فقال له: أتفعلُ هذا، وأنت صاحبُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟! قال: لا تَعْجَلْ عَلَيَّ، انتظر حتى أفهمك السنة في هذا العمل وثوابه، سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «مَنْ غَرَسَ غَرْساً، لم يأكلْ منه آدميٌّ، ولا خلق من خلق الله، إلا كانَ له به صدقة»)(5).

ومن المعلوم أن غرس النخل من الأعمال الصالحة التي تنفع صاحبها بعد موته، كما جاء في الحديث عن أنس - رضي الله عنه- قال: (قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «سَبْعٌ يجري للعبدِ أجْرُ هُنَّ وهو في قبره وهو بعد موته: مَنْ عَلَّمَ علماً، أو كَرَى نهراً، أو حَفَرَ بئراً، أو غَرَسَ نخلاً، أو بنى مسجداً، أو وَرَّث مُصحفاً، أو ترك ولداً يستغفرُ له بعد موته»)(6) .

ومن الجدير بالذكر أن ديننا الإسلامي يحثّ المسلمين على عمارة الأرض وغرس الأشجارحتى عند قيام الساعة، كما جاء في الحديث الشريف أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال: (إنْ قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلةَ، «نخلة صغيرة أو شتلة» فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسه، فليفعل)(7) .

إن الأمم الراقية هي الأمم التي تستغل أرضها بالزراعة والتشجير، فلا تدع شبراً واحداً غير مستغل، فالزراعة دعامة الاقتصاد الوطني، فمنها نأكل الخبز والطعام، ونلبس الملابس، ونشرب العصائر، ونستخرج الزيوت، ونقضي الأوقات السعيدة في الحدائق والغابات... الخ من الفوائد الكثيرة.

شكر الله على نعمه

لقد امتنّ الله سبحانه وتعالى على قريش بقوله: {لإِيلافِ قُرَيْشٍ، إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ}(8)، فنعمة الطعام، ونعمة الأمن من أجلِّ نعم الله على البشريّة؛ بينما نجد أنَّ الجوع والخوف هو شرُّ ما تُبْتَلى به البشرية، كما في قوله سبحانه وتعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ}(9).

فقد جاء في مختصر تفسير ابن كثير للصابوني في تفسير قوله سبحانه وتعالى: [{ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} أي ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم، من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك، ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته، روى ابن جرير، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: بينما أبو بكر وعمر جالسان إذ جاءهما النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: (ما أجلسكما ههنا؟)، قالا: والذي بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلا الجوع، قال: (والذي بعثني بالحق ما أخرجني غيره)، فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار، فاستقبلتهم المرأة، فقال لها النبي -صلى الله عليه وسلم- : (أين فلان؟) فقالت: ذهب يستعذب لنا ماء، فجاء صاحبهم يحمل قربته، فقال: مرحباً ما زار العباد شيء أفضل من نبي زارني اليوم، فعلق قربته بكرب نخلة، وانطلق فجاءهم بعذق، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ألا كنت اجتنيت)، فقال: أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم، ثم أخذ الشفرة، فقال له النبي-صلى الله عليه وسلم-: (إياك والحلوب) فذبح لهم يومئذ، فأكلوا، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لتسألن عن هذا يوم القيامة أخرجكم الجوع، فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا، فهذا من النعيم). وروى الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله قال: أكل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر وعمر رطباً وشربوا ماء، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (هذا من النعيم الذي تُسألون عنه)] (10).

لذلك يجب على المسلمين أن يشكروا الله سبحانه وتعالى على ما أولاهم من فضله وخيره، تقديراً لهذه الخيرات المحيطة بنا، واعترافا بمنّته، وطلباً للمزيد من برّه وخيره، فقد وعد سبحانه وتعالى الشاكرين على شكرهم حيث قال سبحانه وتعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (11)، وقوله تعالى:{أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ، أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ، لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلا تَشْكُرُونَ}(12) ورحم الله القائل:

إذا كنتَ في نعمةٍ فارْعَهَا
فإنَّ المعاصي تُزيلُ النِّعَمْ
وداومْ عليها بشكـــر الإلهِ
فإنَّ الإلـهَ سريـعُ النـقـمْ

فعلينا أن نستثمر طاقاتنا ومنها الأرض، لأن الأرض من أهم عناصر الرقي والتقدم والحضارة، وليكن شعارنا: نزرع ولا نقطع، نزرع ولا نقلع.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

الهوامش:

-1 سورة الرعد الآية (4).
-2 صفوة التفاسير للصابوني2/74.
-3 سورة عبس الآية (32-24).
-4 أخرجه مسلم.
-5 أخرجه أحمد.
-6 أخرجه البيهقي.
-7 أخرجه أحمد.
-8 سورة قريش الآية (4-1).
-9 سورة النحل الآية (112).
-10 مختصر تفسير ابن كثير للصابوني3/672.
-11 سورة إبراهيم الآية (7).
-12سورة الواقعة الآية (70-68).

* خطيب المسجد الأقصى المبارك
وزير الأوقاف والشئون الدينية السابق
www.yousefsalama.com

ما قل ودل

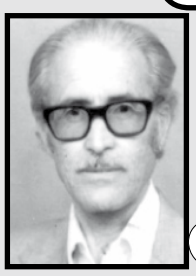

التواضع

الأستاذ : محمد الصالح الصديق

اختلف أهل العلم والمعرفة في معنى التواضع، فقال سيدنا الحسن رضي الله عنه: «التواضع أن تخرج من بيتك فلا تلقى مسلما إلا رأيت له عليك فضلا»، وقال ابن القيم: «التواضع انكسار القلب لله تعالى، وخفض جناح الذل والرحمة للخلق حتى لا يرى له على أحد فضلا، ولا يرى له عند أحد حقا بل الحق لله»، وقال أبو زيد: «ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر»، وسئل الفضيل عن التواضع فقال: «يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله»، وقال ابن عطاء: «التواضع قبول الحق من كل من قاله»، هذا بعض ما قاله أهل العلم في معنى التواضع وتحديده، وبعض هذه المعاني للتواضع لا يستسيغها الكثير من المتعلمين في هذا العصر، بل يرونها مثالية مجنحة لا وجود لها إلا في عالم الخيال.

وعلى كل فالمعنى القريب الواضح للتواضع، هو أنه خفض الجناح، ولين الجانب، والبعد عن الاغترار بالنفس، قال الله تعالى: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (الشعراء/215).

{وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ}(الإسراء/24).

وخفض الجناح كناية عن اللين والرفق وهو التواضع، وجار الله الزمخشري يقول في معنى خفض الجناح وهو يفسر آية الشعراء: «الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه، وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه، فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب، قال الشاعر مادحا:

وأنت الشهيـــر بخفـض الجنـــاح
فـــلا تـــك فـــي رفعـــة أجـــدلا

والأجدل الصقر، والشاعر ينهي ممدوحه عن التكبر بعد التواضع.

وهذا المعنى الأخلاقي يذكرنا بهذا الحديث الشريف في فضل طالب العلم: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع»، أي تتواضع معه تعظيما لحقه.

والملاحظ أن كلمة (التواضع) لم ترد في القرآن الكريم بهذه المادة، وإنما وردت كلمات تدل عليها، وذلك كقوله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً} (الفرقان/63).

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} (المائدة/54).

وقوله تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ}(الفتح/29).

جذور المعنى!

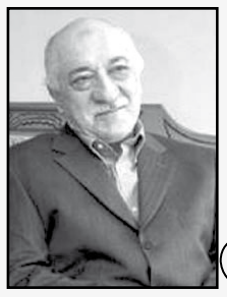

الأستاذ المفكر فتح الله كولن*

النهضة العالمية الثالثة

ما زالت الأرض بعد الدوار الطويل والتزلزل الشديد، ورغم أنف الأشياء، قادرة على تحقيق هذا التكوين في الحاضر، ومالكة لطاقة تحقق بعثاً جديداً بعد الموت!

وإن أمتنا تمتلك تراكماً علمياً تجعلها قادرة على الريادة فيما حولها من التكوينات الجديدة. وزد على ذلك أن قيادتها للأمم آماداً مديدة تركت فرصاً مكتسبة من القبول الكامن تحت الشعور في الشعوب المنقادة لها منذ الزمن الغابر، وهي مقتدرة على استعمالها اليوم. بلى، إنها جاهزة تماماً من وجهة الرمز والتمثيل، لكن عليها أن تستعمل المحركات التاريخية التي تُعد دم هذا الماضي العظيم العريق ولحمه، استعمالاً سليماً وصحيحاً.

كان عالمنا زمناً يسابق العصر في العلوم الطبيعية والدينية، وفي التصوف والمنطق، وفي تخطيط المدن والجمال، وفي كل مجال ومضمار، بدهاة نفشوا الوجود كالخوارزمي والبيروني وابن سينا والزهراوي، وأساتذة الحقوق كأبي حنيفة والإمام محمد والسرخسي والمرغناني، واستعدادات اجتازت المقاييس الإنسانية وعاشت الحياة في خط الوجدان بتغليب القلب والمنطق كالإمام الغزالي والرازي ومولانا جلال الدين الرومي والشاه النقشبند، وأبطال المحاكمة والفطنة كالإمام الماتريدي والتفتازاني والجرجاني والدواني، وعمالقة الفن كالمعمار خير الدين والمعمار سنان وعطري وده ده أفندي..ويمكنه بعد زمن العطل العابر أن يحرّك مجدداً كل الأرواح والأدمغة المنورة، فيحقق النهضة العالمية الثانية أو الثالثة.

إن الدنيا تستطيع أن تفتح صفحة جديدة بإدراك أذواق البديعيات الحقيقية من خلال نقش الروح والمعنى في كل مكان، والفن المتحري عن اللانهاية في هذا النقش، المتصف بالأخروية، والمترقق، والمتحد مع الأبعاد، في تجديد الاستماع إلى روح الإسلام ومعناه كما في تفسير الوجود مجدداً، وفي أجواء التصوف اللاهوتية العميقة الغور كما في الميتافيزيقا، وفي المحاسبة والمراقبة الإسلامية كما في التيقظ والتمكين اللذين يكسبان الإنسان قيماً فوق قيَم، وفي المدن وتخطيط المدن الذي يمكّن عالمنا الذاتي من التنفس ويجعل عالمنا الذاتي يتنفسه كما في القيم الجمالية العائدة للجمهور، نعم، تستطيع الدنيا أن تفتح هذه الصفحة الجديدة، بل الصحيح أنها قادرة عليه على الرغم من أنه يبدو عملا غير يسير.

... ولكن أين «الحل السياسي»

أصوات القصف تسمع في أي ساعة من الليل والنهار هذه الأيام في دمشق. قوية، قريبة، مختلفة عما ألفنا في الشهور الماضية. أصوات صواريخ أو راجمات صواريخ، يقول عارفون تُطلق على مناطق الغوطة الشرقية والمليحة وداريا ودوما وجوبر وغيرها. تقتل حول دمشق بشراً، سوريين، على مدار الساعة.

بقلم: ياسين الحاج صالح

هذا هو «القانون الأساسي» في سورية. النظام المسلح يداوم على قتل محكوميه المتمردين، وهو ماضٍ في ذلك منذ 23 شهراً.

بينما ينخلع القلب مع انطلاق كل قذيفة جديدة، تبدو أنها أطلقت من مسافة أمتار عنك، يشعر المرء بأن هناك شيئاً سوريالياً في الكلام على «الحل السياسي». بخاصة حين يصدر عن «معارضين» ينددون بانفعال بمعارضين آخرين يبدو أنهم يرفضون «الحل السياسي»، ويصرون على «الحل العسكري».

ترى، أين هو الحل السياسي؟ متى طرح؟ متى قال النظام إنه مستعد له؟ متى اعترف بوجود أي معارضين أو بشرعيتهم، بمن فيهم أولئك الذين يأخذون على غيرهم من المعارضين أنهم لا يقبلون بالحل السياسي المزعوم؟ يشبه الأمر أن يُنتظر من الفلسطينيين تقديم مبادرات للمحتلين الإسرائيليين، فإن قالوا إن الغرض من التفاوض هو إنهاء الاحتلال الذي يلغي كيانهم ذاته اعتبر ذلك تعجيزاً ورفضاً للتفاوض، واعتبروا هم المسؤولين عن الاحتلال والاستيطان وعن... قتلهم.

شيء بالغ الغرابة، يبدو عنف النظام (وإسرائيل) طبيعياً بحيث لا يستحق حتى الإشارة، ويقع على عاتق مقاوميه تبرير مقاومتهم!

ولكن، لا غريب إلا الشيطان. هذا النقل للصراع من موقعه بين نظام طغموي لم يأخذ إجازة يوم واحد من قتل محكوميه وبين محكومين باتوا يخوضون معركة وجودهم إلى موقع آخر، ليظهر كصراع بين أطياف معارضة حول قبول وعدم قبول «الحل السياسي» هو في حقيقة الأمر موقف منحاز إلى النظام، إن شئنا تسمية الأمور بأسمائها. ينوب القوم عن النظام بتكريس أفضل جهودهم وأثبتها في مواجهة الثورة والتشكيلات السياسية الخرقاء المرتبطة بها، وهم يفعلون ذلك منذ البداية، الأمر سابق لـ «العسكرة»، وسابق لظهور «جبهة النصرة» وأشباهها.

وإذا اعتمدنا على هذا الصنف من «المعارضين» وأقوالهم كمصدر لمعلوماتنا عن سورية وأوضاعها، بدا لنا أن النظام وحربه المستمرة تفصيل واحد بين تفاصيل في المشهد السوري. أكثر التفاصيل أهمية رفضُ معارضين تفاوضاً لم يطرحه عليهم يوماً شريكهم المفترض فيه (النظام)، ومنها ظهور «جبهة النصرة» وعملياتها الإرهابية، ومنها... مقالات كتبها أمثالنا. ومنها أيضاً، والحق يقال، النظام الذي يقال على نحو طقسي وعابر إنه يتحمل المسؤولية الأساسية عن «الأزمة».

هذا ليس للقول إن مواقف وأقوال المعارضين الرافضين للتفاوض مع النظام على غير رحيله، سديدة ومبرّأة من كل عيب. قلما يكون الأمر كذلك في الواقع. نجد هنا مزيج الارتجال والانفعال والرثاثة الذي ميّز أيضاً مقاومين فلسطينيين في عقود خلت (واليوم؟). ولكن ليس من بين أخطاء هؤلاء المعارضين ونواقصهم أنهم يرفضون التفاوض مع نظام لا يعترف بوجودهم، ويعتبر الثائرين إرهابيين والمعارضين عملاء على ما قال «القائد المفكر» بشار الأسد قبل خمسة أسابيع، ولم يفتح باب التفاوض يوماً.

هناك تقصير كبير وتأخر كبير من المعارضة في تقديم مبادرة أساسية، تعرّف بها وبما تريده، تجمع بين جذرية المطلب واعتدال النبرة، وتوضح من دون لبس أنها تفضّل الحل السياسي إن أتيح.

لم يتح يوماً، وليس متاحاً اليوم.

قبل حين طرح السيد معاذ الخطيب اقتراحاً هو أقل بكثير من أن يُعتبر مبادرة، إن من جهة مضمونه أو من جهة الطرف الذي قدمه (الائتلاف الذي يرأسه الخطيب لم يعتمده، والمجلس الوطني الذي هو قوة أساسية في الائتلاف اعترض عليه بقوة).

النظام رفض أخذ علم بمبادرة الخطيب، جريدة رامي مخلوفٍ رفضتها، ولن يفرج النظام عن 160 ألف معتقل، ولا عن 60 ألفاً ولا عن 6 آلاف، ولا عن النساء المعتقلات.

ليس هذا رجماً بالغيب، بل هو يقين قطعي ستثبته الأيام المقبلة، ويعرف ذلك أحسن المعرفة حتى أولئك السوريون الذين يفضلون تصور أن الأساس في المشكلة السورية هو أن معارضين يرفضون الحوار مع النظام، ربما لديهم أسباب وجيهة لخداع أنفسهم، لكن أسبابهم لا تجعل الخداع صواباً.

والواقع أن امتناع النظام عن الاستجابة لأي مطلب معارض، ليس إلا الوجه الآخر للقانون الأساسي: الحرب المستمرة، أو الحكم بالقتل. القاتل لا يفاوض مَنْ لا يعترف بهم ولا يراهم إلا مستحقين للقتل.

تعبنا؟ حدث خراب كبير في البلد؟ سقط عشرات ألوف السوريين؟ نخشى اتساع صفوف التشكيلات العدمية مثل «جبهة النصرة» وأشباهها؟ نراها تتسع أيضاً مراتب المشردين والجياع في عشرات المواقع في البلد؟ التشاؤم يلوّن آفاق السوريين ونفوسهم؟ كل هذا لا شك فيه.

ولكن، هاتِ مخرجاً عادلاً مما نحن فيه! هل من شأن الموافقة على فكرة حل سياسي غير موجود أن توقف القصف على داريا المدمرة؟

هل من شأنها أن تسهّل عودة اللاجئين، وإعمار حمص وحلب ودير الزور؟ وبماذا يعد دعاة «الحل السياسي» إن عاد النظام إلى سيرته الأولى، وتوقفت الثورة من أجل «حوار» لن يثمر قطعاً أي شيء؟

في أصل كل ذلك سوء فهم عميق للنظام السوري. ليس هذا نظاماً ديكتاتورياً من نوع نظام مبارك أو بن علي، لسنا حيال دولة وطنية غير مكتملة التكوين، يتعلق الأمر بالأحرى بنظام إقطاعي جديد، يرى في تمرد الرعايا إجراماً، لكنه يملك من السلاح والأيديولوجيا المتعالية ما يجعله أقرب إلى حكمٍ استعماري. وقد أظهر استعداداً فعلياً لقتل عشرات الألوف ومئاتهم ليبقى ستون ألفاً أو خمسة وستون ألفاً ليست النهاية، فهو مستعد لتدمير دمشق من دون أن يرفّ له جفن. يُنسب إلى بشار أنه قال فعلاً أن لا مشكلة لديه في تدميرها. أين العجب؟ سبق أن دمر مدناً، فهل أن من لم يتوقف عند تدمير حمص، كلها اجتماعياً ونصفها عمرانياً، سيتوقف عند تدمير دمشق. ليقول: كنا مخطئين! لم نكن نظن أن النظام سيدمر المدينة العريقة! سيدمرها. هذا هو الواقع في سورية اليوم. الباقي تفاصيل.

شرعية الرئيس بين الاستبانة والاستهانة

سيف الدين عبد الفتاح

من الأهمية بمكان أن نتحدث في هذه المرة عن شرعية الرئيس، الشرعية قضية بالغة التعقيد والتركيب، بحيث يجب عدم الانطلاق إليها وتقييم أداء الرئاسة من خلالها إلا بعد التعامل مع مجموعة من القضايا التي تتعلق بمنهج النظر إلى قضية الشرعية ذاتها.

وبادئ ذي بدء تبدو لنا عمليات الشرعية تصف حالة في طريق التراكم بالنسبة لها ومضمونها وعناصرها وآثارها، ترتبط بما يمكن أن يسمى بمسالك اكتسابها ومظاهر فقدانها والتحديات والسياسات التي تتجه ضمن مسارات تناقصها وتآكلها، الشرعية بهذا الاعتبار تزيد وتنقص: تزيد بالاعتبار الذي يجعل من تراكم الشرعية وتزايدها أمرا يتعلق بقضايا كثيرة على رأسها الأداء السياسي الذي يرتبط بالرؤى الاستراتيجية وبناء السياسات، وحركة القرارات بما يؤدي اكتساب مزيد من الرضا من جميع فئات الشعب المرتبطة بعائد هذه السياسات وتكلفة هذه القرارات، وأن هذا التآكل يأتي من أكثر من طريق حينما تكون السياسات ومسار القرارات في سياق لا يتكافأ مع هذه التحديات ولا مع ما تستأهله من رؤى تعبر عن آمال هذه الفئات المختلفة والقدرة على تخفيف الآلام التي تعانى منها خصوصا تلك التي أهملت كثيرا وشكلت الثورة بالنسبة لها طوق نجاة توقعت من خلاله أن يتبدل حالها بما يحدث النقلة النوعية الواجبة ضمن مسار تحسين وتحريك معاشها والارتقاء والنهوض بأحوالها.

الأمر الثاني يتعلق بأن الشرعية لا يجوز فيها الاقتصار على قضية ابتدائية وافتتاحية بصدد عملية اكتساب الشرعية مثل ما يعبر عنه بشرعية «الانتخاب الحر» الذي يشكل في حقيقته إعلان مبادئ في تعاقد جديد على مستوى الرئاسة، يعطي المسوغ لعمل هذه المؤسسة في إطار ينجز ما تبقى من بنود ذلك التعاقد، وهو ما يعني أن صندوق الانتخابات لا ينهض وحده لتأسيس شرعية ثابتة أو دائمة، وأن عملية الشرعية لا يمكن اختزالها في صندوق الانتخابات، ولكنها يجب أن تنطلق إلى حالة من الفاعلية في الأداء والإنجازات، شرعية الأداء والإنجاز تشكل بدورها حالة اختبارية لمؤسسة الرئاسة في رؤاها المختلفة للتعامل مع التحديات والقضايا المهمة الحالة والضرورية لتحقيق أهداف الثورة الكلية من «العيش والحرية الحقيقية والكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية»، إن هذا الشعار العبقري الذي رفعته ثورة 25 يناير لا يشكل في بنائه وبنياته إلا مشروع برنامج لاستراتيجيات وسياسات يجب أن تنهض بها جهات التنفيذ وعلى رأسها جهة القرار العليا التي تمثلها مؤسسة الرئاسة.

الأمر الثالث يتعلق بالشرعية في تضميناتها المرتبطة بالحالة الثورية وتحقيق الأهداف والمطالب التي تكافئ هذه الحالة، على طريق صياغة السياسات وبناء المؤسسات حينما تتحول حقيقة الشرعية الثورية إلى منطق بناء يحرك كل طاقات المجتمع لبناء دولة الثورة وثورة الدولة، بناء مصر الجديدة بكل ما تعنيه الكلمة من معان.

الأمر الرابع أن ما سبق لا يمكن القيام به بالفاعلية الواجبة إلا من خلال ذراع تنفيذي تشكل الحكومة الرافعة الحقيقية لمثل هذه السياسات والممارسات، وتشكل بذلك واحدا من أهم مسالك اكتساب الشرعية أو تآكلها على طريق النقص وربما الفقدان.

الأمر الخامس يرتبط بقدرة منظومة القرارات على تراكمها أن تشكل حالة من حالات الفاعلية السياسية من خلال قدرتها على مواجهة التحديات ومدى ملاءمتها لحقيقة الضرورات والاحتياجات التي تتعلق بمعاش الناس، فضلا عن إمكانية أن تكون هذه القرارات مدخلا حقيقيا لنيل رضا الشعب من خلال توقيتها والمقدرة الفعالة على تطبيقها، وتحقيق الهدف منها والمقصود من إصدارها، بحيث تشير إلى حالة من الشفافية والمصارحة والمكاشفة بالتكلفة الحقيقية لهذه القرارات وما يمكنها من خلالها أن تصب كعائد حقيقي لتحقيق مصالح الناس والارتقاء بمعاشهم.

الأمر السادس يتعلق بإطلاق كل الطاقات التي تتعلق بمؤسسات الرئاسة من جهة وجهات التنفيذ من جهة أخرى لتنمية حالة الرضا من الجماهير حيال هذه السياسات في مناخ يتسم بحالة من التوافق والاستقرار اللازم لإدارة المرحلة الانتقالية بكل متطلباتها عن طريق الصياغة المتكاملة لعقد مجتمعي وسياسي جديد يمثل هذه الثورة ويمثل آمالها ويصنع المستقبل من خلالها، ويرسخ مفهوم رئاسة لكل المصريين.

الأمر السابع يتعلق بالقدرة على تنمية رصيد الثقة المجتمعي في هذه السياسات، ذلك أن رصيد الثقة المجتمعي في هذا المقام يشكل أرضية ملائمة لصياغة وتأسيس عمليات الشرعية واكتسابها، وإن أي فقدان لهذه الثقة أو تآكل في رصيدها المجتمعي أو تزايد فجوة المصداقية وفائض العهود والوعود، إنما يؤثر تأثيرا مباشرا على حالة الشرعية ذاتها وتآكل عناصرها ونقصان مفاعيلها وفاعليتها.

في إطار هذه السباعية المهمة الدالة على حقيقة اكتساب الشرعية وزيادتها، ومظاهر تآكلها ونقصانها، يمكن الإشارة إلى عدة مؤشرات تسير في مسار التآكل لا اكتساب مزيد من هذه الشرعية وتراكمها والتي تؤصل معنى فاعلية الشرعية وشرعية الفاعلية:

أولا: فجوة المصداقية وتآكل رصيد الثقة في تقبل كل الأمور الصادرة عن مؤسسة الرئاسة ومؤسسة الحكومة التي تعبر عن سياسات غالبا ما تقترن بمسارات الفشل التي لا تحتملها المرحلة الانتقالية باعتبارها مرحلة استثنائية تتطلب رؤية استراتيجية للتأسيس لمرحلة انطلاق وإقلاع حقيقية.

ثانيا: فشل الإدارة الحكومية التي لا تمتلك في شخص رئيس وزرائها أية رؤية أو استراتيجية للخروج من مآزق حقيقية، تصب في النهاية في حاجات الناس وتحقيق حاجاتهم المعيشية وضروراتهم الأمنية، وبدلا من أن تمثل هذه الحكومة طاقة فاعلية مضافة للرئاسة، عبرت عن مسار فشل في التعامل مع قضايا الشعب الحقيقية وتحديات الوطن الأساسية.

ثالثا: إن الطريقة التي تدار فيها الأمور بحالة من العشوائية والتردد والتراجع في عمليات القرار إنما تشكل أهم مؤشر على أن القرار لم يعد يستند إلى الشرعية الواجبة التي تسهم في صناعة الرضا المتعلق بعموم الناس والجماهير، وهو أمر جعل القرار مع سياسات التعتيم والتعويم التي ترتبط به حالة تمثل تآكل شرعيته من حيث طريقة صناعته واتخاذه أو من حيث تأثيره ومآلاته.

رابعا: إن النظر في حقيقة العائد السياسي الذي يترتب على الاستثمار في إطار الحركة السياسية للتعامل مع بعض الإشكالات بالخطاب الواضح والعميق القادر على التأثير في قناعات الناس ووعيهم بحقيقة الأمور إلا أن الممارسات الخطابية مثلت إهدار لإمكانات حقيقية كان من الممكن استثمارها من دون أي تكلفة مادية، حتى هذا الجانب قصّرت الرئاسة قبل جهات التنفيذ في التعامل مع هذه المساحة واستثمارها في اكتساب رضا فئات كبيرة من الشعب ومن القوى السياسية والمجتمعية.

خامسا: إن ما آل إليه الأمر من حالة مجتمعية يسودها المزيد من الاستقطاب والتصدعات التي حدثت في بناء المجتمع وحركة السياسة فيه وسقوط دماء وشهداء جدد، إنما يشكل في حقيقته أزمة مفصلية في تماسك الجماعة الوطنية، وقوانينها التأسيسية.

كل ذلك هو ما قصدناه بتآكل حال الشرعية واستمراره ضمن مسار النقصان في قدراتها وعناصر الفاعلية المتعلقة بها، وهو أمر إن كنا نعترف بوجوده والذي يتطلب تفكيرا وفعلا أساسيا خارج الصندوق، يبذل الجهد الواجب والعمل اللازم لاستثمار العوائد السياسية المختلفة، إلا أنه في ذات الوقت لا يمكننا أن نقبل ذلك الاستخفاف والمراهقة السياسية التي تتحدث عن إسقاط وسقوط شرعية الرئيس، وتعتبرها كرخصة القيادة التي يمكن سحبها أو إيقافها، إن هذا التفكير يعبر ضمن ما يعبر عن الاستهانة بمقام قيادة الوطن حتى تعتبره «رخصة قيادة سيارة» قابلة للسحب أو الإلغاء، إن شأن الشرعية شأن خطير يتطلب منا التفكير في هل تصلح هذه الفترة الزمنية للحديث عن انهيار الشرعية أو سقوطها؟ أم أن الأمر في حقيقته يسير ضمن تحذير مؤسسة الرئاسة ومؤسسات التنفيذ على أن مسار السياسات والقرارات إنما هو في الطريق على تآكل الشرعية وإهدار استثمارات مهمة على طريق اكتسابها.

هنا فقط فإننا ننادي بأعلى صوت: ألا أيها المتحدثون عن الشرعية وجب عليكم أن تكونوا عند مستوى المسئولية، وإن أي عمل يتعلق بأساليب يمكن أن تنشر حالات من العنف أو الفوضى إنما تصب في النهاية في خانات انتهاك الشرعية وانتهاك مقامها، نرجوكم لا تتحدثوا عن الشرعية بالاستهانة، لأن في ذلك إهانة لثورة عظيمة وشعب عظيم.

مفاهيم ومصطلحات

الحكمة الناعمة

بقلم: عمّار رقبة الشرفي

الحكمة: هي وضع الشيء المناسب في المكان المناسب، وتأتي بمعنى القرآن كقول ربنا تبارك تعالى: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ} [البقرة: 269].. وقيل هي بمعنى الإصابة في القول والفعل.

لذا فالحكمة أنواعٌ وأشكال:

تقسو فتكون وعداً ووعيداً، وترهيباً وتهديداً، بل قد تكون سيفاً مسلطاً، وألماً محقاً، ونكالاً مصعقاً.

وتلطف فتكون نظرة بعين، أو تعبيراً بجبين، أو إعراضاً بوجه.

أما حصرها في القول اللّين، وقصرها على الفعل الهيّن، فظلم مبين، وتكلّفٌ مهين، حجر لواسع، وتضييق لشاسع، لأنّ الحكمة أرحب من ذلك.

فمفهوم الحكمة شامل، يشمل الكلمة الخشنة كما الطيّبة، ضرب الرقاب كما التنازل عن العقاب.

وسيد الحكمة صلّى الله عليه وسلّم تعامل مع كلّ صنوف الحكمة وأنواعها، فرغّب ورهّب، عفى وعاقب، سالم وحارب، وأعطى ومنع، وعد وأوعد، ودعا بالخير كما الشرّ، قبّل وردّ، وهكذا.

أحكم وهو سيّد الحكماء الأحكام بحكمته، وأنزل كلّ أمر منزلته، مع حرصه الشّديد على تغليب اللّطف قبل العنف، لأنّ ربه أمره بالعرف، وبالإعراض عن الجاهلين.

وحرص على تغليب اليسر قبل العسر، والرّخاء على الشدّة.

والاستدلال على الحكمة وحصرها باللّطافة والنعومة يقول الله تعالى لسيدنا موسى وهرون على نبيّنا وعليهما السلام: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه: 44]، فمردود بقوله جلّ جلاله، وعظم سلطانه على لسان سيدنا موسى وهو يخاطب فرعون الكبر والبهتان، وهو يدّعي امتلاكه صفات المنان، {وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا} [الإسراء: 102]، أي هالكاً وملعونا.

فالحكمة اقتضت اللين والشدّة، وهي تابعة للموقف، وأسيرة للحاجة، تتسع ما وسع الأمر وتضيق ما ضاق.

كان من الحكمة أن يدعو صلّى الله عليه وسلّم بالخير لقومه فيقول: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» [البيهقي في شعب الإيمان]، لمّا أمّل فيهم خيراً، وقد كان الأمر كذلك.

وكان منها أيضاً دعاؤه بالشّر على رعل وذكوان وعصيّة لأنهم عصوا الله ورسوله، وقتلوا القراء، والحديث بتمامه في صحيح البخاري.

وكذلك فعل أخوه نوح على نبينا وعليه السلام مع قومه لمّا أيس من إيمانهم، وتيقن من كفرهم بربهم {وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا} [نوح:27-26].

كان من الحكمة أن تحصد رقاب المشركين في بدر كما قرّر القرآن، وكان منها العفو في مواقف أخرى، كما كان منها أن يبادل، وكان منها أيضاً أن يأخذ فدية بمقابل.

من الحكمة في الدّعوة من الله أن تذكّر النّاس بقول الله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ} كما أنّ منها {وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنعام: 165].

من الحكمة في السياسة أن تحاور وتسايس، ومنها أيضاً أن تقاطع وتجهّز أشبالك الأشاوس.

وما الحكمة النّاعمة بفلسطين مع العدوّ الصّهيوني وآثارها المهينة عنكم ببعيد.

وهكذا في شتى صنوف الحياة وأمرها.

إذاً فالحكمة اسم جامعٌ لكلّ أمر مناسب، وعمل موجّه لكلّ ما ينشده كل طالب، فالزم مفهوم الحكمة الإسلامي تسلم، ولا تحد عنه في دينك ودنياك فتندم.

صنع اللّه الذي أتقن كل شيء

نور أحمد اشقودرة

انتشرت في مجتمعاتنا الاسلامية الكثير من الافكار الغريبة عنها، جاءت إلينا من الغرب ومنها الإلحاد، وقرأت كتبا للملاحدة الصادين عن منهج الله، فرأيت كلام هؤلاء المنحرفين، وطالعت سخافاتهم ووجدت الاعتداء على المبادئ الحقة وهذا الركام الرخيص مما تفوهوا به.

الزائدة الدودية

الزائدة الدودية عبارة عن قطعة صغيرة في نهاية المصران الأعور، اسطوانية الشكل، مسدودة النهاية، تقع في بداية الأمعاء الغليظة إذا حدث وأن التهبت الزائدة الدودية (مثلما يحدث لأي جزء من الجسم) فيجب حينئذ علاجه، ونظراً لخطورة الحالة وأهمية الوقت في علاجها ولمنع التهابها مرة أخرى يجب استئصالها بعملية جراحية، فالالتهاب له مضاعفات خطيرة قد تنفجر الزائدة الدودية وقد يسبب الوفاة في الحالات الشديدة.

وهنا ردّ أهل العلم على ما يسميه الملحدون أخطاءً في تصميم الانسان، حيث تغير الاعتقاد السائد بأن الزائدة الدودية ليس لها فوائد وإنه يمكن استئصالها، وذلك بعد أن قدم علماء المناعة دراسة تفيد أن الزائدة الدودية ماهي إلا مكان تعيش فيه أنواع من البكتيريا المفيدة في عملية الهضم، وأن لها وظيفة مرتبطة بمكانها وبتنظيم كمّ البكتيريا التي يجب أن تكون في جهاز هضم الإنسان، كونها تمد جهاز الهضم بهذه البكتيريا بعد الإصابة بالأمراض الطفيلية والكوليرا والزحار والإسهالات، بعد أن تكون هذه الإصابات ومعالجتها قد قلصت أعداد البكتيريا في الأمعاء.

الطيور التي لا تطير

ومنها الدجاجة، وقول الملحدين لماذا الجوانح وهي أصلاً لا تطير؟ والرد يكون في الرجوع الى الدجاجة وتركيبة جسدها.

الدجاج من الطيور التي تعطي الإنسان غذاء مهما من البيض، واللحم الذي يعتبر مصدر غذاء مهم، ويعد لحم الدجاج وبيضه مصدرين جيدين للبروتين، ذلك المركب الكيميائي الذي لابد من وجوده في الوجبة الصحية المتكاملة، ويحتوي لحم الدجاج على دهن قليل.

جسم الدجاجة

يتراوح وزن الدجاجة المكتملة من نصف كيلو جرام إلى أكثر من خمسة كيلو جرامات، ويغطي الريش معظم جسمها فيما عدا قصبة الرجل والقدم اللذين تغطيهما الحراشيف، وعلى ذلك يساعد الريش على تدفئة الدجاج في الجو البارد، ولولا الريش لمات الدجاج من البرد، ويستطيع الدجاج الطيران لعدة امتار في المرة الواحدة خصوصا عندما يهرب من أعدائه لكي يصل إلى غصن يستقر عليه، والعرف واللغدان زوائد لحمية يرجع لونهما الأحمر القاني لامتلائهما بالدم، ويساعد اللون وشكل العرف وشحمتي الأذن على أن يتعارف الدجاج على بعضه البعض، ويعتقد الخبراء أن هذه الأعضاء تساعد الدجاج على تبريد جسمه في الأجواء الحارة.

ومن هنا نقول: إن كل خلق من خلق الله متقن{وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} (النمل88).

وإن كل ما في السموات والأرض موجود بقدر وحكمة علمها من علمها وجهلها من جهلها، وحاشا لله أن يخلق شيئا عبثا {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ}(الدخان:38)، ويقول جلّ جلاله:{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ}(المؤمنون: 115). ومن لم ينهه عقله أن يقول إن الصدفة الصماء العمياء تخلق كل هذا الابداع والجمال، فلا تلتفت إليه، وكف عن خطابه لسانك، فإن لله سبحانه حكمة في إبعاد بعض العباد{وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} (الرعد:33).

خطبة الأسبوع

الوقت في حياة المسلم

بقلم: عمّار رقبة الشُّرْفي

• الحمدلة:

- الحمد لله المقسم بالأوقات، مدبّر الأرض والسماوات، المتصرّف جلّ جلاله في كلّ المخلوقات.

• الشهادتان:

• حذّر الإسلام من ضياع الأوقات، وصرفها فيما لا ينبغي من أمور الدّنيا كاللهو والفراغ وسائر المشغلات والملهيات:

- عن ابنَ عباسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُول الله - صلى الله عليه وسلم-: «نِعْمَتَانِ مَغبونٌ فيهما كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ» رواه البخاري.

- [لا تجلسوا فارغين فإن الموت يطلبكم] شعبة.

• وجّهنا الإسلام إلى اغتنام الأوقات، وعدم إهدارها في المعاصي الموبقات:

- عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ» البيهقي.

• الوقت عند السلف أغلى من الذّهب، وأنفس من المال والأهل والولد:

- [ابن آدم إنما أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك] ابن مسعود.

- [أدركت أقواماً ما كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم] الحسن البصري.

- [إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما] عمر بن عبد العزيز.

- [نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل] الشافعي.

• الفراغ أم الرّذائل والمنكرات، والبطالة أساس الآفات والموبقات، حتّى ولو كان ذلك بين قيام قيامة الأرض والسماوات:

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ وَفِي يَدِهِ فَسْلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا» أخرجه أحمد.

• التوبة في الشعر العربي:

- يقول الشاعر ابن هبيرة:

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه
وأراه أسهل ما عليك يضيع

- ويقول أبو العتاهية:

إنّ الفراغ والشبابَ والجِدة
مفسدةٌ للمرءِ أيُّ مَفسده

- وقال أحمد شوقي رحمه الله:

دقات قلب المرء قائلة له
إن الحياة دقائق وثوان
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها
فالذكر للإنسان عمر ثان

• الخاتمة والدّعاء:

- [اللهم لا تدعنا في غمرة ولا تأخذنا على غمرة ولا تجعلنا من الغافلين] أبوبكر الصدّيق .

- [اللهم إنا نسألك صلاح الساعات والبكرة في الأوقات] عمر بن الخطاب.

كلمات خالدة

من أقوال الإمام عبد الحميد ابن باديس

01 - «إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت... بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد.. في لغتها، وفي أخلاقها، وفي دينها...»

02 - «إن الأمة التي لا تحترم مقوماتها الأساسية، من جنس، ولغة، ودين، وتاريخ، لا تعد أمة بين الأمم، ولا ينظر إليها إلا بعين الاحتقار مع الحكم عليها في ميادين الحياة، بالتقهقر والاندحار»

03 «إن عمر الإنسان أنفس كنز يملكه ولحظاته محسوبة عليه، وكل لحظة تمر معمورة بعمل مفيد فقد أخذ حظه منها وربحها، وكل لحظة تمر فارغة فقد غبن حظه منها وخسرها... فالرشيد الرشيد هو من أحسن استعمال ذلك الكنز الثمين فعمَّر وقته بالأعمال، والسفيه السفيه من أساء التصرف فيه فأخلى وقته من العمل...»

04 - «احذر كل مُتَعَيْلِم يزهدك في علم من العلوم ، فإن العلوم كلها أثمرتها العقول لخدمة الإنسانيَّة، ودعا إليها القرآن الكريم بالآيات الصريحة... وحافظ على حياتك، ولا حياة لك إلا بحياة قومك ووطنك ودينك ولغتك وجميل عاداتك، و إذا أردت الحياة لهذا كله فكن ابن وقتك، تسير مع العصر الذي أنت فيه بما يناسبه من أسباب الحياة، وطبق المعاشرة و التعامل...»

05 - «تختلف الشعوب بمقوماتها ومميزاتها كما يختف الأفراد، و لا بقاء لشعب إلا ببقاء مقوماته و مميزاته كالشأن في الأفراد، فالجنسية القومية هي مجموع تلك المقومات و تلك المميزات وهذه المقومات والمميزات هي : اللغة التي يعرب بها و يتأدب بها، العقيدة التي يبني حياته على أساسها، و الذكريات التاريخية التي يعيش عليها وينظر لمستقبله من خلالها، والشعور المشترك بينه و بين من يشاركه في هذه المقومات والمميزات...»

a.talbi@albassair.org – الدكتور: عمار الطالبي*

مختصر تفسير ابن عاشور (109)

تابع الآية 159: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ}:

وفي الآيةَ إيماءان إلى وجه ترتيب اللعن على الكتمان، وذلك باستعمال اسم الموصول «الذين» لبيان علته وسببه، أي وجه بناء هذا الخبر المستحق، وباستعمال اسم الإشارة «أولئك» للتنبيه على استحقاقهم وجدارتهم بذلك؛ وهذا التأكيد قائم مقام التنصيص على العلة أي علة اللعن.

ويقصد باللعن الإبعاد عن الرحمة مع الإذلال والغضب، وما يترتب على ذلك من الحرمان من الجنة وعذاب جهنم في الآخرة، ولعن الناس لهم معناه دعاؤهم بأن يبعدهم الله عن رحمته، واستعمال الفعل المضارع للدلالة على تجدد ذلك واستمراره. واللاعنون عام ويشمل المتدينين الذين ينكرون المنكر، ويغضبون لله تعالى بسبب علمهم بكتمان هؤلاء لأشياء في التوراة مع أنهم أخذ الله منهم الميثاق أن لا يخفوا شيئا منها. كما ورد في سفر التثنية الإصحاح: -29-28 30، وهذا تذكير لهم باللعن الوارد في التوراة إذا خالفوا العهد والميثاق.

ومن مقاصد القرآن في ذكر هذه القصة وغيرها أن تكون عبرة للمسلمين، فكل ما ذم الله عليه أهل الكتاب فهو تحذير للمسلمين من الوقوع فيه واكتسابه، فيحرم على العالم أن يكتم العلم الذي فيه هدى للناس، فكتمان الهدى يؤدي إلى الضلالة، سواء في ذلك العلم الذي يأتي عن طريق الوحي في القرآن والسنة الثابتة، والعلم الذي يحصل عن النظر والاجتهاد، مما تحتاج الأمة إلى معرفته للاهتداء به، وأن يستعمل في تعليمه منهجا سهلا يبلغ به للناس الحقائق بوضوح، وما لهم به قدرة على فهمه وتلقيه، وقد روى أصحاب السنن الأربعة أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»، ويدخل في ذلك كتمان الشهادة فيما ذكر الفقيه المالكي الشيخ سحنون.

-160 {إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}:

أما الذين تابوا وتراجعوا عن الكتمان فلا تلحقهم اللعنة على أن يصلحوا ما أفسدوا بإظهار ما كتموه وبيانه للناس، فلا يكتفون باعترافهم في أنفسهم دون بيانه وإظهاره، ومن ذلك رجوعهم عن كتمان الشهادة التي وردت في التوراة بصفات الرسول محمد وصدق نبوّته، ومن التوبة إيمان الكافر بعد جحوده، فهؤلاء الذين بينوا وأصلحوا ما أفسدوا فإن الله يعفو عنهم ويرضى، ولا يلعنهم بعد ذلك، وتوسط اسم الإشارة يدل على التعليل مع ما فيه من إيجاز بديع، ونظم رائع.

-161 {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}:

استأنفت الآية بذكر فريق آخر يستحق اللعنة لمشاركته الفريق الأول في المخالفة وهم المشركون، فإن مصطلح الكفر يطلقه القرآن كثيرا، ويقصد به الشرك، كقوله: {وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ}(الممتحنة/10)، فجاء عقب لعن الذين يكتمون العلم من أهل الكتاب لعن الذين أشركوا. ويرى الفخر الرازي أن «الذين كفروا» يشمل الذين يكتمون من أهل الكتاب وغيرهم، كما فسر ذلك الكشاف بخصوص الذين يكتمون، لكن ابن عاشور كان أدق، فإن المراد بذلك المشركون لتظهر مناسبة الانتقال من الذين يكتمون فحسب إلى الذين يكفرون بالإشراك بالله، وأما الناس فيقصد بهم أهل الكتاب وسائر الموحدين للخالق.

-162 {خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ}:

«خالدين فيها» يدل على أن اللعنة دائمة تلحقهم في جهنم باستمرار، والضمير «فيها» يعود إلى جهنم التي تفهم من المقام، كما في قوله: {حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ}(ص/32)، أي توارت الشمس، فهم «لا يخفف عنهم العذاب» لعظم كفرهم وإشراكهم.

«ولا هم ينظرون» أي لا يمهلون، يقال نظره أي أمهله مهلة، ولا مهلة لهم في إصابتهم بالعذاب في الدنيا والآخرة، وعبّر عن ذلك بالجملة الاسمية للدلالة على التجدد.

-163 {وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}:

لما ذكر في الآية السابقة ما ينالهم من اللعنة والخلود في جهنم، تذكر هذه الآية أن الذين كفروا به وأشركوا، إنما هو إله واحد، وهذا يدعم أن المقصود بالذين كفروا في الآية السابقة هم المشركون، لأن أهل الكتاب يؤمنون بإله واحد.

والإله في كلام العرب يقصد به المعبود، وعلى كل صنم يعبد، وهذا الإطلاق ناشئ عن ضلال وعدم إدراك لحقيقة الإله الواحد، فعبادة من لا يغني عن عابده ولا عن نفسه أيضا شيئا إنما هو عبث وسوء فهم، ولذلك وصف الإله هنا بأنه واحد، وهو المعبود بحق لوحدانيته.

والقرآن في آيات كثيرة ينعى لفظ الآلهة بصيغة الجمع، ويبطل هذا الزعم ويدحضه (الأحقاف/28)، ولذلك لم يطلق في القرآن لفظ الإله بصيغة المفرد على المعبود بغير حق، وكرر «إله» ليفيد أنه وصف ثابت للموصوف لصيرورته نعتا، وأصل النعت أن يكون وصفا ثابتا، بخلاف الخبر فهو وصف حادث، وهذا استعمال متبع في فصيح الكلام في إعادة الاسم أو الفعل ليبنى على وصف، أو متعلق كقوله: {وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً}(الفرقان/72)، لأن المَقصود من ذلك تقرير معنى الألوهية، وليس إثبات الإفراد لأنه ثبت بقوله «واحد»، وخالف ابن عاشور في هذا ما ذهب إليه صاحب مفتاح العلوم السكاكي.

وقوله: «لا إله إلا هو» تأكيد لمعنى الوحدة، وتنصيص عليها لدفع توهم أنه إله خاص بالمسلمين، أو أن المقصود به مجرد الكمال كما يقال في المبالغة: هو نسيج وحده، وهذا اعتقاد موجود في الجاهلية، فإن أبا سفيان حين كفره قال: «لنا العزّى ولا عزّى لكم».

وأفادت: «لا إله إلا هو» معنى التوحيد، ونفت حقيقة الألوهية عن غير الله تعالى، فلا إله موجود إلا هو، وإبطال وجود إله غير الله، ولا النافية هنا لنفي الجنس.

وقوله: «الرحمن الرحيم» وصفان للثناء على الله لأنه المنعم بجلائل الخيرات ودقائقها، فهو المنفرد بالألوهية، لأنه المنعم، فالكلام مسوق لإثبات الألوهية، وذكر الرحمن هنا إغاظة للمشركين لأنهم ينكرون وصف الله بالرحمن، فقد: {قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ}(الفرقان/60).

-164 {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}:

إن موقع هذه الآية بعد سابقتها موقع الحجة من الدعوى، فلما قررت الآية السابقة أن الله واحد لا إله غيره، وهي قضية تلقاها المشركون بالإنكار، ويمكن أن يتلقاها كذلك كثير من الناس فناسب إقامة الدليل لهؤلاء الذين لم يقتنعوا، فأتت هذه الآية بالأدلة التي لا يسع من يعقل ويفكر تفكيرا سليما إلا الأخذ بها، ولذلك قصدت هذه الآية الاستدلال على وجود الله وعلى وحدانيته، بدلائل من أصناف الموجودات واضحة وبأسرار يتفاوت الناس في معرفتها من عالم، ومن مفكر، ومن الناس العاديين، وكلمة «الخلق» هنا مصدر، وعبّر به لأنه جامع لكل ما فيه عبرة من مخلوقات، والنظام الذي يمسكها من النظام الشمسي وغيره.

والسموات: جمع سماء، وتطلق مفردة على الجو المرتفع فوقنا، ويبدو وكأنه قبّة زرقاء، وفضاء عظيم تسبح فيه الكواكب، وجمع السموات عبارة عن أجرام عظيمة، والسيارات المعروفة التي تنظمها قوانين وتحكمها سنن.

جناية الجهل.. وهجر المقاصد

بقلم: الأستاذ الدكتور محمد عبد النبي*

المسارعة إلى الإفتاء والجرأة على الأحكام منزع قديم، تحصر آثارَه السيئة المرجعيةُ الفاعلة والمراجع المؤثرة، وحين يخلو المجتمع منها-حقيقة أو حكما-يتقحّم الميدانَ من ليس أهلا، يبتغي بالتقحّم جاها، أو يرفع به خسيسة، ولا يعنيه أن يتسبّب في خطأ أو أن يثير فتنة، فليس يخسر شيئا إن ارتدّت السهام إليه، بل قد لا يعدم أتباعا يزاحمون الصفوف، ويدعمون بمشهد الكثرة ادعاء الحق وإزاحة المخالف.

أخرج الإمام أبو داود في سننه (1/ 411) عن جابر قال: «خرجنا في سفر، فأصاب رجلا منا حجرٌ، فشجه في رأسه ثم احتلم، فسأل أصحابَه فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال: قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم (ويعصر-أو يعصب-على جرحه خرقة، ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده).» وأخرجه أيضا عن ابن عباس (1/412) و(2/207) وأخرجه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وصححه ابن السكن، وقواه الألباني بشواهده، لكن الزيادة التي بين القوسين ضعيفة

وأخرج البخاري (2/77) عن عمران بن حصين الخزاعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «رأى رجلا معتزلا لم يصل في القوم، فقال: يا فلان ما منعك أن تصلي في القوم؟ فقال: يا رسول الله أصابتني جنابة ولا ماء، قال عليك بالصعيد فإنه يكفيك.»

حديث اليوم قد يكون دليلا ينضاف إلى حديث الحلقة الماضية، التي زكى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم صنيع عمرو بن العاص على «اجتهاده»واختياره لرخصة التيمم مخافة الهلاك إن اغتسل، ولذلك جاء الربط في «المدونة»(1/88) بين الواقعتين، وورد فيها قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمرو: «ما أحب أنك تركتَ شيئا مما فعلت، ولا فعلت شيئا مما تركت.»

لن ندخل في الجدل الفقهي حول الجمع بين الغسل والتيمم المستفاد من هذا الحديث-بزيادته الضعيفة-وجوازه أو عدم جوازه، وحسبنا مما ثبت منه أن نقف على ما يمكن اعتباره أصلا تعليميا وتربويا، ينبغي التمسك به، فقد وضع النص حدا-أو يُفترض أنه أغلق الباب-في وجه المستهترين بالأحكام، والمفتين بغير علم، وبالرغم مما أثِر عن النبي صلى الله عليه وسلم من عفو وتسامح ولين في القول والفعل، إلا أن ذلك كله لم يمنعه من أن يكون حاسما في رفضه لما نُقل إليه من فتوى بعض الأصحاب من غير علم، فوصف-بطريق غير مباشر-الفتوى بالجهل، وأسند إليهم فعل القتل، وإن لم يتقصّدوه، ودعا عليهم، تعبيرا عن سخطه الشديد، وردعا لهم ولأمثالهم عن الإقدام ثانية على مثل هذا الفعل، الذي تسبّب أصحابه في موت الشخص الذي شُج رأسه واغتسل.

وقد أوحى التصرف النبوي بوجود خطأ كبير، قد يستلزم المؤاخذة، ولم يَرد أن أحدا قد عوقب أو غُرِّم، غير أنّ أقل ما يمكن أن يقال: إن «صاحب الخطأ الواضح غير معذور» كما أفاد السندي في شرحه على ابن ماجه(2/4) وقد ذكر ابن تيمية حالات يُعذر فيها العالم إن أخطأ أو تأوّل، ثم قال-كما جاء في مجموع الفتاوى(4/ 295): «..بخلاف الذين أفتوا المشجوج في البرد بوجوب الغسل فاغتسل فمات، فإنه قال: قتلوه قتلهم الله، هلا سألوا إذا لم يعلموا، إنما شفاء العي السؤال، فإن هؤلاء أخطؤوا بغير اجتهاد، إذ لم يكونوا من أهل العلم..»

ويُدرج ابن تيمية هذا الأمر ضمن أصل آخر، حين تعترض الضرورة أو الحاجة سبيل المأمور به أو المنهي عنه من أمور الشريعة، قال-كما ورد في المجموع أيضا (9/193): «ويتفرع من هنا مسألة، وهو ما إذا كان لا يتأتى له فعل الحسنة الراجحة إلا بسيئة دونها في العقاب، فلها صورتان: إحداهما: إذا لم يمكن إلا ذلك فهنا لا يبقى سيئة، فإن ما لا يتم الواجب أو المستحب إلا به، فهو واجب أو مستحب، ثم إن كان مفسدته دون تلك المصلحة لم يكن محظورا: كأكل الميتة للمضطر ونحو ذلك من الأمور المحظورة التي تبيحها الحاجات، كلبس الحرير في البرد ونحو ذلك..

ثم يردف القول: «..وهذا باب عظيم، فإن كثيرا من الناس يستشعر سوء الفعل، ولا ينظر إلى الحاجة المعارضة له، التي يحصل بها من ثواب الحسنة ما يربو على ذلك، بحيث يصير المحظور مندرجا في المحبوب، أو يصير مباحا إذا لم يعارضه إلا مجرد الحاجة، كما أن من الأمور المباحة-بل والمأمور بها إيجابا أو استحبابا: ما يعارضها مفسدة راجحة تجعلها محرمة أو مرجوحة، كالصيام للمريض، وكالطهارة بالماء لمن يُخاف عليه الموت،كما قال صلى الله عليه وسلم: قتلوه قتلهم الله...»

إنه تأصيل جريء قلّ من ينتبه إليه أو يجاهر به، أن ينقلب المحظور إلى مباح أو مستحب، إذا كان فيه مصلحة المكلف، أو خيف عليه الهلاك بإجراء الحكم على ظاهره، ولذلك لا يزال الكثير من المكلفين العوام يتحرجون من الرُّخص، وقد يلحقون الأذى بأنفسهم، محتسبين الأمر عند الله، ومتوجسين من مخالفة المذهب، حتى ولو أدى ذلك إلى نسبة العنت والحرج إلى دين الله.

* أستاذ بكلية العلوم الإسلامية - جامعة الجزائر

بقلم: أم محمد الأخضر

زواج غربـــــي...!!!

قد تعيش المرأة مع رجل غريب لسنوات عديدة، ويتفقون على عدم إبرام عقد زواج رسمي، ويتبادلون جميع الحقوق والواجبات الزوجية في سلوك يشبه الزواج الغربي، ولكن بعد إصرار المرأة على الإنجاب، وطلب الزواج الشرعي تجد نفسها وحيدة، ويفر هذا الرجل ولا تقول الزوج – لأنه لا وجود لرباط شرعي بينهما – ويتنكر لمسؤولياته اجاه هذه المرأة التي عايشته لفترة من الزمن.

وهذا الطفل الذي يرى النور لأول مرة، بينما هو في الحقيقة وبفعل هذه العلاقة غير الشرعية بين أبويه، سيواجه عالما مظلما مليئا بمفاجآت غير مرغوب فيها على الإطلاق، فتجد نفسها وابنها في وضع شاذ، فلا تعرف كيف تبدأ حياتها، أو كيف تنتهي بها الأمور، فمنهن من تنتحر، ومنهن من تقتل ابنها، ومنهن من تفضل أن ترمي به بعيدا سدا لباب المشاكل التي يتوقعنها عند عودتهن إلى بيوتهن الأصلية، وبكل أسف إنهن فتيات جزائريات ومعظمهن من الجامعيات قدمن لتحصيل الشهادة، والعودة إلى بيوتهن مرفوعات الرأس، فيبهجن آباءهن وأمهاتهن، الذين كرسوا كل غال في سبيل تعليمهن، ولكن وللأسف قلدن الفتاة الأوروبية في طريقة زواجها المُعتل، فقاسمن أصدقاءهن منزلا واحدا لمدة من الزمن، وظن الناس الذين من حولهم بأنهن متزوجات زواجا إسلاميا، لأنهن في بلد إسلامي، ويدين بالدين الإسلامي...

وهكذا كما قلت بعد فترة يتضح لهن أنهن أخطأن، ورحن يلهثن وراء المحاكم، بحثا عن الاعتراف بأطفالهن، ليصطدمن بحقيقة مرة قاسية، وهي أنه لا يوجد حل قانوني يحمي هذه الفئة من الأشخاص، وذلك لأنها ظاهرة دخيلة على مجتمعنا الجزائري الذي هو مجتمع مسلم، ويصبح أولادهن وبناتهن في نظر القانون والمجتمع غير شرعيين ...وتظهر هنا ظاهرة «الأم العازبة» في مجتمعنا، وعوض أن نتصدى لها، ونحاربها بكل حزم وصرامة، رحنا نلتمس لها من الأعذار ما يبررها، ونهيئ المجتمع لتقبلها، بل عمدنا إلى تشجيعها، حيث رصدت وزارة التضامن منحة لها ولأبيها إذا قبل بإيوائها وطفلها الذي أنجبته بطريقة لا شرعية، ويسرت لمن هي من هذا الصنف، أسباب التكوين، وكأني بالوزارة تخاطب بنات الجزائر عبر موقفها ذلك قائلة: لا تتحرجن من إشباع نزواتكن، فالدولة تتكفل بكن وبخلفتكن، إذا ما تنكر لكن الأهل والمجتمع، وهكذا شجعت هذه الظاهرة وحملت الفتاة الجزائرية على عدم التحرج من ممارسة البغاء الذي كانت تأباه من قبل وتستعر منه، وأكره الرجل الجزائري المسلم الأنوف على أن يتديث، وهو الذي كان يضرب به المثل في الغيرة على العرض، وإباء الضيم، وإلا كيف نفسر ظاهرة مثل هذه في مجتمع مسلم.

ولكن بقي الشطر الثاني وهو قانون المحاكم، فهنا يقول بعض المحامين الذين قصَدتهم فتيات وقعن في مثل هذه المشاكل، وأردن أن يمنحن أبناءهن وبناتهن اسما يعرفوا أو تُعرفن به يوما، أن المحامي يُقدم عريضة إلى المحكمة طالبا فيها إلحاق نسب الطفل بوالده، لكن المحكمة ترفض الدعوى شكلا وموضوعا، إذ لا شيء يثبت ارتباط المرأة بالرجل.

ولعل البعض يتساءل لماذا لا تلجأ المحكمة إلى تحليل الـــ : «أ دي أن» حتى يُعرف النسب، يقول بعض المحامين أنه عندما تطلب المرأة إلحاق النسب بإجراء تحاليل على الرجل، وتطالبه المحكمة بإجرائها، فإنه إذا امتنع ليس بإمكان القاضي إجباره، لعدم وجود نص قانوني يخوله ذلك. فتبقى القضية معلقة، والخاسر فيها هو المرأة وابنها. فما الحل لمثل هذه المعضلة؟

لا حل لها إلا باستصدار قانون يخول القاضي إجبار المعني على الخضوع لتحليل الـــــ : «أ. دي. أن» وإجباره على منح لقبه للمولود والتكفل به، سواء بقي على ارتباطه بأم المولود أم فَسَخه، وإلزامه بدفع تعويض مالي للمرأة وعائلتها، يقدر بحسب مكانتها الاجتماعية، جبرا للضرر الذي ألحقه بها بتعديه على شرف ابنتها. ففي مثل هذه العقوبات المغلظة ما يثني الجناة والمستهترين بالأعراض عن الاندفاع وراء نزواتهم الخسيسة، وقديما قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «يستحدث للناس من الأقضية بقدر ما يحدثون من فجور».

قضايا إجتماعية

كيف يكون الطفل المهان سويا؟!

يسر ركن «عالم الأسرة»، أن يشكر الأستاذة صباح غموشي على تواصلها معنا عبر الإيميل بمساهمات جوهرية، مقالها هذا الأسبوع تحت عنوان: (كيف يكون الطفل المهان سويا؟!).

يقع الكثير من الآباء والأمهات في خطأ تربوي كبير قد لا يقدرون نتائجه السلبية إلاّ بعد سنوات وربما لا يدركونه أبدا ..هذا الخطأ يبدأ مع بداية تحرك الطفل وحبه للاطلاع على كلّ شيء ولمس أي شيء واللعب بكلّ شيء .. وإن كان هذا الأمر طبيعيا في كلّ طفل وله معالجته الخاصة إلاّ أنّ هذا يضايق الوالدين كثيرا، وهذا للأسف منشأه خطأ ثان وهو اعتقادهما بأنّ طفلهما يجب أن ينشأ مربيا ومؤدبا وهادئا .. وكل شيء جميل يجب أن يكون فيه من البداية، لكن الموضوع يحتاج لتربية وصبر ومتابعة ووعي في التعامل مع هذه البراءة التي كثيرا ما نخدشها في مهدها، فتبدأ إهانة الطفل والتلفظ معه بكلمات قد لا يستوعبها عقله الصغير أصلا ..أنت غير مؤدب .. أنت جن، طاير، أنت غبي .. وغيرها من الكلمات التي تزيد قسوتها كلما كبر الطفل، والوالدان والمجتمع من حولهما لا يجيدان شيئا من التربية غير إهانة هذا الولد .. فيتبرمج هو على مثل هذه الإهانات التي تتطور إلى عقد وإلى كره وسخط على كلّ من حوله وهذه بداية العناد والعصيان، لأنّ الطفل في النهاية تستقر في نفسيته هذه الأوصاف - المهينة - ليعتقد من غير شعور منه أنّه كذلك ويتصرف مستقبلا على أساسها، وهذا الذي يحدث للأسف في معظم بيوتنا، وأنا أقول للجميع أنّ هذا الطفل إنسان لا يجوز بأي حال من الأحوال إهانته حتى يكبر سويا في تفكيره، سويا في مشاعره، سويا في تركيبته النفسية والخلقية .. والأخطاء التي يقع فيها الولد مهما كانت لها طرق مختلفة لمعالجتها معالجة حكيمة دون اللجوء إلى إهانته، ومن ثمّ ظلمه في الحاضر والمستقبل

(*) الأستاذة صباح غموشي

ردود القـــراء

تلقينا رسالة من الأخ «سعيدي بوزيان» عبر إيميل ركن «عالم الأسرة»، يقول فيه إنه اطلع على مقال» أكذوبة المنظومة التربوية» في العدد السابق وقد شد انتباهه، وأثار اهتمامه، حتى وصفه بالقيم، ورأى أن يسهم بإضافة نقاط أخرى لم يتطرق إليها المقال، وتقديرا منا لاهتمامه بركن «عالم الأسرة»، ولجدية إسهامه ذلك، يسرنا أن نقدم مقاله لقراء ركن «عالم الأسرة» خاصة، وجريدة «البصائر» عامة، فإليكموه:

نقائص في المنظومة التربوية

استرعى انتباهي الموضوع القيم الذي أشارت إليه الأستاذة الفاضلة أم محمد الأخضر في العدد638 من جريدة البصائر تحت عنوان «أكذوبة المنظومة التربوية» وهو أن إهمال وضياع العبقريات هدر لطاقات ثمينة نحن في أمس الحاجة إليها، لكن ماذا نقول عن إهمال وضياع فئة كبيرة من الأطفال مشكلهم أكبر وهم المتخلفون ذهنيا والذين عندهم نقص دراسي واضح ويزاولون في حجرات الدرس، ولكن لا يستطيعون مجاراة الفئة العادية من زملائهم، فيصبحون عنصرا معطلا ومخلا بالسير العادي للدراسة، ليس فقط لأن تأخرهم هذا ينعكس على تصرفاتهم وسلوكهم، مما يؤثر سلبا على بقية المجموعة في المتابعة والتحصيل والعمل، ولكن لأن ذلك ينعكس على المعلم الذي لا يستطيع أن يوفق في عمله بين الفئة المتخلفة والفئة العادية، فتكون المعلم مبني على الفئة الثانية، وهذا النقص وعدم التكفل الجيد بهم من طرف المدرسة في كل الحالات يؤدي بهم حتما إلى مغادرة المدرسة، وينعكس كذلك على الأسرة، إذ يصبح عبئا ثقيلا على كاهلها ومصالحها، وبعد ذلك يضاف إلى أعباء المجتمع ولا يتمكن من مزاولة عمل يشغله بسبب عدم تأهيله.

والخلل الواضح هنا هو غياب تام لما يعرف بالأقسام الخاصة، التي ما زالت منذ وقت بعيد حلما يراود المربين والقائمين على التربية، ووضعت كمشروع لم يتحقق إلى حد الآن وأضعف الإيمان غير موجود، وهو تخصيص استشاري نفسي على مستوى كل مؤسسة للتخفيف من حدة هذا المشكل.

سعيدي بوزيان .الشلف

إلى زوج حائـــر(*)

السعادة الزوجية ليست منحة بل كسبا(1)

التحلي باللباقة يحقق في الحياة الزوجية ما لا يحققه الجمال أو المال، لأنه الكفيل بأن يضمن للزوجين السكينة والصفاء وهدوء البال.

واحترام الزوجة أيضا يجعلها تتميز يوما بعد يوم وستلاحظ هذا التميز وستسعد به أيضا، واحترامك لزوجتك من أنجع الطرق للتوصل لهذه النتيجة المرضية، التي لا تنتهج أسلوب التحقير والازدراء أبدا، هذا لا يصحح عيبا ولكن يجرح شعورا ويزيد في حدة العناد.

لا تهمل قضايا الحياة الزوجية، إن الرجل ليقضي يوما كاملا يلمّع سيارته حتى يصبح لونها زاهيا لكن يغضب إذا أخذت مشكلة عائلية أكثر من عشر دقائق.

اللباقة، احترام الزوجة، الاهتمام بقضايا الحياة الزوجية، وغيرها من السلوكات الأخلاقية تعلمها أيها الزوج، مارسها ثم أتقنها.

من غير المعقول أن نصل إلى تدني أسلوب تفكيرنا إلى هذا الحد، وخاصة ونحن في هذا العصر، أصلا نحن «مسلمون»، لا يجب أن نجهل في أثناء حياتنا على هذه المعمورة أن قانون السببية من أهم القوانين التي أوصلت عقولنا بإذن الله إلى معرفته عز وجل واتباعنا لرسوله، صلى الله عليه وسلم، ونعلم يقينا أنه لا وجود للصدفة فكيف إذن نجد الواحد منا شبه غائب لا يؤدي واجبه المنوط به داخل الأسرة وهو يتمنى لها الدوام والسعادة.

(*) بقلم: أم أسامة.

صحتك في غذائـــك

كيف تختار الغذاء المناسب لعملك أو نشاطك الذي تبذله خلال اليوم؟

- للذين يعملون أعمالاً إدارية وفكرية (كالطلبة ورجال الأعمال والموظفين في مكاتبهم) يحتاجون إلى الحليب والأجبان والبيض وحبوب القمح والأسماك والبندق

واللوز، وأن يقللوا من المنبهات كالقهوة والشاي، لأن لها تأثيرا على التمثيل الغذائي داخل الجسم.

- وإلى الذين يتعرضون إلى مواقف عصبية أثناء عملهم: يحتاجون إلى الخضار الكثيفة (طبق من الخضروات الطازجة) سلطة، ونوع من الفاكهة، وقطعة من الجبن، ويجب عليهم الإقلاع عن أكل اللحوم بكثرة، ولا بأس بتناول الخس أو الجزر أو البطاطا.

- الذين يعملون بعضلاتهم يحتاجون إلى مصدر غني بالطاقة مثل المواد السكرية والدهنية.

1215 سوريـــا استشهـدوا تحـت وطـأة التعذيـب منـذ بداية الثـــورة

قالت الشبكة السورية لحقوق الإنسان إن 1215 مواطنًا سوريًّا لقوا مصرعهم تحت وطأة التعذيب منذ بداية الثورة، بينهم 17 امرأة و34 طفلاً و23 مسنًا تجاوزت أعمارهم الستين.

وأشارت الشبكة، في سياق تقرير نشرته اليوم، عما وصفته بالتعذيب المنهج الذي تمارسه قوات النظام السوري في المعتقلات- إلى أن عدد المعتقلين بلغ قرابة 194 ألفًا، بينهم 4500 امرأة وتسعة آلاف معتقل دون سن الثامنة عشرة، وذلك حسبما أفادت قناة (الجزيرة) الفضائية.

ووثقت الشبكة عشرات الأساليب والوضعيات التي استخدمها النظام السوري والتي كان أكثرها استخدامًا هو الضرب على مختلف أنحاء الجسم وبأدوات مختلفة كالعصي وكبلات الكهرباء، واقتلاع الأظافر، ونتف الشعر، وانتزاع اللحم بملاقط معدنية، وتقطيع الأعضاء، والطعن وحرق الجلد بالأحماض.

وتأتي حلب على رأس قائمة المحافظات السورية بالنسبة للمعتقلين؛ حيث يبلغ عددهم نحو 40 ألفًا، ثم تأتي محافظة حمص بأكثر من 35 ألفًا، تليها محافظة ريف دمشق بنحو 30 ألفًا، ثم حماة وإدلب بأرقام تزيد على 20 ألفًا، ودمشق برقم يناهز 18 ألفًا.

ويبلغ عدد المختفين قسريًّا في سوريا نحو 60 ألفًا، وأوضحت الشبكة السورية لحقوق الإنسان أنها تمكنت من توثيق قوائم بأسماء نحو 32 ألفًا منهم، وهي تحاول الاتصال بأهالي الكثير من المفقودين، لكنهم يرفضون التحدث بسبب الخوف على حياة المفقودين من الانتقام.

وكالات

المـؤتمـــر السنـــوي لـمسلمـــي فرنســا ينتظـــر 200 ألف مسلم

تستضيف قاعة المعرض بباريس لبورجيه المؤتمر السنوي الثلاثون لمسلمي فرنسا في الفترة من 28 مارس حتى 1 ابريل 2013 تحت عنوان: رسالة الإسلام: السلام العدالة الكرامة.

ومن المتوقع أن يزيد عدد الحضور هذا العام عن 200 ألف مسلم على مدى أربعة أيام مقارنة بالعام الماضي الذي حضره 150 ألف مسلم، لأن مؤتمر لبورجيه أخذ الصبغة الأوربية حيث يتوافد عليه آلاف من مسلمي أوربا من الدول المجاورة كايطاليا وألمانيا وإسبانيا وانجلترا وسويسرا وغيرها، ويأتي مؤتمر هذا العام في أجواء مختلفة عن المؤتمر الماضي، حيث تغيرت الحكومة وذهب ساركوزي الذي عرف بعدائه للمسلمين في فرنسا، وعقد مؤتمر العام الماضي في ظل غياب عدد كبير من الدعاة الإسلاميين التي قامت حكومة ساركوزي بمنع حضورهم وهم مفتي القدس السابق الشيخ عكرمة صبري، والداعية السعودي عائض القرني، والدكتور راغب السرجاني والداعية المصري صفوت حجازي، الشيخ المقرئ السعودي عبد الله بصفر، بالإضافة إلى الشيخ محمود المصري والداعية الإسلامي يوسف القرضاوي، مما جعل المسلمين يصوتون لهولاند في الانتخابات الأخيرة التي فاز بها لذا يتطلعون أن يكون خيرا مما سبقه، وفي مقابلة لموقع إسلام أوربا مع رئيس المؤتمر الأستاذ

نصيف الجزائري أبلغنا بأن مؤتمر هذا العام سيكون فيه اختلاف كثيرا، وسيكون مميزا عن المؤتمرات السابقة، لأنه سيكون هناك احتفالية لمرور 30 عاما على تنظيم اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا لمؤتمر باريس، وسيكون هناك عرض لانجازات الاتحاد في هذه الفترة وما تم تقديمه لخدمة المسلمين في فرنسا، وأخبرنا أنه سيكون هناك لأول مرة منتدى للشباب يضم شباب من 15 دولة أوربية، وستكون هناك تظاهرة للشباب وسيكون شباب أوربا الضيف الشرفي لمؤتمر هذا العام ولأول مرة سيكون منتدى للقرآن والسيرة النبوية تحت إشراف كبار علماء المسلمين لم يتم الفصح عن أسمائهم لتكون مفاجأة المؤتمر، وخلاف ذلك سيكون هناك معرض السيرة النبوية والإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، وستقوم العديد من الفضائيات ببث المؤتمر وستكون هناك ندوات على هامش المؤتمر.

أول مفتـــي منتخـــب للديـــار المصريـــــة

أعلن فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر أن الدكتور شوقي إبراهيم عبد الكريم، أستاذ الفقه الإسلامي والشريعة بجامعة الأزهر «فرع طنطا» حصل على أعلى نسبة تصويت من أعضاء هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف لاختيار مفتي الجمهورية خلفًا للدكتور علي جمعة، عقب إجراء اقتراع سري خلال اجتماع الهيئة برئاسة الدكتور أحمد الطيب اليوم الاثنين.

ويعد الدكتور شوقي عبد الكريم أول مفتي منتخب بعد تعديلات قانون الأزهر، ومن المقرر أن يتولى المنصب عقب انتهاء ولاية الدكتور علي جمعة المفتي الحالي مطلع مارس المقبل.

كانت اللجنة المشكلة من قبل هيئة كبار العلماء قد تقدمت بعدد من الأسماء التي تنطبق عليها شروط الترشح لمنصب مفتي الديار المصرية، حيث يتم اختيار 3 أسماء من بينهم ومن ثم يُجرى اقتراع سري عليهم، وفي النهاية يُرفع اسم الحائز على أعلى الأصوات لرئيس الجمهورية للتصديق عليه واعتماده.

ومن الجدير بالذكر أن المشير محمد حسين طنطاوي، رئيس المجلس العسكري السابق قد أصدر قرارًا في فبراير 2012م، رقم 109 لسنة 2012 بالتجديد للدكتور علي جمعه مفتي الجمهورية لمدة عام، والذي من المقرر أن تنتهي ولايته مطلع مارس المقبل.

الدكتور شوقي عبد الكريم المفتي الجديد هو أستاذ بقسم الفقه بكلية الشريعة والقانون جامعة طنطا، حيث يقوم بتدريس المذهب المالكي، وقد تمت إعارته للعمل بسلطنة عمان من قبل.

قصة الإسلام - وكالات

الجامعة العربية ترصد سياسة صهيونية ممنهجة لابتلاع أراضي الضفة الغربية

اتهمت جامعة الدول العربية الكيان الصهيوني باتباع سياسة ممنهجة للسيطرة على معظم أراضي الضفة الغربية لضمها للمستوطنات أو إقامة مغتصبات جديدة عليها، ومعظم هذه الأراضي خاصة بقرى فلسطينية يقوم أهلها بزراعتها ورعي أغنامهم فيها، وهي امتداد طبيعي لتوسع تلك القرى.

وأفاد بيان لقطاع فلسطين والأراضي العربية المحتلة بجامعة الدول العربية بأن الكيان الصهيوني يقوم بمصادرة هذه الأراضي بالقوة العسكرية وباستعمال أقصى درجات العنف ضد المواطنين الفلسطينيين أصحاب الأرض، مشيرًا إلى أنه خلال الأيام القليلة الماضية قام الكيان الصهيوني بمحاولة مصادرة أراض تابعة لقرية (يطا) في محافظةً الخليل بعد أن دمرت آبار المياه وبعض البيوت، فلجأ المواطنون الفلسطينيون للدفاع عن أراضي قريتهم إلى إنشاء قرية رمزية تحت اسم كنعان فانقض الجيش الصهيوني على المواطنين وأزال الخيام التي نصبوها وأطلقت عليهم خراطيم المياه الملوثة واستعملت القسوة والعنف في تفريقهم.

وأكد البيان أن الكيان الصهيوني يفرض على الفلسطينيين قوانين يصدرها هو وتتعارض مع القانون الدولي، وتطالب الفلسطينيين بالامتثال لهذه القوانين، وهو أمرٍ خطير للغاية يستوجب تدخلاً دوليًّا من الدول دائمة العضوية بمجلس الأمن واللجنة الرباعية الدولية وكل منظمات حقوق الإنسان لوقف هذه الجرائم الخطيرة على الأمن والسلم الدوليين.

وكالات

بريطـانيـــا:
السجن عقوبة الإساءة العنصرية للمسلمين

قضت محكمة «سوانزي» في «ويلز» البريطانية على «ريكي لي ديفيز» - أحد المستشارين الماليين - بالسجن 8 أسابيع مع إيقاف التنفيذ لمدة عام، والمراقبة لمدة 12 شهرًا، و150 ساعة في الخدمة الاجتماعية، ودفع 85 جنيهًا إسترلينيًّا - في إدانته بارتكاب جريمة عنصرية بعد نشره تعليقات على صفحته بموقع التواصل الاجتماعي «تويتر»، استهدفت الإساءة للمسلمين، وخاصة الباكستانيين.

وقد أشار المدعي أن المتهم أدين بموجب قانون الاتصالات لعام 2003، وأكدت المحكمة أيضًا - في استنكار تعليقاته المسيئة - أن المتهم لديه «عطب فكري وآراء عنصرية بالية».

قصة الإسلام – وكالات

مديـــر المخـــابرات الأمريكية يعتنـق الإســـلام

قال خبير أمريكي إن هناك ما يشير إلى أن من رشحه أوباما لمنصب مدير سي.آي.أيه خلفاً للجنرال المستقيل، ديفيد بتريوس، وهو الأيرلندي الأصل جون برينان البالغ عمره 57 سنة، اعتنق الإسلام حين كان بين 1996 و1999 مديراً لمحطة الاستخبارات الأمريكية في سفارة الولايات المتحدة بالرياض .

وأوضح جون غوادولو الخبير الأمريكي بالشؤون الإسلامية والعميل السابق في أف.بي.آي في مقابلة إذاعية مصورة عبر سكايب في الوقت نفسه، أعدها معه مواطنه الإذاعي الشهير توم ترينتو، لبرنامج ترينتو راديو شو وتابعتها العربية.نت بالكامل مع أنها استمرت ساعتين، وهي موضوعة على يوتيوب منذ جرت السبت الماضي أن برينان اعتنق الإسلام في السعودية وقام بزيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة أثناء موسم الحج برفقة مسؤولين سعوديين، ربما عملوا

أثناء معرفتهم به إلى جعل الإسلام محبباً إلى قلبه وأليفاً لمشاعره، فاعتنق الدين الحنيف وبقيت هذه النقلة سراً شخصياً في حياته، بحسب العربية نت .

وبث البرنامج لقطة مهمة في فيديو، بدت مشوهة جدا عبر شاشة سكايب أثناء المقابلة، ولكن مع صوت واضح، وفيها يقول برينان إنه زار مكة والمدينة، الممنوع دخولهما على غير المسلمين، وبشكل أشد صرامة واستحالة أثناء موسم الحج مما يؤكد اعتناقه للإسلام، بحسب ما استنتج عميل أف.بي.آي السابق جون غوادولو.

وكالات

قضية الحجاب، والعلمانيون الجدد في فرنسا

أ.د / مولود عويمر *

أصبح الحجاب يشكل مصدر قلق للنخب السياسية وصناع القرار في فرنسا، واعتبر كثير منهم وعلى اختلاف اتجاهاتهم السياسية وقناعاتهم الفكرية أن هذا اللباس يمثل ضربة قوية لمبدأ العلمانية وترسيخا لسيطرة الرجل على المرأة.

وتنطلق هذه القراءات لمسألة الحجاب من خلفيات أيديولوجية قديمة ولا تنبع من دراسة جادة للواقع الإسلامي في فرنسا ولا من التعمق في معرفة الأسس الدينية التي قامت عليها فكرة الحجاب فهما وتنزيلا.

هل حقا أن الحجاب يمثل خطرا على حاضر ومستقبل العلمانية في فرنسا؟ هل العلمانية ضعيفة إلى هذه الدرجة، يهدد مصيرها سلوك ديني أو تمثل خارجي للتدين؟ ما هي الأسباب الحقيقية وراء الموجة الراهنة المتحملة بصورة شعواء على الرموز الدينية بشكل عام والحجاب الإسلامي بصورة خاصة؟

في رحاب العلمانية القديمة

لقد استفاد المسلمون المقيمون في فرنسا كثيرا من ميزات العلمانية القديمة فاستغلوا مبدأ فك قبضة الدولة على الدين في ممارسة شعائرهم الدينية (الصلوات، الاحتفال بالأعياد والمواسم،...) وبناء مؤسسات إسلامية (مساجد، مراكز، جمعيات...) وإقامة مشاريع اقتصادية إسلامية (تسويق لحم الحلال، وكالات الأسفار، شركات الاستيراد والتصدير،...) ومؤسسات ثقافية وتربوية (دور الطبع والترجمة والنشر، قنوات إذاعية، مدارس ومعاهد، صحف ومجلات...).

وأريد أن أشير هنا إلى مثال واحد يضعنا في الصورة ويدعم ما قلناه وهو ظاهرة تنظيم الحج من طرف وكالات الأسفار عوضا من وزارات الأوقاف كما هو سائد في العالم الإسلامي وهي عملية ناجحة لحد الآن ومكن أن تعم في البلاد الإسلامية.

ليست هناك معلومات دقيقة تضبط عدد زوار البقاع المقدسة المتجهين من فرنسا في كل عام، لكن المؤشر العام يؤكد على التزايد خاصة لدى الشباب المسلم المقبلين على أداء سنة العمرة في شهر رمضان لاسيما في السنوات الأخيرة حيث تناسب موعد العطل الدراسية مع هذا الشهر المبارك.

ويصرح كثير من المسؤولين في المؤسسات الإسلامية بإقبال الغربيين -في مختلف شرائحهم الاجتماعية- على اعتناق الإسلام وتزايد الزواج الشرعي أمام الإمام بقراءة الفاتحة وشهود العائلة على هذه المناسبات بعد أن كانت النزعة الفردانية هي السائدة في مختلف جوانب الحياة الغربية.

واستطاعت المؤسسات الدينية والجمعيات الإسلامية أن تتجاوز خلافاتها ونزاعاتها الضيقة وطموحاتها ومصالحها الخاصة لتشكل هيئة إسلامية كبيرة واحدة تمثل مختلف المسلمين المقيمين في فرنسا أمام السلطة الفرنسية وهو «المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية» الذي ينتخب أعضاؤه كل سنتين. ومهما قيل عن نقائص هذا المجلس فهو مكسب كبير للإسلام والمسلمين في فرنسا ودعم للمشروع المتفتح للتعددية الدينية والتنوع الثقافي الذي ينشده العقلاء والراشدون من المسلمين والغربيين.

هل كل هذه المكاسب السياسية والاجتماعية والاقتصادية هي المصدر الأساس للقلق من الإسلام في الوسط العلماني الفرنسي؟

الحجاب في المشهد الثقافي الفرنسي

ظهر الحجاب منذ سنوات في فرنسا وغيرها من الدول الأوروبية. واعتبر في البداية لباسا يخضع لعادات وتقاليد الشعوب الإسلامية المرتبطة بخلفيات تاريخية وطبيعة المجتمعات الإسلامية المتخلفة. وكان أكثر المتحجبات على اختلاف أنواع الحجاب بحسب الدول الإسلامية، نساء أميات حضرن إلى الغرب في إطار التجمع العائلي والاستقرار المؤقت في ديار الغرب.

ولكن مع التسعينيات من القرن الماضي تبين أن مواصفات المتحجبات تغيرت وأن غالبيتهن هن من اللواتي ولدن في الغرب وتعلمن في المدارس الغربية وهن لا يجدن تعارضا صريحا بين انتمائهن للغرب وممارستهن الدينية ما دامت الدساتير الغربية تنص على حرية التدين. وهنا يكمن الخطر في نظر العلمانيين الجدد الذين يعتبرون هذه العودة القوية المعلنة إلى الدين وانتشار مظاهر التدين في المجتمع الفرنسي القائم منذ الثورة الفرنسية على مسار عزل الدين وتحجيم تأثيره في حياة الناس، دلالة على فشل مشروعهم الاجتماعي اللائكي وتراجع في مكاسبهم وقصر رؤاهم الإستشرافية التي لم تتنبأ بهذا الزحف الديني في أوروبا لأنها اعتبرت انتصارها في معركة تحجيم الدين قد حسم نهائيا!

اهتمت كل وسائل الإعلام الفرنسية بقضية الحجاب، وتناولها بالتعليق كثير من المثقفين مهما كانت تخصصاتهم العلمية فلم يعد الأمر متعلقا فقط بالجانب العلمي مادامت القضية تخص في نظرهم مصير الديمقراطية وحياة أو موت العلمانية والنظام الجمهوري في فرنسا.

وقد خصصت المجلات والجرائد الفرنسية ملفات ومحاور لمسألة الحجاب وحملت صفحاتها الأولى صورة لامرأة متحجبة مع تعاليق مثيرة ومغرضة. والملفت للنظر أن الحملة على الرموز الدينية كانت في السابق في فرنسا يتزعمها التيار اليساري بينما اليوم كل التوجهات السياسية والأيديولوجية تجد من بين زعمائها وأفرادها من يتبنى مواقف متطرفة من الحجاب تصلها بصورة إهانة الإسلام للمرأة وهيمنة الرجل المسلم عليها.

هذا الخطاب الذي ساقه المستشرقون في بداية القرن العشرين واستنزف طاقات العلماء والمفكرين المسلمين خلال القرن الماضي، يعود من جديد بقوة، وقد تجاوز فضاء النخبة ليمس كل قطاعات المجتمع الغربي ويصبح نقاشا داخليا يصيب أيضا هذا «المجتمع الآخر» في عمقه ويشغل علماءه وقادته لزمن غير يسير.

والحديث عن قصور المرأة المسلمة بسبب أنها ترتدي الحجاب خوفا من عائلتها (الزوج، الأب، الأخ) وليس بناء على قناعة دينية يجعلني أتساءل: هل المرأة الأوروبية تتمتع حقا بحرية مطلقة تضاهي حرية الرجل في المجتمع الغربي؟

لا شك أن المرأة الأوروبية استطاعت أن تتحصل على حقوق كثيرة لكنها بقيت في نظر المشرع الأوروبي قاصرة بالنسبة للرجل ماعدا في القوانين المتعلقة بالأسرة وكفالة الأبناء.

ولم يكتف العلمانيون الجدد بالحملة الإعلامية على الحجاب بحيث راحوا يبحثون عن مسوغات دينية لرؤاهم المتطرفة يستمدونها من داخل تناقضات العالم الإسلامي ويبررون مواقفهم المعادية للحجاب بفتاوى شرعية تحصلوا عليها من بعض المرجعيات الدينية الإسلامية -المنبوذة سابقا- تزكي هذه القوانين العلمانية الجديدة بغض النظر عن تداعياتها وإقصائها لقسم من مواطنيها المسلمين والملايين من إخوانهم المقيمين في الغرب بصورة شرعية والمساهمين بفعالية في تطوره الاقتصادي وتفوقه العلمي.

وهكذا، توظّف العلمانية الجديدة تناقضات المتدينين واختلافات المذاهب والمدارس الدينية لهدم الدين نفسه بعد أن كانت المعركة في الماضي بين نصوص الإيمان ونظريات الإلحاد.

ويسعى هؤلاء العلمانيون الجدد من خلال الحملة على مصادرة حق التمسك بالرموز الدينية في المدارس العمومية إلى تحجيم نشاط الجمعيات الخيرية الإسلامية باسم مكافحة الإرهاب أو بتهمة عدم الالتزام بضوابط العلمانية التي تقوم عليها المجتمعات الغربية وبالتالي تهديدها للأمن العام. وإذا نجحت هذه الأصوات في تحقيق مرادها في الولايات المتحدة الأمريكية فإن تأثير خطابها في هذا المجال بالذات بقي محدودا لحد الآن في فرنسا.

مستقبل الحجاب والتدين في فرنسا

إن مستقبل التدين الإسلامي في الغرب مرهون بمدى قدرته على التكيف مع المظهر العام للمحيط الغربي فلا نبني مثلا مسجدا بالحجارة في وسط ساحة كل بناياتها مصنوعة من زجاج. أو نبي مركزا إسلاميا من زجاج في وسط كلها بناياته مكونة من الخطب كما هو سائد في دول شمال أوروبا. وقد عشت شخصيا تجربة طريفة حينما بحثت عن المركز الثقافي الإسلامي بجنيف، الذي لم أجده إلا بصعوبة رغم وقوعه في شارع كبير ورغم حفظي لعنوانه، وذلك لسبب واحد وهو أنني لم أميزه عن البنايات الأخرى، وكان لاصقا في ذهني صورة مسجد أو بناية على النمط الشرقي بينما هو مبني بشكل عصري متجانس مع البنايات المجاورة له.

والذوق الجمالي لابد منه وكل مظهر إسلامي أو سلوك إسلامي عليه أن يحافظ على النسق العام للمكان أو الوسط الذي يعيش فيه. فالزي الإسلامي عليه أن يحترم هذه الخصوصيات العامة للفضاء الأوروبي والأمريكي حتى يتقبله الغربيون عوضا من أن ينفروا منه ويعادوه بشدة. وكثيرا ما شاهدت في باريس مناظر وسلوكيات للنساء والرجال المسلمين وكأنهم يعيشون في شوارع كابول... ولاحظت بنفسي علامات الاستغراب والنفور على وجوه الأوروبيين وسمعت منهم كلاما لا يخدم مصالح الوجود الإسلامي في الغرب ويسيء للإسلام بشكل عام.

وقد بيّن المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية -وهو مؤسسة جديدة- مدى تفاعل المسلمين في هذا البلد مع القضايا الكبرى التي تمس المجتمع الفرنسي وكانت مساعيه الدبلوماسية من أجل تحرير الرهائن الفرنسيين في العراق وما تابعها من اعترافات الحكومة الفرنسية وتقدير الإعلام الفرنسي لجهوده ومساعيه، نموذجا رائدا لكل الهيئات الإسلامية التي تنشط في الغرب والتي يمكن أن تكون جسرا قويا بين العالم الإسلامي والدول الغربية ومحاميا ناجحا للدفاع عن القضايا الإسلامية المصيرية لدى الرأي العام الغربي الذي لم ننجح كثيرا لحد الآن في إقناعه بمناصرة دائمة لقضايانا العادلة.

إن قضية الحجاب كشفت بشكل واضح تطرف العلمانية الفرنسية وخروجها عن حيادها مكرسة العداء القديم الذي تكنه للدين ورموزه ورجاله... وأكثر من ذلك يأبى العلمانيون الجدد أن يكون للمسلمين وما يحملونه من تراث ثقافي ورصيد حضاري دور فعال حقيقي في المجتمع الغربي ونصيب في إعادة تشكيل مشروع فكري وأيديولوجي يجيب على الأسئلة والإشكاليات التي أفرزتها أزمة الحداثة الغربية الراهنة.

وهؤلاء العلمانيون الجدد يسعون لإيجاد حلول لها من التراث الغربي البحت متجاهلين المعطيات الجديدة للغرب وما يتسم نسيجه الاجتماعي من التعددية الدينية والتنوع الثقافي.

يمثل الإسلام فرصة ثمينة لفرنسا لما يحمله من قيم إنسانية تتكامل مع مبادئها النظرية العادلة؛ والمسلمون الفرنسيون والجاليات الإسلامية وما يقدمونه من خدمات متعددة للمجتمع الفرنسي يضيف قوة جديدة إلى القوة الموجودة المتميزة وتجعل النسيج الاجتماعي الفرنسي أكثر تماسكا وتلاحما. والانسجام الاجتماعي سبيل للاستقرار السياسي ومنفذ للتطور الاقتصادي. فهل يعي العلمانيون الجدد في فرنسا وفي غيرها من الدول الغربية هذه القاعدة البسيطة في فلسفة التاريخ والحضارة؟

* **عضو المكتب الوطني مكلف بالتراث والبحث العلمي.**

وفـد موريتـانـــي فـي زيـــارة للـجـمـعيـــــة

زار يوم الثلاثاء 12 فيفري 2013، مقر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حسين داي الجزائر، وفد موريتاني متكون من الأستاذين، محمد غلام الشيخ نائب رئيس حزب تواصل الموريتاني وعضو جمعية المستقبل، والمصطفى السعد مسؤول العلاقات بالحزب، وكان في استقبالهما رئيس الجمعية الدكتور عبد الرزاق قسوم، وأعضاء من الكتب الوطني وهم: د. عبد المجيد بيرم، والأستاذ زبير طوالبي، والأستاذ التهامي مجوري

تغطية: تميم

عرض الأستاذ محمد غلام للواقع الموريتاني بالرواية والتحليل وتقلباته منذ احتلاله سنة 1905 إلى اليوم، وللعلاقات التي تربط الشعبين الجزائري والموريتاني، ولعلاقة الموريتانيين وعلمائهم بجمعية العلماء تحديدا، كما أشاد بالجمعية وبما تقوم به، وقال في هذا السياق لا نريد إثقال كاهلكم بهمومنا الحزبية السياسية، وإنما ما يربطنا بجمعية العلماء أكبر من مجرد نضال سياسي حزبي، وركز على ذكر أنشطة «جمعية المستقبل» التي هو عضو فيها وهي برئاسة الشيخ حسن ولد ددو، فهي جمعية تلتقي وجمعية العلماء في المبادئ والغايات.

وتمنى ضيف الجمعية أن يكون هناك تواصل بين جمعية العلماء وجمعية المستقبل لما بينهما من تشابه في الغايات والمقاصد، فجمعية المستقبل، جمعية يرأسها رجل يعد من أكابر العلماء في العالم الإسلامي، ومن أشهر الحفاظ للتراث الإسلامي اليوم، ومهمتها التي قامت لأجلها، هي الفعل الثقافي والدعوة إلى الله، والإهتمام تحديدا بهموم غرب إفريقيا والمغرب العربي، فأنشأت لذلك منتدى للوسطية ومحاربة التطرف، ومركز لتخريج العلماء ويديره الشيخ محمد الحسن ولد ددو شخصيا، وهو معهد فريد من نوعه في العالم الإسلامي، ومهمته هي تخريج علماء، يجمعون بين التعليم التقليدي والحفظ الذي درجت عليه الأمة في تاريخها الطويل، وحسن الأداء في الواقع، وليس مجرد حفاظ للقرآن يؤمون الناس في الصلاة بالمساجد على أهمية ذلك، وتشرف على تنظيم ملتقى دولي في شهر جوان من كل سنة، ودعا الجمعية إلى المشاركة فيه هذا العام، كما أسست جامعة عبد الله بن ياسين.

ويضيف محمد غلام، انه في أول زيارة له إلى الجزائر منذ حوالي عشر سنوات، كان يظن انه سيجد الجزائر حطاما وأشلاء، ولكنه كما يقول وجد نفسه في أجمل بلد وأكرم شعب وفيه من الحريات ما ليس في كثير من بلاد الإسلام.

ثم تناول الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قسوم رئيس جمعية العلماء الكلمة، مرحبا بالضيف ومثمنا للعلاقات التي بين الشعبين الجزائري والموريتاني، ثم عرج على محطات من تاريخ الجمعية ومسارها قبل وبعد الاستقلال، وحاجة الأمة لمثلها ومثل نشاطها الذي لا يسده نشاط آخر غير الذي انتهجته، فجمعية العلماء التي حملت على عاتقها شعار الثوابت الوطنية -الجزائر والعروبة والإسلام- ، هي أم الجميع والوعاء الجزائري الأصيل الذي لا يستغني عنه من في قلبه مثقال ذرة من حب للجزائر.

يـــوم دراســـي حـــول الشبـــاب والطلبـــة

تحت شعار: يا نشء أنت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب

نظمت شعبة العاصمة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم السبت 16 فيفري الموافق لـ 5 ربيع الاخر 1434هـ، بنادي الترقي، يوما دراسيا بعنوان «الشباب والطلبة»، تحت شعار «يا نشء أنت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب».

تميم

يدخل هذا اليوم الدراسي ضمن نشاط الشعبة الولائية، والأيام الدراسية، التي تنظمها في فترات سابقة، لمسؤولي الشعب البلدية، وقد سبق هذا اليوم الدراسي، أيام أخرى، يوم للإدارة والمالية، ويوم للدعوة والإرشاد، ويوم للإعلام...إلخ.

فقد افتتح النشاط بتلاوة آيات من القرآن الكريم، وكلمة افتتاحية للسيد عبد الرحمن بن دملرجي رئيس شعبة العاصمة، أكد فيها على ضرورة مثل هذا اليوم الدراسي لصرف طاقات الشباب وتوجيهها لخدمة الأمة، ثم تناول الشيخ عبد الرزاق قسوم رئيس الجمعية الكلمة، أثنى فيها على هذه المبادرة التي قامت بها شعبة العاصمة، وشكر المنظمين على اختيارهم لموضوع الطلبة والشباب، الذين هم أمل الأمة والوطن في التغيير؛ لأن هذه الفئة هي التي تحمل القوة المادية والعقلية والعملية.

دعا الشيخ قسوم الشباب إلى التعلق بالمبادئ لا بالأشخاص، وإلى التفاعل مع الواقع والبادرة بالفعل الصالح، كما كان سلفهم من الشهداء والمجاهدين، وقد مقولتين للشيخ محمد البشير الإبراهيمي وهما قوله «لا نرتضي إمامنا في الصف ما لم يكن أمامنا في الصف» وقوله «يا شباب الجزائر هكذا كونوا او لا تكونوا»، وقد ذكّر الدكتور قسوم الحاضرين الذين هم من مثلي الطلبة والشباب من شعب الجمعية البلدية لولاية العاصمة، بما كان يقوم به رئيس الجمعية الأول الشيخ عبد الحميد ابن باديس رحمه الله، في استقطاب طاقة الشباب وتوجيهها لما ينفعها في الدنيا والآخرة، فهو من وضع أساس الفريق الرياضي «مولودية قسنطينة»، وهو من وضع وشجع على الكشافة، وشعار اليوم الدراسي «يا نشء أنت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب»، المقصود به مخاطبة فوجين من أفواج الكشافة في عنابة، وهما فوج «الرجاء» وفوج «الصباح»، كما اهتم ابن باديس أيضا بالتمثيل المسرحي باعتباره فنا من الفنون المؤثرة في توجيه المجتمع، وساحة من ساحات استقطاب الشباب.

كما لم يفت الشيخ قسوم لفت الانتباه إلى أهمية الطلبة في الجمعية من أهل الشهادات المستحقة، باعتبارهم أهل الجمع بين علم الجامعة وأخلاق الجامع، وباعتبارهم من أهل القدرة على تشخيص الداء في المجتمع وإرادة العلاج.

ثم كانت محاضرة الدكتور محمد السعيد مولاي، التي عالج فيها التحديات التي تواجهها الأمة عامة والشباب والطلبة خاصة، وكيفية التغلب عليها، تقرؤون ملخصها في عدد الأسبوع القادم من البصائر إن شاء الله.

جمعية العلماء في زيارة لوزير الشؤون الدينية

قام وفد من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين متكون من الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قسوم، والدكتور عبد المجيد بيرم والأستاذ التهامي مجوري، يوم السبت 16 فيفري 2012، بزيارة عمل لمعالي وزير الشؤون الدينية والأوقاف السيد غلام الله بوعبد الله.

تميم

وقد حمل الوفد معه ثلاث نقاط لمعالجتها مع السيد الوزير وهي:

النقطة الأولى، عمليات التشويه وتسميم العلاقة بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ووزارة الشؤون الدينية والأوقاف، والنقطة الثانية هي سبل التعاون بين الجمعية والوزارة في كل ما يخدم البلاد، في مجالات التدريس المسجدي والإمامة وغيرها من الأمور المشتركة، كما عرض الوفد على معالي الوزير بعض التضييقات التي يعاني منها أبناء الجمعية في بعض الولايات، والنقطة الثالثة، هي أوقاف الجمعية وممتلكاتها التي كانت تشغلها قبل الاستقلال.

بعد كلمة افتتاحية للسيد رئيس الجمعية، عرض فيها لبعض ما جاء من أجله، تناول السيد الوزير الكلمة مرحبا بالوفد وبما جاء به، وأبدى التفهم اللازم في جميع النقاط التي عرضت عليه، معتبرا أن الجمعية رافد من روافد القطاع الديني في البلاد، وقد أشاد بعمل الجمعية وبما تقوم به، ووعد الوفد خيرا في كل ما يساهم في تنمية ساحات النشاط بين الجمعية والقطاع، بما في ذلك النشاط في الولايات، مركزا على استقطاب الكفاءات العلمية وإبرازها، لتحل محلها في منظومة التعليم والدعوة والتوجيه الديني.

وللتذكير فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كانت لها أوقاف قبل الاستقلال، وبعد الاستقلال، وزعت هذه الأملاك على أكثر من قطاع، منها ما حوّل إلى التربية والتعليم ومراكز التكوين بل منها ما حول إلى سكنات، ومن بين هذه الأوقاف والممتلكات، أملاك استغلتها وزارة الشؤون الدينية والأوقاف في بعض نشاطاتها، والجمعية الآن شرعت في العمل على استرجاع هذه الممتلكات أو بعضها على الأقل، حتى تتمكن من القيام برسالتها التربوية والتعليمية، مع اعتبار أن الوقف الذي لم يحول عما وضع له، لا تحرص الجمعية على استرجاعه؛ لأنه يقوم بالمهمة التي وضع لأجلها، كما هو الحال مع معهد ابن باديس، الذي بقي لسنوات طوال مهملا، إلى أن جاء الوزير غلام الله بوعبد الله -كما روى ذلك لوفد الجمعية- فرممه وبعث فيه النشاط من جديد، وجعله معهدا للأئمة.

مؤسسة مولود قاسم تكـــرم الأستـــاذ محمـــد العربـــي دمـــاغ العتـــروس

في إطار نشاطاته الثقافية، نظم المجلس الإسلامي الأعلى، بداية الأسبوع، محاضرة ألقاها محمد العربي دماغ العتروس، الذي تم تكريمه بالمناسبة من قبل جمعية مولود قاسم نايت بلقاسم، بمقر المجلس الإسلامي الأعلى بابن عكنون، بحضور ثلة من الأساتذة والباحثين والمفكرين، إلى جانب شخصيات وطنية وتاريخية وثقافية، وعدد من إطارات المجلس والطلبة.

في بداية الحفل التكريمي، شكر الأستاذ محمد الصغير بن لعلام، رئيس مؤسسة مولود قاسم نايت بلقاسم، الشيخ الأستاذ العربي دماغ العتروس، على تلبيته دعوة الجمعية رغم تقدمه في السن وظروفه الصحية، معتبرا إياه كنزا من كنوز النضال والجهاد والثورة، ومخزونا لذاكرة الجزائر المجاهدة في رموزها ورجالات حركتها الوطنية وثورتها التحريرية.

وبعدها أحيلت الكلمة للأستاذ العربي دماغ العتروس، الذي شكر الجمعية على هذا الاحتفاء، أعرب المجاهد العربي دماغ العتروس عن أمله في أن تعمم هذه المقاصد الشريفة وتسود البلاد، لأنها مقاصد خير وعطاء وتضحية كما قال محررو بيان أول نوفمبر في إطار المبادئ الإسلامية، واستعرض الأستاذ محمد دماغ العتروس مسار حياته النضالية والجهادية والثقافية منذ نشأته وتربيته حتى صار مناضلا مؤمنا بما آمن به الآباء، بوطن عربي اللسان ظلم وسلب وتسلط عليه الأعداء من أجل محو لغته ودينه وعاداته، والعدو هو فرنسا.

وعن حياته، أكد المحاضر العربي دماغ العتروس، أنه تربى في عائلة متدينة، حيث نهل من شيم أهل البادية والريف والمدينة، وعندما كبر وجد في هذه البيئة عائلة حب العربية، وكان في عرف الجزائريين أن البيت الذي ليس فيه أحمد، والبيت الذي لا يوجد فيه من يحفظ القرآن هو بيت خال، والدي كان يحفظ القرآن وكان يقول لأمي عندما يطلب منها شيئا يا ابنة أحمد، فترد عليه، أنا بنت سي أحمد لأن والدها كان يحفظ القرآن الكريم.

وعن كتابة مذكّراته، أوضح المتحدث أنها فكرة مستبعدة، وبرّر ذلك بالاستشهاد برأي الدكتور محمد لمين دباغين، الذي رد على نفس السؤال، وقال له: «لماذا أكتب مذكراتي ولمن أكتبها»، وهو القرار الذي توصّل إليه هو الآخر مع الاحتفاظ بمذكراته لنفسه، خاصة وأنه يرى أن هناك من كتبوا مذكراتهم في الجزائر، وهو لا يفكر في أن يكون واحدا منهم.

واستعاد المتحدث رفقة الحاضرين أبعاد الخلاف الذي عرف قبل الثورة التحريرية بين حزب الشعب وجمعية العلماء المسلمين، ما أرجعه إلى وجود بعض المتعصبين في الطرفين، وهي الإشكالية التي سعى بعض المعتدلين إلى حلها من خلال إيجاد أرضية تفاهم بتقسيم المهام بينهما ليتولى الحزب مهمة النضال السياسي فيما تتولى الجمعية مهمة التعليم والدفاع عن الإسلام، وقد تم برمجة مقابلة بين البشير الإبراهيمي ومصالي الحاج لتجسيد هذا المسعى، إلا أنهما لم يقفا على أرضية اتفاق مشتركة ليبقى الحال على ما هو عليه.

كما عاد محمد العربي، للحديث عن أهم الأسماء التي عايشها بداية من المجاهد الراحل عبد الحميد مهري، مولود بلقاسم نايت بلقاسم والدكتور محمد لمين دباغين وغيرهم، إلى جانب استعادة تفاصيل زيارة الرئيس الراحل محمد بوضياف الذي جاءه ليعرض عليه الإعلان عن الثورة باسمه، وهذا بعد أن فشل في هذا المسعى مع مهري ومحمد لمين دباغين، إلا أنه

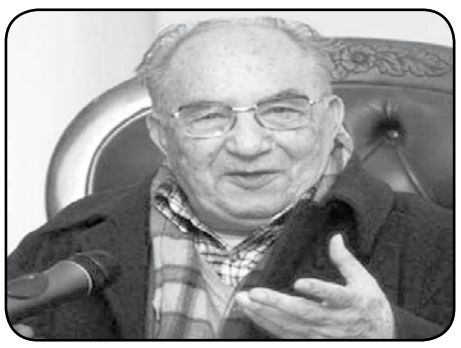

لقي نفس المصير، الأمر الذي أغضبه واضطره للقول «سيتم عن إعلان الثورة بكم أو بدونكم على الرغم من وصفه لهذه العملية بالانتحارية».

وفي آخر اللقاء رفض محمد العربي دماغ العتروس، الرد عن سؤال حول الهوية الحقيقية للسيدة التي خاطت العلم الوطني، واكتفى بالقول إنه أقسم بعدم الرد عن هذا السؤال ليبقى سرا، وأضاف أنه لن يزيد عن أن العلم الوطني من الرموز المقدسة.

وأضاف السيد دماغ العتروس، أنّه في أربعينيات القرن الماضي كان في مدينة الحروش، وعندما كبر انخرط في الحركة الوطنية سنة 1941 وكان كشافا ومرشدا بها، وكانت قريته تعد أكثر من مائة كشاف منهم عبد الرحمن كربوش والسعيد كربوش (كان من العلماء) ومسعود بوقدوم، وقال «بدأت نضالي في الكشافة وشاركت فيها منذ أن أنشأها الشهيد محمد بوراس».

وأضاف «في أربعينيات القرن الماضي كانت فرنسا مهزومة من الألمان وكنا حينها نلاحظ السيرة التي كان يسيرها الفرنسيون وهم محتلون فوجدناهم من أذّل الناس». وروى المحاضر للحاضرين حادثة عاشها والمناضل بن يوسف بن خدة عند زيارتهما للبرازيل وكانت عاصمتها ريو دي جانير من أجل التعريف بالقضية الجزائرية، وكان حينها للسفارة الفرنسية تأثير على حكومتها «فمنعنا من الدخول، وكان مبرر البرازيليين حينها خوفهم علينا، إلا أن سفراء باكستان ومصر ويوغسلافيا الذين كانوا في انتظارنا، اعتصموا في المطار وقالوا للسلطات إذا لم تسمحوا لهم بالدخول سنبقى هنا بالمطار معتصمين، فسمحوا لنا بالدخول». وأضاف «في البرازيل عقدنا ندوة صحفية وكان من بين من حضرها أحد المعمرين الفرنسيين كان قد هاجر إلى البرازيل بعد أن باع أملاكه في الجزائر، وسألنا في هذه الندوة، إذا كنا نحارب من أجل الحرية والاستقلال بصدق، فلماذا يوجد ربع مليون جزائري يحاربون مع الجيش الفرنسي، فأجابه يوسف بن خدة، رحمه الله، حيثما يكون الانكسار يكون العار، وأنتم الفرنسيون حينما دخل الألمان إلى بلادكم طلب 400 مائة ألف فرنسي الجنسية الألمانية». واستطرد الأستاذ محمد العربي دماغ العتروس في حديثه، مؤكدا أن الذي أنقذ فرنسا من الألمان ليس ديغول كما يزعمون، وإنما الذي أنقذها هو بيتان الذي تنازل للألمان عن أشياء كثيرة كانوا يطالبون بها.

واختتم الأستاذ محمد العربي دماغ العتروس كلمته بالقول: «كنا في حزب الشعب وكان شعار جريدة الأمة» (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)، فالمناضلون كانت عقيدتهم إسلامية، ووطنيتهم وطنية إيمان وليس خبز، «لأن المسلم يجب أن يكون سيّد نفسه لا يرضى أن يحكمه الغير» .

متابعة كريم ليشاني

فقه اللغة

شعـــراء العربيـــة: أبـــو الطيـــب المتنبـــي

هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد، أبو الطيب الجعفي الكندي اليمني الأصل من حضرموت في جنوب اليمن الكوفي المولد ، ولد سنة 303 هـ ، وعاش أفضل أيام حياته وأكثرها عطاء في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب، وكان أحد أعظم شعراء العرب، وأكثرهم تمكناً من اللغة العربية وأعلمهم بقواعدها ومفرداتها، وله مكانة سامية لم تتح مثلها لغيره من شعراء العربية، فيوصف بأنه نادرة زمانه، وأعجوبة عصره، وظل شعره إلى اليوم مصدر إلهام ووحي للشعراء والأدباء، وهو شاعر حكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي، وتدور معظم قصائده حول مدح الملوك. ترك تراثاً عظيماً من الشعر، يضم 326 قصيدة، تمثل عنواناً لسيرة حياته، صور فيها الحياة في القرن الرابع الهجري أوضح تصوير. قال الشعر صبياً، إذ نظم أول أشعاره وعمره 9 سنوات. اشتهر بحدة الذكاء واجتهاده وظهرت موهبته الشعرية باكرا.

وجد الطريق أمامه أثناء تنقله مهيئاً لموهبته الشعرية الفائقة لدى الأمراء والحكام، إذ تدور معظم قصائده حول مدحهم. لكن شعره لا يقوم على التكلف والصنعة، لتفجر أحاسيسه وامتلاكه ناصية اللغة والبيان، مما أضفى عليه لوناً من الجمال والعذوبة.

شهدت الفترة التي نشأ فيها أبو الطيب تفكك الدولة العباسية وتناثر الدويلات الإسلامية التي قامت على أنقاضها. فقد كانت فترة نضج حضاري وتصدع سياسي وتوتر وصراع عاشها العرب والمسلمون. فالخلافة في بغداد انحسرت هيبتها والسلطان الفعلي في أيدي الوزراء وقادة الجيش ومعظمهم من غير العرب. ثم ظهرت الدويلات والإمارات المتصارعة في بلاد الشام، وتعرضت الحدود لغزوات الروم والصراع المستمر على الثغور الإسلامية، ثم ظهرت الحركات الدموية في العراق كحركة القرامطة وهجماتهم على الكوفة. في هذا العالم المضطرب كانت نشأة أبي الطيب، وعى بذكائه الفطري وطاقته المتفتحة حقيقة ما يجري حوله، فأخذ بأسباب الثقافة مستغلاً شغفه في القراءة والحفظ، فكان له شأن في مستقبل الأيام أثمر عن عبقرية في الشعر العربي.

وقد اتصل بسيف الدولة بن حمدان، أمير وصاحب حلب، سنة 337 هـ وكانا في سن متقاربة، فوفد عليه المتنبي وعرض عليه أن يمدحه بشعره على ألا يقف بين يديه لينشد قصيدته كما كان يفعل الشعراء فأجاز له سيف الدولة أن يفعل هذا وأصبح المتنبي من شعراء بلاط سيف الدولة في حلب، وأجازه سيف الدولة على قصائده بالجوائز الكثيرة وقربه إليه فكان من أخلص خلصائه وكان بينهما مودة واحترام، وخاض معه المعارك ضد الروم، وتعد سيفياته أصفى شعره. غير أن المتنبي حافظ على عادته في إفراد الجزء الأكبر من قصيدته لنفسه وتقديمه إياها على ممدوحه، فكان أن حدثت بينه وبين سيف الدولة جفوة وسعها كارهوه، وكانوا كثراً في بلاط سيف الدولة. ومن أغر شعر أبي الطيب المتنبي، قصيدته التي هذه بعض أبياتها:

أَرَقٌ عَلى أَرَقٍ وَمِثلِيَ يَأرَقُ
وَجَوًى يَزيدُ وَعَبرَةٌ تَتَرَقرَقُ
جَهدُ الصَبابَةِ أَن تَكونَ كَما أَرى
عَينٌ مُسَهَّدَةٌ وَقَلبٌ يَخفِقُ
ما لاحَ بَرقٌ أَو تَرَنَّمَ طائِرٌ
إِلا اِنثَنَيتُ وَلي فُؤادٌ شَيِّقُ
جَرَّبتُ مِن نارِ الهَوى ما تَنطَفي
نارُ الغَضى وَتَكِلُّ عَمّا تُحرِقُ
وَعَذَلتُ أَهلَ العِشقِ حَتّى ذُقتُهُ
فَعَجِبتُ كَيفَ يَموتُ مَن لا يَعشَقُ
وَعَذَرتُهُم وَعَرَفتُ ذَنبِيَ أَنَّني
عَيَّرتُهُم فَلَقيتُ فيهِ ما لَقوا

★★★

لَم يَخلُقِ الرَحمَنُ مِثلَ مُحَمَّدٍ
أَبَدًا وَظَنّي أَنَّهُ لا يَخلُقُ
يا ذا الَّذي يَهَبُ الجَزيلَ وَعِندَهُ
أَنّي عَلَيهِ بِأَخذِهِ أَتَصَدَّقُ
أَمطِر عَلَيَّ سَحابَ جودِكَ ثَرَّةً
وَاِنظُر إِلَيَّ بِرَحمَةٍ لا أَغرَقُ
كَذَبَ اِبنُ فاعِلَةٍ يَقولُ بِجَهلِهِ
ماتَ الكِرامُ وَأَنتَ حَيٌّ تُرزَقُ

رباعيات البصائر

شعر: الأستاذ رشيد أوزاني
ra_ouzani@yahoo.fr

سبيلُ الاعتِدال ...

كُنْ دائِمًا مُعْتدِلاً ، مُحافِظًا
عَلى نِظامٍ ثابتٍ مُلازِمِ

★★★

وَ دعْ سَبيلَ المُتطرِّفِ الذي
لا يَهْتدي في السَّيْر بالمَعالِمِ

★★★

خيْرُ الأمور مَا يَدومُ نفعُهُ
أفخرْ بفِعْلٍ صالِحٍ وَ دائِمِ

★★★

وَخيْرُها أوْسَطُها كما رَوَى
أهْلُ الحِجَى والفضْل والعَزائِمِ

سوائـــر الأمثـــال

أكـــرم من حاتـــم الطائـــي

سأل رجل حاتم الطائي، وهو مضرب أمثال العرب في الكرم، فقال: يا حاتم هل غلبك أحد في الكرم؟ قال: نعم غلام يتيم من طي نزلت بفنائه وكان له عشرة رؤوس من الغنم، فعمد إلى رأس منها فذبحه، وأصلح من لحمه ، وقدم إلي وكان فيما قدم إلي الدماغ فتناولت منه فاستطبته.

فقلت: طيب والله، فخرج من بين يدي وجعل يذبح رأساً رأساً ويقدم لي الدماغ وأنا لا أعلم، فلما خرجت لأرحل نظرت حول بيته دماً عظيماً وإذا هو قد ذبح الغنم بأسره.

فقلت له: لم فعلت ذلك؟

فقال: يا سبحان الله تستطيب شيئاً أملكه فأبخل عليك به، إن ذلك لسُبة على العرب قبيحة!

قيل يا حاتم: فما الذي عوضته؟

قال: ثلاثمائة ناقة حمراء وخمسمائة رأس من الغنم.

فقيل: إذاً أنت أكرم منه.

فقال: بل هو أكرم، لأنه جاء بكل ما يملك وإنما جدت بقليل من كثير.

فصيح اللغة

بـــدَّل واستبـــــدل

يخطئ الكثير من أهل اللسان العربي في استخدام الفعل (بدّل) ومشتقاته، فيقول بعضهم حين يترك القلم مثلاً ويأخذ الكتاب (بدلت القلم بالكتاب) والصواب بدلت أو استبدلت بالقلم الكتاب، أو استبدلت الكتاب بالقلم. فالشيء المتروك هو المتصل بالباء احتجاجاً بكتاب الله العظيم في بني إسرائيل ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾/ البقرة، 61، فالخير هو المتروك هنا.

بعثت الأستاذة الفاضلة والقارئة الوفية انتصار إسمهان مقالا طريفا عن الأدب الإغريقي وأساطيره الحافلة بالآلهة وخوارق العادة المنسوبة إليها. ونحن نشكر لها اجتهادها، وننشر عملها تشجيعا لها على مواصلة الاشتغال على هذه المواضيع الثرية.

الآلهـــة فـــي أساطيـــر الإغـــريـــــق

حرب طروادة، ملخص سبب قيامها:

كان الإغريق يلجأون للعرافات لقراءة مستقبل أبنائهم، فكان أن تنبأت العرافات لملك طروادة آنذاك بريام بأنه سيرزق بولد يكون سببا في دمار طروادة، ويولد هذا الولد الذي منح اسم باريس، فيأمر والده أحد خدمه بالتخلص منه، لكن هذا الأخير يضعه على رأس جبل لينشأ راعيا.

ومن جهة أخرى وعلى رأس جبل الأوليمب يحدث نزاع بين الربات الثلاث: هيرا- إلهة الزواج- وأثينا- إلهة الحكمة- وأفروديت- إلهة الجمال-، بسبب عدم دعوة إلهة النزاع إيريس إلى عرس ثيتس -هي واحدة من إلهات البحر-.

فقررت إلهة النزاع إيريس أن تنتقم لعدم دعوتها للعرس وألقت بين المدعوين تفاحة ذهبية مكتوب عليها (للأجمل) لتثير بينهم النزاع، وقام النزاع فعلا بين الآلهة الثلاث : أيهن أحق بهذه التفاحة.

وحسما للنزاع قرر زيوس- ملك الآلهة- أن يلجأ إلى تحكيم أجمل البشر من الرجال، ألا وهو باريس بن بريام ملك طروادة.

سعت الإلهات الثلاث إلى كسب ثقة باريس من أجل الحصول على التفاحة الذهبية، فوعدته هيرا بالعظمة الملكية، ووعدته أثينا بالنصر في الحروب، ووعدته أفروديت بأن تزوجه أجمل نساء العالم، فحكم لهذه الأخيرة بالتفاحة.

حققت أفروديت وعدها لباريس، فأخذته إلى طروادة من جديد، وقدمته إلى أهله كأمير لهم ففرحوا بعودته، ولم تتمكن أخته كاساندرا من ثنيهم عن هذا رغم تحذيرهم بأنه يحمل لهم دمار طروادة، لأنه يقال أن الإله أبولو أحبها فلما صدته وهبها البصيرة وحرمها من أن يصدقها أحد، فظل الجميع يتعاملون معها على أنها مجنونة.

ولتفي بوعدها له قامت أفروديت بإرساله إلى إسبارطة، وكان يحكمها أنداك ملك يسمى منيلاوس، فوقع في غرام زوجته هيلين، التي كانت قد عُرفت بأنها أجمل امرأة في العالم.

فأخذ باريس هيلين معه إلى طروادة، مما أغضب منيلاوس، وأقسم شعب الإغريق، على الانتقام من باريس، ومن شعب طروادة، وبذلك قامت الحرب.

أسطورة أوديب

من عادات الإغريق- كما ذكرنا آنفا- اللجوء إلى العرافات والدجالين لقراءة مستقبلهم، فتنبئ لملك طيبة بأنه سينجب ولدا سيقوم فيما بعد بقتله ويتزوج بزوجته والتي هي أمه. وحين مولد هذا الطفل حاول الملك التخلص من هذا الولد وذلك بدق المسامير في قدمه ومن ثمة رميه فوق جبل - وحمل الطفل اسم أوديب وهي كلمة يونانية و تعني (صاحب الأقدام المتورمة (-.

لكن الطفل لم يمت وتربى في كنف أسرة مالكة حيث نشأ كالأمراء، ولما كبر أوديب أراد أن يعرف موطنه الحقيقي ولكن العراف قال له بأن هناك خطرا ينتظره، لكنه لم يكترث لذلك وقرر أن يغادر إلى طيبة موطنه الأصلي، وفي الطريق صادف رجلا تشاجر معه واشتدت المشاجرة حتى قتله. أكمل أوديب طريقه إلى طيبة دون أن يدري أنه قتل أباه في تلك المشاجرة وفي طريقه كان (السفينكس) يقسو على أهالي طيبة ويعذبهم أشد العذاب، ويقال أن الآلهة أرسلته إلى طيبة ليسأل أهلها ألغازا ومن لم يحل تلك الألغاز قتله.

وهذا ما دفع خليفة الملك أن يعلن للناس بأن كل من يخلّص الملكة من محنتها التي سببها هذا المخلوق الشرير سيتولى العرش ويتزوج أرملة الملك، وعندما دخل أوديب المدينة قابله (السفينكس) وألقى عليه ذلك اللغز الذي يتضمن: (ما هو الحيوان الذي يمشي على أربعة صباحا، وعلى اثنين ظهرا، وعلى ثلاثة مساءا؟) أجاب أوديب على هذا السؤال، وذلك بقوله أن الإجابة الصحيحة لمعنى اللغز هي: الإنسان، أي عندما يكون طفلا يحبو على أربع وعندما يكبر يمشي على اثنين، وعندما يشيخ يستعين بالعصا أي أنه يمشي على ثلاثة.

وبهذا أصبح أوديب ملكا على طيبة وتزوج الملكة دون أن يعرف بأنها أمه ويقال أنه أنجب منها.

عندها جاء العراف وأبلغه بالحقيقة المرة وعرفت زوجته التي هي أمه الحقيقة، حيث قامت بشنق نفسها، أما أوديب فقد فقأ عينيه وغادر طيبة وهام ليعيش بقية حياته في البؤس.

انتصار إسمهان

إصدارات*** إصدارات*** إصدارات*** إصدارات*** إصدارات*** إصدارات*** إصدارات***إصدارات***إصدارات***إصدارات***إصدارات***

صعود قوى الثروة

دور الطبقة الوسطى الجديدة في نهضة العالم الإسلامي

المؤلف: ولي نصر

الكتاب: صعود قوى الثروة: نهضة الطبقة الوسطى الجديدة في العالم الإسلامي
المؤلف: ولي نصر
ترجمة: هاني تابري
الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت – طبعة أولى – 2011

يسعى كتاب «صعود قوى الثروة: نهضة الطبقة الوسطى الجديدة في العالم الإسلامي وانعكاستها على عالمنا» الذي ألفه ولي نصر وترجمه هاني تابري إلى توضيح أهمية دور القوة التجارية الإيجابية في العالم الإسلامي، خاصة دور الطبقة الوسطى، وكيف أن دور هذه الطبقة قد يكون هو أساس النهضة الديمقراطية في العالم الإسلامي، وليست سياسة العقوبات أو «قوة الإكراه».

الكتاب الذي صدر في بيروت في العام 2011 يؤكد أن هذه الطبقة لها كبير الدور في ظهور نهضة جديدة بالعالم الإسلامي قد تؤدي إلى حالة من التوازن بين البلدان الإسلامية والمجتمع الإسلامي أمام القوى الأوروبية والأمريكية.

يحتدم الجدل حول قضية الإصلاح السياسي والاقتصادي، وأيهما يسبق الآخر، حيث يري البعض أن الإصلاح السياسي يسبق الإصلاح الاقتصادي، بينما يرى البعض الآخر عكس ذلك. ويتحيز «ولي نصر» إلى أن الإصلاح السياسي، بداية من رعاية حقوق الإنسان والحريات الاجتماعية والديمقراطية، يتحقق من خلال نمو الأعمال والتجارة والتطور الاقتصادي.

ويرى كذلك أن التطور الاقتصادي هو الطريق الوحيد أو المعركة الفاصلة للقضاء على التطرف الديني نهائيا، والتحول نحو التحرير الاجتماعي، وهو ما سيتبعه كذلك التحرير السياسي، حيث يرى أن الاندماج في السوق العالمي يفرض مجموعة من القواعد، على الدول الالتزام بها.

وإذا ما أخذت دولة على عاتقها الوقوف على هذا الطريق، فإن رجوعها منه موضوع صعب للغاية، وتصبح بذلك أكثر تقبلا للتغيير في مجالات أخرى، بعد قبولها التغيير في المجال الاقتصادي.

وقد دلل على ذلك بنموذج دبي التي تمثل إحدي القوي الصاعدة. فقد وصلت من لا شيء تقريبا إلى أن أصبحت مركز الشرق الأوسط وجنوب آسيا، بحكمة وإيمان حكامها بأهمية الحرية الاقتصادية، التي أدت لتدفق الاستثمارات عليها. فهي توفر خدمات مالية وتجارية لا تتوافر في مكان آخر لإيران وباكستان والعالم العربي وآسيا الوسطى وشرق إفريقيا وبلاد القوقاز. وتمثل دبي بالنسبة لإيران نقطة الهروب أو المهرب من العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها. كما تمثل إيران بالنسبة لدبي الميناء أو الرصيف البحري، وإلا لاختنقت دبي.

وفي سياق متصل، يرى «نصر» أن قضايا مثل الملف النووي الإيراني ومواجهة الولايات المتحدة، هي ملفات لصرف الانتباه، وتحويل اهتمام الشعب الإيراني عن المشكلات الاقتصادية الداخلية، ومطالب داخلية بالإصلاح السياسي والاقتصادي التي يتطلع لها المواطن الإيراني.

ويضيف أن دعم إيران لقوى مثل حزب الله، إن كان يمثل ورقة ضغط أو نقطة قوة في الوقت الحالي، إلا أنه قد يمثل نقطة ضعف فيما بعد، لأنه لا يستند على قوة اقتصادية.

يشير «نصر» خلال صفحات كتابه إلى أن الدعوة للفصل العلماني بين الدين والدولة، كخطوة للتوصل للديمقراطية ومن ثم للحداثة، فكرة غير مرغوب بها في دول الشرق الأوسط. فأغلب الدول التي تتمتع بقسط من الديمقراطية منها يتعزز فيها الالتزام الديني الإسلامي، بينما يتعرض الإسلام لمزيد من الضغوط في الدول الاستبدادية باستثناء إيران.

لذا، ينصح القوى الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة، لتتخلص من مخاوفها تجاه الدول الإسلامية وعدم قصر دعمها على النخب فقط، وإنما يجب أن يصل للطبقة الوسطى ورجال الأعمال، لكي يستطيعوا المنافسة الدولية، فهم من يمثل قوى الوسط المعتدل.

ففي تركيا، لم تعد الأيديولوجية الكمالية العلمانية هي مسيطرة على الشعب، كما كانت من قبل، لتفكك التحالف الاقتصادي الذي ساندها، واستطاع حزب ديني «حزب العدالة والتنمية» تحقيق انتصار كبير باهتمامه بالتنمية الاقتصادية، والبعد عن الصراع بين العلمانية والإسلام، وستستمر تركيا كذلك إذا ما استطاعت الطبقة الوسطى إكمال الطريق.

ويرى «نصر» أن الأمل الكبير معلق على الطبقة الوسطى التقية الجديدة ممن ينبذون التطرف، ويجمعون في تصرفهم بين الإسلام والأفكار الرأسمالية في إدارة أعمالهم.

وقد أثبتت التجربة الفعلية أن من ينال أصوات الناخبين هي الأحزاب التي تركز على العمل السياسي المدني (فرص العمل، الخدمات العامة، النمو الاقتصادي، الحكم الرشيد، والسياسة الخارجية الجريئة)، وليس التركيز على الإسلام في المقام الأول.

أكد «ولي نصر» أن التغييرات الأساسية لتمكين الديمقراطية وانتشار قيمها مرتبطة بما إذا كانت تحقق المصالح الاقتصادية والاجتماعية للمواطنين أم لا.

وعليه، يرى أن على القوى الغربية أن تقنع بأن الطبقات الوسطى والدنيا في الشرق الأوسط تؤيد العمل بالشريعة، وأن الحرب الثقافية لن تجدي معهم، لأنهم أيقنوا أن الغرب يتهجم على قيمهم الأساسية، ويجب عليه أن يقتنع كذلك بأن الوسيلة الوحيدة لتحقيق وضمان مصالحه

هو الربح التجاري، من خلال دفع ودعم الطبقة الوسطى الجديدة لتحقيق الإصلاحات الاقتصادية وغيرها، بما يفتح المجال أمام اقتصادات هذه الدول على السوق العالمي.

وأخيرا، فإن الثورة الرأسمالية في القرن القادم يمكن أن يقودها رجال الأعمال المسلمون، لإدراك قيمة العمل، وكيف أن العمل عبادة كالصلاة. لذلك، لا يستبعد أن يقود الثورة الرأسمالية القادمة رجال الأعمال المسلمون الأتقياء. فالدول العربية، ولنأخذ دولة مثل مصر، لم يهدم اقتصادها ويقض عليه إلا الفساد الذي استشرى في جنبات البلاد، وفي أنفس رجال الأعمال قبل كل شيء، ولن ينهض بها مرة أخرى إلا مجموعة من رجال الأعمال الأتقياء، ويقصد بالتقوى هنا ما أشار إلى «ولي نصر» من اعتبار بناء مصنع شيئا أشبه بالصلاة.

طارق البشري يكتب عن مصر بين العصيان والتفكك

تنبأ المستشار طارق البشري في كتابه هذا بقرب سقوط النظام قبل عدة أعوام من سقوطه، من خلال استدلالات واستنتاجات منطقية، رسم من خلالها ملامح تفكك هذا النظام، حيث أكد مرارا وتكرارا أن العصيان في المؤسسات التكوينية للدولة هو بداية التصدع في أي نظام بحكم التاريخ.

واستشرافا لما حدث منذ يوم 25 يناير وحتي تنحي الرئيس عن السلطة، تساءل الكاتب بما مفاده: «هل لنا نحن الأهالي أن نتداعى ونتواصى ونتنادى بأن نحدد يوما نسميه «يوم القلق» أو «يوم الحذر» أو «يوم اليقظة»، عسى أن يكون في يقظتنا الجماعية ما يوقظ النيام فينا، ولا يعتبر أي من ذلك تجمهرا يعاقب عليه القانون أو يستدعي ترخيصا من أحد، أو يمكن أن يقال إن من شأنه تهديد الأمن والسكينة أو تعريض الممتلكات للخطر»، وكأنه بذلك قد أعلن عن جمعة الغضب قبل حدوثها بسنوات. ومن هنا تأتي أهمية التعرف على أفكار هذا الكاتب، فهو رغم قدمه متجدد كالنهر.

أرسى الكاتب عددا من الشواهد التي تنذر باقتراب سقوط النظام وزواله علي نحو ما تحقق بالفعل قائلا: «عندما يفتقد النظام السياسي الحد الأدنى من اقتناع الناس بجدواه وثقتهم بأنه يكفل لهم حدا معقولا من تنظيم الحياة اليومية العادية برتابتها واطرادها، عندئذ يكون قد آن وقت زواله. وهذا الإيذان لا يأتي فقط من نهوض الناس ضده أو احتجاجهم عليه، ولكنه يأتي أيضا من سلوكه المتخبط، ومن افتقاده المنطق والمعقولية في تصرفاته وقراراته. ذلك أن رجاله أنفسهم، خاصة من خارج الحلقة الضيقة العليا الحاكمة، يصيرون مثل حبات العقد المنفرط لا يجمعهم جامع، ولا يحدد مسارهم طريق مرسوم، يصيرون مثل عازفين بغير قائد ينظم حركتهم، ولا ضابط إيقاع ينسق بين نغماتهم».

ويشير الكاتب في مقالة معنونة «شخصنة الدولة» إلى علامات انهيار وتفكك النظام السياسي، ويعني الكاتب بشخصنة الدولة غياب الأطر المؤسسية والقانونية عن الحكم، مع الاتجاه إلى تمركز آلة الحكم وأجهزتها تحت إمرة شخص أو جماعة، ولا يقيدهم إلا الإمكانات المادية للدولة وأجهزتها في الحركة والنفوذ، ويتغلب الحاكم على الضغوط التي يواجهها بأن يشخصن الفئة المحيطة به بإبقائهم في وظائف الدولة العليا أطول مدة ممكنة، بحيث تحل العلاقات الشخصية محل علاقات العمل الموضوعية.

ومن شأن هذه الشخصنة حصر نطاق الحكم في مجموعة ضيقة جدا من الأفراد بما يحتم على من يليهم في السلطة أن يكونوا ضيقي النطاق، ومعزولين عن الصفوف التالية، ويؤدي طول المكوث في أعمالهم إلي اعتياد الركود والنظرة الضيقة، وحصر نطاق خبرات التعامل في هذا الحيز الصغير ذي العلاقات القديمة غير المتجددة.

وبما أن لكل فعل رد فعل، فإنه من الصعوبة بمكان الإبقاء علي هذه الشخصنة، ويعلل الكاتب هذا بأن من شأن بقائها انهيار قوائم النظام الحضاري الذي تقوم عليه إرادة الدولة وإدارة المجتمع. ولذلك، فإن ردة الفعل حتمية للخروج من الطريق المسدود، ومن حالة الاختناق الحاصلة، أيا كانت تكلفتها ونفقاتها، وأيا كانت احتمالاتها لتكون أكثر مواتاة للأهداف الوطنية والشعبية

واستنبط الكاتب عبارة جاءت في خطاب رئيس الجمهورية السابق أمام الهيئة البرلمانية للحزب الوطني في 11 نوفمبر 2003، حول مخاطر الزيادة السكانية، والتي تقول: «إننا لا نريد يوما أن نصل إلى تلك الدول التي لا تهتم سوى بنسبة 10% من سكانها، وتترك الآخرين في العشوائيات دون رعاية أو تعليم»، بداية مرحلة الخصام بين الدولة المشخصنة ومواطنيها. وفي هذا السياق، كتب يقول: «إن الحكومة وضعت ضمن بدائلها السياسية ألا تهتم بأكثر من 10% من سكان مصر، وتترك الباقي دون رعاية، ليشار إلي المصريين باعتبارهم «سكانا»، لأن وصف المواطنة لن يعني في هذه السياسة إلا نسبة 10%».

وبالنظر إلي الوضع السياسي والاجتماعي والتنظيمي الذي يتناسب مع مجتمع ال- 10%، لاحظ الكاتب أن القاهرة لم تعد المدينة التي تمارس منها أمور الحكم، بل صارت مدينة شرم الشيخ المقر الدائم لحاكم مصر الذي يقابل فيه رجال الدولة، ويعقد اجتماعاته مع رؤساء ومثلي الدول الأجنبية. وتقع هذه المدينة في الجزء الشرقي لمصر في المنطقة المنزوعة السلاح في سيناء، بما يجعل القوات المسلحة الإسرائيلية هي الأقرب إليها برا وجوا وبحرا بحكم الموقع الجغرافي، ليصبح الباقي من أرض مصر الذي يشكل 90% من مساحتها الكلية غير مشمول بالرعاية، وما عليه من بشر هم سكان وليسوا شعبا بالمعنى المتعارف عليه في القانون الدولي.

ومن هنا، نصبح أمام ما يطلق عليه الكاتب «إمارة انسلخت من الدولة الأم وأخذت اسمها ووصفها القانوني». وهنا يرسي الكاتب نظرية تفسر لنا ما آل إليه النظام السالف من زوال، وهي «أن أي دولة منسلخة تختلف نظرتها إلى أمنها القومي عن النظرية السائدة لدي الدولة الأم، بل هي تكون ضد هذه النظرية. لذلك، فإن الجزء المنسلخ يعتبر الدولة الأم عدوه الأول والأكبر ومصدر الخطر الدائم عليه. ومتي تعين العدو الأول، فقد تعين أيضا الحليف الأول وهو عدو العدو. والإمارة المنسلخة في هذا التصور لا تجد حليفا لها إلا من كان يخشاه الوطن الأم، ويعتبره خصما له وخطرا عليه. ولعل هذا ما يفسر العديد من المواقف السياسية التي اكتنفها الغموض، خاصة الموقف المصري من أحداث غزة 2008 . والتفسير - حسب الكاتب - هو أن ثمة تحالفا استراتيجيا تتشكل أطرافه بناء علي العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل من جهة، وبين الإمارة المنسلخة من مصر «إمارة ال- 10%» من جهة أخرى.

كما رصد الكاتب تطور الحياة الفكرية في مصر منذ بداية الثمانينيات إلي يومنا هذا، ليستنتج حدوث انعطاف حاد في الحياة الفكرية السياسية في مصر، يعد أخطر ما حدث في نصف القرن الأخير، وقد امتدت عواقبها إلي المرحلة التي نحيا أحداثها، معللا ذلك بأن المسائل المثارة كانت في أغلبها تتعلق بالسياسات الوطنية وبالسياسات الديمقراطية، وبما أن القضايا السياسية تحتل المكانة الأولى من اهتمام الشعب المصري ومستقبله، فإن التصنيف ما بين مؤيد ومعارض لمسألة أو موقف كان يجري علي أسس سياسية، وكان الاستقطاب بين التيارات السياسية يجري على أسس سياسية أيضا، الأمر الذي استدرج المثقفين إلى صراعات الفكر المجرد والحقوق الفردية والصراعات الذاتية، وقد أدارت قوى الدولة والخارج هذه الصراعات ليبقى المتصارعون لاهين بها، غافلين عما يحدث لبلادهم ولهم، وهذا ما سماه الكاتب الفتن الثقافية.

وفي النهاية، يمكن القول إن الكاتب سطر من خلال مقالاته التي ضمها الكتاب علامات اقتراب زوال النظام السابق، وكأنه كان يستشرف المستقبل ويشارك في صنع ملامحه، وهو ما ظهر جليا في عنوان الكتاب «مصر بين العصيان والتفكك».

مجلة السياسة الدولية بتصرف

عــرض: زبيــر طـوالبــي (الثعالبي)
zoubir.toualbi@gmail.com

نواصل نشر تقارير الشعب الولائية والبلدية حول الأنشطة المبرمجة والمنجزة، وهذه بعضها:

ولايـــة الجزائـــر

شعبة الجزائر العاصمة:

نظمت شعبة ولاية العاصمة يوما دراسيا، أطرته لجنة الشباب والطلبة، وهذا يوم 06 ربيع الثاني 1434هـ الموافق لـ 16/02/2013م. بنادي الترقي، وهذا برنامج النشاط المنجز:

- انطلاق الأشغال على الساعة 8سا و30د.
- الافتتاح بالقرآن الكريم.
- كلمة رئيس الشعبة الولائية.
- كلمة مسؤول لجنة الطلبة والشباب.

- المداخلة الأولى:

(8 و45 د - 9 و15 د) * اهتمام الجمعية بالعمل الطلابي (موضوع تاريخي).

(9 و15د - 9 و45 د) * أسئلة ومناقشة.

- المداخلة الثانية:

(9 و45د - 10 و15د) طلبة جمعية العلماء المسلمين (تحديات وآفاق).

(10 و15د - 11سا) أسئلة ومناقشة.

- استراحة

(تخلل هذا النشاط عرض صور وفيديو للأعمال المنجزة من طرف الطلبة)

ملاحظة:

سنوافيكم بحول الله في عدد قادم بمحتوى المداخلات والأنشطة.

★★★

الفرع النسوي لبلدية باش جراح

نظم الفرع النسوي لبلدية باش جراح يوم السبت 26 جانفي 2013م حفلا بمناسبة ذكرى مولد خير البشرية محمد، صلى الله عليه وسلم، تحت شعار: «معا لنصرة الحبيب المصطفى» نشطه جمع من الأساتذة والدكاترة أعضاء المكتب والمجلس الوطنيين، نذكر منهم: الدكتور سعيد شيبان، الدكتور عبد الحليم قابة، والأستاذ نوار جدواني، والدكتور إيدير مشنان، والأستاذ عبد الرحمن بن دمارجي، وغيرهم، تخللته مدائح دينية من فرقة طلائع الهدى التابعة للمدرسة القرآنية.

في البداية، تحدث الدكتور عبد الحليم قابة عن مناقب الرسول، صلى الله عليه وسلم، وكيف تعامل مع الأمة بتوجيهاته القيمة، مطالبا الحاضرين بالتأسي والعمل بمناقب نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، وتوالت كلمات الأساتذة الذين ركزوا جميعهم على وجوب العمل بسنة محمد، صلى الله عليه وسلم، وتطبيق سيرته التي تجعل من الأمة الإسلامية قوة لا تغلب أبدا.

هذا ونشير إلى أن فرقة الإنشاد التابعة للمدرسة القرآنية أبدعت بأناشيدها الدينية ومدائحها الهادفة التي تركت أثرها القوي في نفوس الحاضرين.

★★★

ولايـــة سعيـــدة

برمجت شعبة ولاية سعيدة الفتية حفلا بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف، فكانت هذه المراسلة من طرف رئيسها الأستاذ عباس:

صادف اليوم الرابع والعشرون من تعديل التركيبة البشرية للشعبة الولائية، مناسبة المولد النبوي الشريف، وكان المكتب قد أعد نشاطات ليخرج للمجتمع من أجل الإعلام عن تواجده، فكان الآتي:

-1 تكريم أحد رجالات الولاية الأعلام ألا وهو الشيخ الفاضل الإمام أحمد راسمال، رحمه الله، الذي يعتبر من تلامذة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان له الفضل الكبير في التربية والتعليم الديني كإمام ومفتش للشؤون الدينية وناظر.

ولقد حضر الحفل التكريمي أبناؤه وأحفاده وتلامذته الذين قدموا شهاداتهم، هذا وحضر نواب المجلس الشعبي الوطني الممثلين للولاية إضافة إلى الجمهور الذي كان متواجدا منذ اللحظات الأولى.

وانتهى الاحتفال بتوزيع شهادات على بعض تلامذته، وشهادة منحت للعائلة في هدية حوت مجموعة من الكتب القيمة والتي لها علاقة بالجمعية، وختم الحفل في منتصف النهار.

-2 بالموازاة مع الحفل التكريمي نظم المكتب حملة للتبرع بالدم بالتنسيق مع مصلحة المستشفى المختصة، ولقد نجحت أيما نجاح، إذ لأول مرة نجد المصلحة الخاصة بالدم لمستشفى ولاية سعيدة نفسها مضطرة لتهيئة خمس أسرة، ثلاثة للرجال واثنين للنساء، ومازالت مجموعة المتبرعين تتوالى حتى الساعة الثانية زوالا.

والجدير بالذكر أن الفريق الصحي كان لا يزيد عن ثلاثة عناصر (طبيبتان ومرض) فاستدعى المكتب ممرضات وقابلات لتقديم يد المساعدة ومرت الفعاليات كلها على أحسن وجه، والحمد لله رب العالمين.

برنامج الاحتفال التكريمي:

- الافتتاح بآيات بينات.
- الاستماع إلى النشيد الوطني.
- كلمة الشعبة الولائية للجمعية تناولت:
- تحية ترحيب بالحضور.
- تحية لعلماء الجمعية وشهداء الثورة ومجاهديها.
- نبذة عن الجمعية ودعوة الحضور إلى ضم جهودهم إلى جهود الشعبة الولائية.
- شهادات حول الشيخ الفاضل أحمد راسمال أدلى بها أبناؤه وأخرى قدمها بعض تلامذته.
- عرض شريط يظهر فيه الشيخ وأشخاص يدلون بشهاداتهم.
- الختام.

نشاط الفرع النسوي:

وتحت شعار «لو كان بيننا الحبيب» قام الفرع النسوي التابع للشعبة الولائية بنشاط ثقافي تربوي بقاعة وسينما الفتح يوم الجمعة 20 ربيع الأول 1434هـ. الموافق لـ 01 فيفري 2013، اشتمل على كلمات ألقتها بعض المرشدات، وقرئت فيها أشعار من إنتاج بعض فتيات الفرع، ومسرحية قصيرة تناولت موضوع السيرة النبوية، ثم عرض شريط فيديو أعده جهاز الإعلام النسوي، يظهر مجموعة من المواطنين يجيبون عن السؤال: لو قابلك النبي صلى الله عليه وسلم الآن ماذا تقول له؟

وأخيرا تم تكريم بعض معلمات القرآن الكريم اللواتي حفظ على أيديهن مجموعة فتيات القرآن الكريم ومتن الجزرية.

هذا ويجدر بالذكر أن الدعوة كانت خاصة بالنساء فقط، ولقد غصت القاعة بهن فجزاهن الله خيرا.

برنامج الحفل:

- افتتاحية بالقرآن الكريم.
- النشيد الوطني.
- كلمة مسؤولة الفرع.
- كلمات لبعض الداعيات.
- تلاوة الأشعار.
- قطعة مسرحية قصيرة.
- عرض شريط فيديو قصير.
- تكريم معلمات القرآن الكريم.
- الختام.

★★★

ولاية تلمسان:

وافانا الأستاذ محمد بومشرة عضو مكتب شعبة ولاية تلمسان بتقرير واف عن أنشطة أعضاء المكتب في الولاية وخارجها، لسنتي 2012-2013، ننشر بعضها في هذا العدد على أمل نشر البقية في العدد القادم بحول الله:

من نشاطات المكتب الولائي *تلمسان* 2012-2013

أ) في مدينة البويرة:

قام المكتب الولائي بالبويرة بدعوة الشّيخ بن يونس آيت سالم النّائب الثّالث لرئيس المكتب الوطني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريّين يوم السّبت 04 ذو الحجّة 1433 هجرية، الموافق لـ: 20 أكتوبر 2012 بمقرّ جمعية العلماء، ليُلقي محاضرة بعنوان: «معالم المنهج التّربوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين.»

ورافق الشّيخ بن يونس الأساتذة: محمّد بومشرة المكلّف بالإعلام والثّقافة، وعضوان بالمكتب البلدي بتلمسان: رضوان بلحاج وعبد المنعم بوبلنزة.

وعند وصولنا مدينة البويرة صبيحة يوم الجمعة 03 ذو الحجّة 1433 هجرية،الموافق لـ: 19 أكتوبر 2012، قام أعضاء المكتب الولائي، بالتّنسيق مع مديرية الشّؤون الدّينية والأوقاف بتعيين الشّيخ بن يونس بمسجد عبد الحميد بن باديس ليلقي درس الجمعة في الوعظ.

واختار الشّيخ بن يونس شرح حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ما جاء في سنن التّرمذي عن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «اتّق الله حيثما كنت وأتبع السّيّئة الحسنة تمحها وخالق النّاس بخلق حسن.»

وانطلق الشّيخ في درسه بتقديم الصّحابي الجليل أبي ذر الغفاري ودوره في الدّعوة إلى الله مباشرة بعد اعتناقه الإسلام فبلّغ قومه فاعتنقوه كلّهم على يديه. ثمّ شرع الشّيخ بن يونس في شرح الحديث الشّريف انطلاقا من مقولة علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه يصف معنى التّقوى قائلا: «التّقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتّنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرّحيل.» وكانت مدّة ثلاثين دقيقة كافية ليعرض معاني الأخلاق والعقيدة من الحديث النّبوي الشّريف.

ومساء يوم السّبت في السّاعة الثّانية مساء بمقرّ المكتب الولائي كان الموعد مع الحاضرّين الذين لبّوا الدّعوة ليستمعوا إلى المحاضرة المبرمجة التي سيُلقيها الشّيخ بن يونس بعنوان:»معالم المنهج التّربوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين.»

كانت الافتتاحية كما جرت العادة بقراءة آيات من الذّكر الحكيم من قِبل أحد شباب الجمعية في قوله تعالى: «ومن اللّيل فتهجّد به نافلة لك... أعلم بمن هو أهدى سبيلا.» وبعدها قام الأستاذ أحمد عوّادي رئيس المكتب الولائي بالبويرة بتقديم الشّيخ بن يونس للمدعوّين ليستهلّ في عرض محاضرته التي كانت تحمل في طيّاتها أسلوب التّشويق، لأنّ الموضوع جدير أن يطرح في زماننا.

فجعل الشّيخ لمحاضرته مدخلا يبيّن تصوّر جمعية العلماء للإنسان في تربية الفرد الجزائري تربية صحيحة على الفكر الإسلامي. وتطهير المعتقد من الخرافات وتطهير العقل من الشّبهات وتطهير النّفس من الشّهوات. يقول الإمام محمّد البشير الإبراهيمي: «إنّ تحرير العقول أساس لتحرير الأبدان، ومحال أن يتحرّر جسد يحمل عقلا عبدا.»

وكان مشروع الإصلاح في الصّدارة عند جمعية العلماء المسلمين مع مراعاة خصوصيات الأمم، مستعينة بوسيلة التّربية بوجه عام والتي هي فنّ في تثقيف الصّغار،حيث كانت الجمعية تنظر لواقع الفرد نظرة شمولية، فقامت على الاهتمام بغرائزه وتهذيبها وعدم قتلها كغريزة الجوع والغضب وهما غريزتان في الإنسان منذ الصّغر.

فالإنسان عند جمعية العلماء ليس مطبوعا على الخير فقط ولا على الشّرّ فقط، واستقامة أعمال الإنسان دليل على استقامة عقيدته. فالنّهج التّربوي عند الجمعية كان شاملا متمثّلا في الإرادة المتوقّفة على البدن، والفكر المتوقّف على العقل، والعمل المتوقّف على الخُلق.

فالهدف من كلّ هذا إيجاد الفرد الجزائري القوي الصّالح باعتباره الأساس لصالح المجتمع مع تزويده بالعلم وتصحيح عقيدته وتقويم أخلاقه وتحرير عقله وتقوية إرادته وتقرّبه من وطنه.

أمّا الغاية فهي إيجاد جيل مسلم قوي بالمعرفة العلمية الصّحيحة والعقيدة الإسلامية والوطنية الصّادقة بطريقة إصلاحية.

واهتمّت الجمعية بالبيت والمدرسة لأنّهما المؤسّستان الأصليتان للتّربية عند الأمم الحيّة فالبيت أخت المدرسة وكلتاهما مكمّلة للأخرى. أمّا البيت عند الجهلة فهي ضرّة أي علّة المدرسة ما تبنيه هذه تهدمه تلك...

واعتمدت الجمعية على الرّجل والمرأة الزّوجين المتلازمين والشّريكين المتكاملين، ليُقدّما للمجتمع أطفالا وهم أمانة الله عندنا، ليصبحوا شبابا وهي المرحلة الخطيرة التي يجب الاهتمام بها والاعتماد عليها للمستقبل.

ملاحظة:

للتقرير بقية إن شاء الله.

ما ينشر في هذه الصفحة لا يعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

منهجية أبو حامد الغزالي في إخراج جيل صلاح الدين واستعادة القدس

ولد أبو حامد محمد بن محمد الغزالي عام 450هـ- 1058م ولقد أخذ علومه الأولية في بلدة «طوس» من ثم رحل إلى «نيسابور» حيث تفقه على يد إمام الحرمين الجويني وهناك ظهر ذكاؤه وتفوقه فاتخذ الجويني معيدا له، وفي هذه الفترة صنف الغزالي كتابه «المنخول» وعرضه على الجويني الذي علق عليه قائلا: «دفنتني وأنا حي! هلا صبرت حتى أموت!؟».

برز الغزالي ومازال يشتهر حتى قرب من نظام الملك في الدولة العباسية، وأسند إليه التدريس في المدرسة النظامية عام 484 هـ ولقب بلقب «زين الدين شرف الأمة» فقدم إليه الطلاب من جميع الأرجاء، وأقبل عليه العلماء وتعجبوا من كلامه ونقلوه في مصنفاتهم، وصار لرأي الغزالي مكانة عالية في إدارات الدولة وولايات السلاطين، ومن ذلك حين توفي السلطان «ملكشاه» وطلب من الغزالي رأيه في تولي محمود بن السلطان ملكشاه الحكم، انفرد الغزالي بعدم جواز توليته لصغر سنه في الوقت الذي أجمع العلماء على جواز ذلك، ولكن الأمر جرى كما أفتى الغزالي، ولكن حين رأى الغزالي أن العقيدة شعارات لصيد الجاه، والانتماء المذهبي أداة للمناصب والمكاسب تنازل عن الجاه العريض الذي هو فيه وقرر عدم الانتماء لأي فرقة من الفرق، ومضى إلى الاشتغال بخاصة نفسه وتزكيتها ومال إلى الزهد والتصوف، وعمل على مراجعة الأفكار التي تلقاها من مجتمعه المعاصر المليء بالمذاهب المتناحرة والفرق المختلفة، خاصة بعد تحققه من الفرق بين الإسلام الذي يتضمنه القرآن والسنة وبين مفهوم الإسلام الذي أفرزته المذاهب والجماعات ورفعته إلى منزلة الإسلام وحجبت به عقول الناس عن القرآن والسنة، وعطلتها عن الاجتهاد، وعززت فيها التقليد والتبعية، وتحكيم رجال المذاهب والجماعات بعيدا عن تحكيم الإسلام، وبالتالي الانحراف بالفرد من عبادة الله إلى عبادة النفس والهوى، ومن الزهد في الدنيا إلى التهالك عليها ومنافسة الآخرين تحت شعار الدعوة إلى الإسلام.

وبعد أن انتهى الغزالي من مراجعة أفكاره ومعتقداته بلور لنفسه منهاجا خاصا استنارت به بصيرته، وارتاحت إليه نفسه، وكتب، وهو في نشوة اطمئنانه، كتابه «المنقذ من الضلال».

عاد الغزالي بعد هذه الرحلة الجسدية والفكرية إلى بغداد، وحدث بكتاب «الإحياء» الذي كتبه خلال تجوله في بلاد الشام، ليترك بعد ذلك بغداد إلى بلده «طوس» واشتغل بالتدريس، وابتنى لنفسه مدرسة بجوار بيته، وركز فيها جهوده من أجل تحقيق أهدافه المتمثلة في أمرين هما:

الأمر الأول: إخراج جيل جديد من العلماء والقادة العاملين الذين تتوحد أفكارهم بدل أن تتنابذ، وتتكامل جهودهم بدل أن تتصارع، وتخلص غايتهم لله بما يتفق مع الرسالة الإسلامية.

الأمر الثاني: هو التركيز على الأمراض الرئيسية التي تنخر في الأمة من الداخل بدل الانشغال بالمضاعفات الناتجة عن هذه الأمراض، ومنها الأخطار الخارجية.

وبسبب هذه الأمور التي كان يهدف إليها الغزالي تميزت معالجات الغزالي لشؤون المجتمع بصفات عدة هي:

-1 خلو كتاباته من تحريض المسلمين على جهاد الصليبيين وأمثالهم من المغول.

-2 اعتماد النقد الذاتي، ولذلك لم يلجأ إلى تلمس التبريرات وإلقاء المسؤولية على القوى المهاجمة، التي جذبتها عوامل الضعف وقابلية الهزيمة من الخارج، وهذا ما دعا إليه مالك بن نبي في زماننا المعاصر، وهو ضرورة البحث في «القابلية للاستعمار بدل توجيه اللوم إلى الاستعمار» فالمشكلة عند الغزالي هو فساد المحتويات الفكرية والنفسية للمجتمع، وما سوى ذلك هي مضاعفات تزول بزوال المرض الأساسي.

-3 الانطلاق في إصلاح المجتمع من منطلق أصيل هو البدء بالإصلاح الفكري والنفسي، وهو مبدأ قرآني واضح ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

-4 اعتماد مبدأ الانسحاب والعودة، فمن المعروف أنه عندما تبتعد عن الشيء يزداد محيط رؤيتك له، لهذا من الظلم الفادح أن يقال عن الغزالي أنه اختار الصوفية السلبية وانعزل عن الأحداث الجارية، وهذا القول هو جهل بالمنهج الذي اختاره الغزالي، والدليل على ذلك هو أن هذا الانسحاب لم يستمر بل عاد الغزالي إلى الحياة بعد أن غير ما بنفسه، وأعاد تنظيم أفكاره وتصوراته، وأدرك أثر التراث الذي تسلمه جيله من الأجيال السابقة، وراح يستبعد الغريب الضار ويستبقي الأصيل النافع وينقيه من التشويه والتحوير الذي لحق به خلال المسيرة التاريخية للفكر الإسلامي.

وكنتيجة لهذا المنهج أحدث الغزالي أثرا كبيرا في الحياة العلمية والاجتماعية للمجتمع، تمثل في أمرين:

الأمر الأول: أن منهجه في التطبيق مبدأ الانسحاب والعودة تأثرت به مختلف المذاهب والجماعات، حيث توقف هؤلاء عن الصراعات والخلافات المذهبية، وانصرفوا إلى «خاصة أنفسهم» حتى إذا زكت نفوسهم عادوا إلى المجتمع من جديد ليسهموا فيه متعاونين متوادين.

الأمر الثاني: ترتب عن جهود الغزالي انحسار للتيارات الفكرية المنحرفة، فركدت بين الجماهير وآل أمرها فيما بعد إلى السقوط والاندثار، وكان له أثر في إخراج جيل جديد من أمثال محمد بن تومرت الذي أدت جهوده إلى قيام دولة الموحدين في الجانب الغربي من العالم الإسلامي، كما أثر الغزالي في حركة التجديد والإصلاح التي تتابعت حلقاتها بعده حتى انتهت إلى ظهور جيل صلاح الدين الذي دحر الغزاة الصليبيين واسترجع الأرض واستعاد القدس الشريف، فما أحوجنا اليوم إلى استعارة هذا المنهج من أجل إصلاح مجتمعنا الإسلامي والنهوض به، فإن لم نقم نحن بهذا الدور فسيستبدلنا الله وسيأتي بجيل يحقق به وعده ثم لا يكونوا أمثالنا.

بقلم أ.عادلي احمد – مديرية الثقافة لولاية بشار

نحن جيل المبادئ والقيم

إنّ فرنسا عدوّة الأمس هي عدوّة اليوم لا ينقص من ذلك شيء، وهي التي تبحث عن العداوة واستدامتها... إذ أنّ الذي وصفها بالتّلميذ الغبي الذي لا يفهم الدّرس ولا يعيه، كان محقّا في نظرته تجاه سيّاسيّين وافقوا العسكريّين في احتلال واستدمار أيّ بلد يكون آمنا، وبالرّغم من طردهم بعد حروب دامية، فهم يظنّون أنّ الجزائر جزء من فرنسا، ولن يكون لهم ذلك.

كما يظنّون أنّهم سيعودون إلى الجزائر بعد الاستقلال بعد ثلاثة أو أربعة عقود، ولن يكون لهم ذلك، ولو بعد خمسة أو ستّة عقود بعد المئات، مهما خطّطوا أو قاموا بعمليات حسابية فلن يكون لهم ذلك.

فمنذ مدّة غير بعيدة صرّح أحد وزراء فرنسا أنّ علاقة الجزائر ستتحسّن أكثر عندما يرحل جيل ثورة نوفمبر إلى العالم الآخر!

وها هو ذا جيل نوفمبر 1954 منهم من رحل، ومنهم من يستعدّ للرّحيل، ففي الأشهر الأخيرة فقدنا حارسا من حرّاس اللّغة العربية ومدافعا عن الدّين الإسلامي، ومناضلا من مناضلي الجزائر الحرّة، ألا وهو سماحة الشّيخ عبد الرّحمن شيبان رحمة الله تعالى عليه.

وبعده التحق به الرّجل الهادئ الطّبع، والسّيّاسيّ المحنّك، والمناضل القويّ بالحجّة على خصومه الذين استعانوا بالجنّ والإنس لتهميشه، ألا وهو الأخ الفاضل عبد الحميد مهري رحمة الله تعالى عليه.

واليوم يرحل عنّا الرّئيس الأوّل للدّولة الجزائرية بعد أخذ استقلالها ألا وهو الأخ المجاهد السّيّد أحمد بن بلّة غفر الله لنا وله.

وكأنّي بفرنسا تبتهج كلّما رحل عنّا أحد أجيال ثورة نوفمبر 1954 لتحسب حسابها مع هذا الجيل الجديد، جيل الاستقلال الذي أخذ من جيل نوفمبر الكثير من التّجارب...

ليكن في علم فرنسا ومن سار على دربها ويفكّر تفكيرها الخاطئ عن هذا الجيل، الجيل الذي تناول المشعل بكلتا يديه، وتربّى بين أحضان المجاهدين وسمع منهم حكايات عن بطولاتهم حتّى أدمعت العيون واقشعرّت الجلود وتعلّم منه الكثير والكثير، منها عبارة بلغة المحتلّ إبّان الثّورة التّحريرية كان هذا التّلميذ الغبيّ ينخدع لها وهي: -تحيى فرنسا واللّي في القلب... في القلب- والعبارة التي يتغنّى بها الثّوار وأبناؤهم وهي: -الله يلعن دين فرنسا (الضّال والباطل)-إلخ....

هذا الجيل تشبّع بالرّوح الوطنية والإسلامية لما فيه الكفاية حتّى نبقى جدارا لا صدع فيه للدّفاع عن ثوابت الدّولة الجزائريّة. فالمجد والخلود لشهدائنا الأبرار وتحيّة إجلال وإكبار لمجاهدينا الأبطال.

هذا الجيل مرّت عليه محن فشكر وظُلم فصبر، وتعرّض للإرهاب فقاوم من أجل الجزائر، وما بدّل وما غيّر نحو وطنه بل زاد ثباتا وإيمانا به وحبّا فيه.

يا فرنسا قد طوي الكتاب وانتهى الدّرس فانتظري من جيلنا الجواب بعد الاستظهار أحفظتم أم نسيتم وضيّعتم، فنحن جيل الاستقلال فرسانا وشجعانا، فأخرجوا لنا فرسانكم وشجعانكم وليكونوا فرنسيّين جنسيّة وأصلا مائة بالمائة.

محمّد بومشرة المكتب الولائي جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين

عبد الحميد بن باديس العالم النصوح لرفاقه وطلبته

ما من شك في أن الشيخ عبد الحميد بن باديس، قد قلب بثورته العارمة ـ وفي مدة قصيرة من بداية النهضة الإصلاحية في الجزائر إلى حين وفاته ـ الشعب الجزائري من الجهل إلى العلم والإيمان، ومن جمود إلى تفكير، ومن خرافة إلى عقيدة صحيحة، ومن جبن إلى شجاعة، ومن خمول إلى ثورة، ولعل أول ما كان يستهدفه هو الدعوة إلى التعلم، والأخذ بأسباب العلم، ومن ذلك لم يدخر جهدا في إسداء النصح والنصيحة للعلماء، زملاؤه في الدرب سواء كانوا جزائريين أم ممن كانوا آنذاك في جامع الزيتونة، والطلبة الذين كان يرى فيهم الأمل والمشعل، الأمر الذي مكنه من أن يجعل من النصيحة هدفا لا يقل عن بقية الأهداف كان يسعى لتحقيقها. وعليه ارتأيت في هذا المقال أن أنقل للقارئ بعضا مما قاله الإمام للعلماء ـ كيف لا وهم ورثة الأنبياء ـ والطلبة على حد سواء فيما يتعلق بإسداء النصيحة، وحتى جامع الزيتونة أخذ حظه من هذا الإسداء بحكم أن هذا الصرح العلمي لا يمكن تجاهله لما قدمه لأبناء المغرب العربي الإسلامي بشكل خاص.

إسداء النصح لأبنائه الطلبة: عند اختتام الدروس العلمية بالجامع الأخضر بقسنطينة كان يقيم اجتماعا عاما بطلبته يحضره كل الأساتذة المعاونين، فتلقى في الاجتماع الخطب والإرشادات والنصائح، فمن بين ما قيل في آخر سنة 1933 ما يلي: «اشعروا بأنكم جنود الله في نشر العلم والهداية، سلاحكم الكتاب والسنة، وهدي السلف الصالح، من قبل منكم فهو أخوكم ومن أبى فلا تعدوه عدوا، بل هو أخ في الإسلام، لا تكونوا كذوي فكرة يريدون تنفيذها، كونوا كدعاة للخير يحبون لغيرهم ما يحبون لأنفسهم.

ـ لا تر منكم الأمة إلا الاستقامة في أقوالكم وأعمالكم.

ـ لا ير منكم حكام بلدانكم إلا السيرة النظيفة.

ـ انتصروا على نشر العلم والهداية.

ـ من تعرض لأشخاصكم فسامحوه.

ـ من تعرض لنشر العلم والهداية فبالحق فقاوموه.

ـ احترموا القوانين.

نصيحة الشيخ لرفقائه العلماء: وجه نصيحة إلى رفقائه في الكفاح وإخوانه العلماء في كل مكان، وحثهم على النهوض بأعباء مسؤولية الدعوة والتبليغ في تضامن واتحاد، وقد أخذ الله عنهم الميثاق وهم ورثة الأنبياء،يقول الشيخ عبد الحميد:

« فإلى النهوض يا رجال الجمعية إلى النهوض، إلى التضامن أيها الإخوان إلى التضامن، إلى العمل أيها العلماء إلى العمل، جددوها نهضة علمية تنقذ الهلكى من براثن الجهل والشقاء، كما جدد الله لكم هذه النعمة الكبرى، فأنقذكم من مكائد الظلم والعداء.

تضامنوا في مواقف الدعوة والهداية في نفع العباد، كما تضامنتم في مواقف البلاء والمحنة، أمام البغي والعدوان.

أعملوا للإسلام، ولغة الإسلام، والخير العام، أكثر مما عملتم، فكل قرية، وكل دشرة، وكل نزلة تطالبكم بأن ترفعوا فيها كلمة الله، وتبلغوها هدي محمد (صلى الله عليه وسلم).

كل مسلم وكل مسلمة يطالبكم بهدايته وإرشاده، وكل صبي وكل صبية يطالبكم بتربيته وإسعاده، هذا لأنكم العلماء، وقد أخذ الله عليكم الميثاق بالبيان، وعدم الكتمان، وأوعد الكاتمين بلعنة الله، ولعنة اللاعنين، فاعملوا فأنتم رعاة الأمة وكل راع مسؤول عن رعيته.

فتحت لواء جمعية العلماء، ومع العاملين فيها نتضامن ونتعاون، وإلى غايتها الدينية العلمية نقصد، وبها نفع البلاد نريد.

يد الله مع الجماعة، وإنما يأخذ الذئب ـ من الغنم ـ القاصية، ومن شذ شذ في النار..قال تعالى:{لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}.

نداء إلى علماء جامع الزيتونة: وجه الشيخ عبد الحميد بن باديس نداء لعلماء الزيتونة، يذكرهم بوجوب الصدع بالحق، ويستفزهم للدفاع عن كرامة الإسلام والمسلمين، وقد سكتوا مع كثرتهم، وتوفر الأسباب والمسببات لديهم يقول: «إن مسؤولية العلماء عند الله فيما أصاب المسلمين في دينهم لعظيمة، وأن حسابهم على ذلك لشديد طويل، ذلك ما كتموا من دين الله، وبما خافوا في نصرة الحق سواه، وبما حافظوا على منزلتهم عند العامة، وسادة العامة، ولم يحافظوا على درجاتهم عنده، وبما شحذوا ببذل القليل من دنياهم في ما يرضيه، وبما بذلوا وأسرفوا في الكثير من دينهم فيما يغضبه. اللهم إلا نفرا منهم بينوا وما كتموا، ونصحوا لله ورسوله ولكتابه، ولعامة المسلمين وخاصتهم، فقامت بهم حجة الله، وتداولت بهم أجيال المسلمين أرث النبوة، واتصل بهم سند الحق، وانفضحت بهم شبهة الباطل، أولئك هم الطائفة التي لم تزل ظاهرة على الحق لا يضر بها من خذلها حتى تقوم الساعة. ويختم نداءه بقوله: إننا ندعوكم بكلمة الله إلى الصدع بالحق، وإنقاذ المسلمين، فإن أجبتم فذلك الظن بكم، والله معكم ولن يترك أعمالكم، وإن أبيتم فعليكم إثم الهالكين، وحسب المسلمين رب العالمين.

الدعوة إلى تطوير جامع الزيتونة: كان الإمام ينظر نظرة المتألم إلى منهج جامع الزيتونة العقيم الذي ظل زمنا طويلا جسما بلا روح، ولا حظ له من الناحية العملية والفكرية والنهضوية، فوجه نداء إلى علمائه يشكوهم فيه من أنفسهم، ويناشد ضمائرهم، ويذكرهم بواجبهم، ثم يقترح عليهم منهاجا متطورا وعصريا يواكب النهضة، ويساعد على الإبداع والتفتح، وبه إذا عملوا يتخرج أنماط من المعلمين والمربين، والعلماء والرياضيين والوعاظ والخطباء والمرشدين.

وأكد بصدق تجربته الخاصة، أنه من الإمكان أن يحصل هذا التطور وتتحقق ثمرته، لكن لابد لهذه التجربة، ولهذا التطوير من إخلاص في القصد، وصحة في الفهم، يقول الشيخ ابن باديس: «...والاستعانة على ذلك بإخلاص القصد وصحة الفهم، وهذا أمر قريب على من قربه الله إليه، ميسر على من توكل على الله فيه، وقد بدأت طلائعه ـ والحمد لله ـ وهي آخذة في الزيادة إن شاء الله.

محمد سريج
أستاذ التاريخ المعاصر-
جامعة الشلف

علـــم الاجتمـــاع (تجربـة شخصيـة)

بقلم: حسان الجيلاني

الحلقة الثانية والأخيرة

ثانيا: حدثان بارزان

في الحقيقة أن السبعينات شهدت موجة واسعة من التحرر والانطلاق، حيث تم الاهتمام بعلم الاجتماع ووضعت وزارة التعليم العالي كل ثقلها لإصلاح علم الاجتماع والعناية به، حتى أن الجزائر ولأول وآخر مرة احتضنت المؤتمر الرابع والعشرون لعلم الاجتماع من 25 إلى 30 مارس 1974، وكانت اللجنة التنظيمية قد تكونت من «محمد الصديق بن يحي» وزير التعليم العالي يومها، ومراد بن اشنهو ويوسف نصيب والأستاذة كلودين شالي، والأستاذ النذير معروف، وعبد الله شريط، ومحفوظ قداش ومحمد السويدي وغيرهم... الخ..

وتركز المؤتمر حول محورين اثنين الأول الفلاحون في الدول النامية (الإصلاحات الزراعية، والتحولات في البناء الاجتماعي والثقافي، وعالم الريف والتنمية الصناعية، والثاني حول مشاكل علم الاجتماع لدى الدول في طريق النمو.

وقد عرض المتدخلون تجارب بلدانهم في الإصلاحات الزراعية.

كانت جامعة قسنطينة الجديدة قد بدأت باستقبال الطلبة ابتداء من أكتوبر 1972، وكانت عبارة عن ورشة مفتوحة على كل الاحتمالات، قرقعة خلاطة الإسمنت المسلح تلتقي بصوت الأستاذ الهادي فيذوب في سيمفونية الخلاّطة، وتجدنا في بعض الأحيان نتشاور بالأيدي، ونتهامس في قاعة التدريس دون أن نسمع بعضنا، أما إذا حل الشتاء، وكثرت الأمطار فإن الوحل يعم كل الأماكن والبرد القارس يضرب الأعصاب.

ثالثا: التعريب

لعل الخطأ الذي وقعت فيه المنظومة التربوية والجامعية على وجه الخصوص هو أنها لم تحدد سياسة للتعريب واضحة وعميقة، كان التعريب يتم وفقا للأهواء والمصالح والنوايا السيئة أو الحسنة.

المعارك والاضطرابات التي شهدتها الجامعة في عقدي السبعينات والثمانينات كان موضوعها التعريب وكيفية استرداد اللغة العربية مكانتها في الجامعة، دعوني أصور لكم الواقع الذي عشناه في الجامعة لتعرفوا لماذا توالت ثورات التعريب حتى عقد التسعينات.

الجامعة نموذج لأي جامعة غربية مشوهة.

الطلاب والطالبات يسكنون مع بعضهم في نفس الحي، فكان من الطبيعي أن تجد من الطالبات من تدخن أمام الجميع، ولا تصوم رمضان، وتعاقر الخمر.

الطالبات لا يعرفن الحجاب أو الخمار أو الستر، شعور تميل حيثما الرياح تميل، وسراويل محزّقة، وملّزقة بل ومزَّقة، والماكسي، والميني، والميدي، داير حاله، في المطعم تجد نفسك أمام طابور من الغواني، وهن يحشرنك.

في الحافلة تتعرض إلى نفس الحشر والزحمة، ولغة المخاطبة هي الفرنسية طبعا

Merci, de rien, excuse-moi , Oh, Je Vous ont pris

ونادرا ما تسمع معربا يجلجل بالعربية وحتى المعربون فقد ارتدوا قناعات غيرهم وصاروا يتشدقون بلغة فولتير.

عندما كنت أتحاور مع زميلي في الحافلة بالعربية أو حتى بالدراجة كان الجميع ينظر إلينا باندهاش وكأننا حللنا من كوكب آخر غير كوكب هؤلاء، كان احتقار المفرنسين لنا كبيرا، وكنا نعاني من مركب نقص أليم كل شيء يتم بالفرنسية. في الحي حيث تجتمع لجان الحي مع المدير يكون الحوار بها طبعا مع مدير الجامعة أو نوابه.

إننا لا نسمع العربية إلا من أفواه المصريين أو السوريين وفي قاعات الدرس فقط كل ما عدا ذلك مفرنس.

كان المفرنسون ينظرون إلى المعربين من زاوية احتقار ودونية، سألني ذات يوم أحد المفرنسين الذي كان يدرس علم الاجتماع مثلي، أنتم المعربون ماذا تدرسون في علم الاجتماع، أتدرسون قال الله قال الرسول..؟ فأجبته بأن نفس المقرر الذي تدرسونه بالفرنسية ندرسه بالعربية فصمت ولكنه لم يقتنع.

كان المعربون ينتمون إلى أسر فقيرة أو متوسطة الحال، وأغلبها من الأرياف والقرى النائية.

أما المفرنسون فهم من المدن وأغلب عائلاتهم ميسورة الحال أو ثرية.

هذا الوضع جعلنا نشعر وكأن هذه الجامعة ليست لنا، إنها لطبقة أخرى تسيّرها وتعمل على تكريس الحقرة والظلم وهذا ما دعا الطلاب المعربين إلى التمرد، فالشعور بالظلم يولد التمرد والثورة.

لهذا فالمنظومة الجامعية كانت تكرس الحقرة على جميع مستويات التعامل.

وقد وقعت في خطأ جسيم، المفرنسون بأقليتهم يتحكمون في دواليب التسيير سواء في الإدارة أو المؤسسات المهمة.

المعربون بأغلبيتهم قابعون، خاضعون أحيانا يستسلمون وأخرى يثورون ولكن ضد من الثورة؟...

لقد خلقت الجامعة هوة سحيقة بين العربية والفرنسية حيث لا المعربون تواضعوا لتعلم الفرنسية وإتقانها ولا المفرنسون قنعوا بدور العربية وضرورة التحكم فيها.

وهذه الهوة خلقت الصراع الذي استمر قرابة الثلاثين سنة في الجامعات الجزائرية.

لم يكن الصراع من أجل الأكل ولا الإيواء أو النقل بل من أجل استرجاع الهوية واللغة الوطنية وما زاد الطين بلّة هو مقرر اللغة الهزيل الذي كنا ندرسه.

فالمفرنسون كانوا يدرسون العربية بالكثير من السخرية والاستهزاء كان معاملها ضعيفا وعادة ما يدرّسها أستاذ مفرنس أيضا، ولا تجد في قاعة التدريس إلا الضحكات الهستيرية من بعض قواعد العربية.

أما المعربون الذين يدرسون علم الاجتماع خاصة فلم يكن اهتمامهم بالفرنسية يحظى بالقبول أو الاقتناع لأنهم يعتبرونها لغة الغزاة والمستعمر لذلك ناصبوها العداء.

بإيجاز ظل المفرنسون مقتنعين بأفكارهم ولغتهم وظل المعربون في موقعهم لا يتزحزحون عنه قيد أنملة.

وظل كل طرف يرى نفسه أنه على صواب وكانت منظومة التدريس قد عمقت الهوة وساهمت في اتساع الفجوة بدلا من تقليصها، لقد كان عليها أن تقرب الفئتين وذلك بإعطاء اللغة مكانة محترمة بل في مرحلة أولية كان المفروض أن يفرض مقرر الوزارة تدريس بعض المواد بالفرنسية للمعربين والعكس صحيح، لكي تتوارى الفجوة ويتم القضاء على الهوة، ولكن ذلك لم يحدث.

وبمرور السنوات تم القضاء على الهوة بين المفرنسين والمعربين بصورة تلقائية ودون تدخل من المنظومة الجامعية حيث أدرك الطلاب بحسهم الوطني أن الفرنسية ذاهبة إلى الزوال وأن المستقبل للعربية لذلك بدأ يتقلص علم الاجتماع بالفرنسية تلقائيا، فكان الطلاب الجدد، وأغلبهم يحمل بكالوريا فرنسية في الآداب أو العلوم يسجلون أنفسهم في فرع علم الاجتماع المعرب، إلى أن أصبح علم الاجتماع المفرنس لا يسجل فيه إلا عشرة طلاب في السنة أو أقل وهكذا أنقرض لوحده، كما أن هناك قرار فرضته وزارة التعليم العالي وهو تعريب العلوم الاجتماعية ابتداء من السنة الجامعية 1981-80 وهذا ما عمل على توحيد لغة التدريس ولكن بكثير من الألم، والعرق والصراع والتضحيات الجسام.

علم الاجتماع يرتبط بالمثقف النقدي وهو ذلك المثقف المستقل المرجعي، صاحب الفكر الحرّ، المسؤول الذي يحمل هموم الأمة ومشاكل المجتمع، ويحاول جاهدا التأسيس لفكر مبدع نيَّر مستقل عن كل التيارات والايديولوجيات.

ولكن هذا المثقف معزول ثقافيا فهو بين خيارين أحلاهما مر فإما الانسلاخ عن الإيديولوجية السائدة والقيام بدور معرفي وإما الاندماج غير الواعي في الشبكة الإيديولوجية السائدة، فلا ينتج غير الأمراض الثقافية والأوهام، فيصبح بوقا للسلطة، ناطقا غير رسمي باسمها (5).

فالمثقف النقدي، إما محبط أو يائس أو مهاجر...

وإما يضيّع نفسه في العموميات، فلا يتكلم على شيء يعنيه، بحيث يضيع الخاص في العام (3).

لو استطلعنا الواقع لوجدناه ينبئ بمرارة وقسوة، فنحن نعاني العزلة، والمنفى، وكيف لعلم الاجتماع أن يتطور وهو لا يُمارس إلاّ داخل ردهات الجامعة، ولا يُعمل به إلاّ للحصول على شهادة، فحاضرنا لا يعرف مدارس فكرية، ولا تفاعلا بين المثقفين الباحثين، ومراجعنا قديمة إذا لم تكن معدومة، ولا نطلع على أفكار غيرنا، وليس لدينا حركات فكرية عربية، تسهم في قيام فلسفة علوم اجتماعية عربية نابعة من أصالة مجتمعنا.

إن الحوار بيننا مبتور، والخلافات متعددة، ولكنها ليست خلافات في الفكر أو الثقافة أو العلم، فكل واحد منا يريد نفي الآخر، بل ومحوه من الوجود.

الباحث الاجتماعي صار مُحبطا، يرى ويعيش يوميا مشاكل المجتمع ولكنه لا يستطيع دراسة أي ظاهرة، فالعين بصيرة واليد قصيرة، إنه يتألم، في سرّه، ويتوجّع لما آل إليه المجتمع، والبحث العلمي، ولكنه لا يقوى على فعل شيء.

منذ سنوات خلت درست الجماعات الصغيرة في التنظيم وتوصلت إلى نتائج مقبولة، وكنت أتألم كثيرا من وضع المؤسسات الصناعية الجزائرية، كانت الملايير تذهب سدى بفعل إضراب العاملين لأن مدير الشركة لم يقابلهم، ولم يتحاور معهم، ولو كان هناك باحث اجتماعي يتم الرجوع إليه، لوفر على الشركة تلك الملايير، ولكن علم الاجتماع لا يُعمل به، وهو مغيّب في جميع مؤسسات الدولة.

وقد سمعت في السنوات الأخيرة أن ولايات الوطن تأسست بها مديريات للشؤون الاجتماعية، ولكن حتى هاته المديريات دورها لا يتعدى توزيع قفة رمضان أو هبات المحسنين.

رابعا: علم الاجتماع في ليبيا

واستقررت بجامعة الفاتح بطرابلس للسنة الجامعية 1995-94 وقد أسندت إليَّ مادة أسس علم الاجتماع بالإضافة إلى مقياس علم اجتماع التنظيم الذي وضعت مقرره بنفسي.

كانت كلية التربية بجامعة الفاتح تضم عدة أقسام منها علم النفس، وعلم الاجتماع، والتاريخ والآداب، واللغات... الخ.. وكان أغلب المدرسين عرب، خاصة المصريين.

كان عدد طلبة قسم علم الاجتماع من السنة الأولى إلى الرابعة حوالي 500 إلى 600 طالب، وعادة ما تضم السنة الأولى حوالي المائة طالب.

في جامعة الفاتح كان قسم علم الاجتماع يضم حوالي العشرة أساتذة منهم جزائريان العبد الضعيف والأستاذ أحمد براح، وأستاذ تونسي، وفلسطيني وأستاذة عراقية، وحوالي الخمسة أساتذة ليبيين يتزعمهم الأستاذ الدكتور مصطفى عمر التير والدكتور ناصر الشيباني رئيس القسم.

علم الاجتماع بجامعة الفاتح يتمتع بصحة جيدة، فالكثير من الأساتذة الليبيين يهتمون به، وفي طليعتهم الدكتور علي الهادي الحوات، وأبو بكر شلابي، والوحيشي بيري، وعمر التومي الشيباني وفرج الملهوف، والجيلاني جبريل عميد كلية العلوم الاجتماعية التطبيقية وغيرهم الكثير.

إلاّ أن علم الاجتماع عندهم مختلط بالسياسة وهي التي توجه وتحدد مسار كل العلوم، فالجامعة والأبحاث العلمية ليست مستقلة، فهي تعاني من تبعية نافذة، لذلك ليس هناك إبداع، أو أبحاث جريئة، أو دراسات أصيلة، كل ما هو موجود تابع، وخاضع، وتقليدي حتى رؤوس الطلاب كنّا نحشوها بكثير من المعلومات دون نقد أو تمحيص أو إبداع، وهذا بناء على توجيهات المسئولين عن التعليم.

لذلك فإن طلبة علم الاجتماع في ليبيا (وأغلبهم من الطالبات كما هو الحال عندنا اليوم) لا يناقشون المحاضرة، ولا يبدون رأيهم، ولا يعقّبون على أي موضوع يثيره الأستاذ، فهم مستسلمون قانعون، ينتظرون متى تنتهي الأربع سنوات ليحصلوا على منصب عمل، وهي متوفرة في بلادهم، فما إن يتخرج الطالب حتى يجد الكثير من الوظائف في انتظاره، ولا يجد صعوبة في الحصول على وظيفة.

كانت الجامعة تعرض على الطلبة الانضمام إليها، وتعيينهم كمعيدين بها، ولكن الكثير منهم يرفضون ذلك.

وهناك الكثير من الظواهر التي تنخر المجتمع الليبي منها الرشوة والمحسوبية، والتزوير، والغش في الامتحانات، وأذكر أن أحد الباحثين قدم أطروحة دكتوراه في ظاهرة الغش في الامتحانات.

كان الدكتور «مصطفى عمر التير» قد استثمر جمعية علماء الاجتماع العرب باعتباره ممثلها في ليبيا، وراح يجمع الأساتذة والدكاترة وحتى الطلبة في لقاء أسبوعي لمناقشة قضية من القضايا الاجتماعية الكثيرة، وقد لاقت نجاحا كبيرا تلك الندوات.

كان الدكتور مصطفى عمر التير يدير تلك الندوات، وينشطها ويدعو في كل مرة أستاذا، أو عالما، أو مثقفا لإلقاء محاضرة أو مداخلة في موضوع يختاره وتتم المناقشات، والشيء الجميل أن أغلب الحاضرين من أقطار عربية مختلفة، فهناك العراقيون الذين يشكلون نسبة كبيرة من الأساتذة، وهناك المصريون، والسوريون، والسودانيون، والفلسطينيون، وهذا التنوع كان عامل ثراء لتلك الندوات التي لم يكن يحضرها جمهور كبير ولكن النوعية وحدها تكفي.

علم الاجتماع في ليبيا يتمتع بصحة وعافية ولكن السياسي مسيطر على كل شيء لذلك تراهم يبحثون بصورة تقليدية، غير متطورة تخلو من النقد والإبداع، وتخلو من الجرأة أيضا.

كان عدد الأساتذة الجزائريين المختصين في علم الاجتماع لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة في كل أنحاء الجماهيرية العظمى، وكانوا يؤدون رسالتهم بكثير من التفاني والإخلاص، والأمانة العلمية، وقد اكتشف الليبيون العناصر الجزائرية التي تتميز بالعطاء والصدق بعيدا عن الرياء والتملق والنفاق.

خامسا: كلمة ختامية

من خلال هذه التجربة المتواضعة، نجد أن علم الاجتماع لم تكن له مكانة محترمة في المجتمع الجزائري، حيث أن هناك الكثير من الصعوبات والعراقيل التي تعترض سبيله، منها ما استطعنا ذكره، والكثير الذي لم نستطع سرده، نظرا لضيق المقام.

وأملي كبير في المستقبل أن تهتم الدولة به، وتمنحه عناية خاصة، لأنه علم يعمل على تطوير المجتمع، ويكشف أساليب وخلفيات هذا التطور.

المراجع والهوامش

1 - جمال معتوق، علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا، الطبعة الأولى، بدون دار نشر، 2006، ص90.

2 - جمال معتوق، مرجع سبق ذكره، ص 91.

3 - عنصر العياشي، أزمة أم غياب علم الاجتماع، مجلة المجتمع، العدد01، نوفمبر 1990، مطبعة ولاية قالمة، ص29.

4 - حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي اجتماعي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1984، ص440.

5 - عبد القادر عرابي، أزمة المثقف العربي، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد196، المؤرخ في جوان 1995، ص39.

البصائر

لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أسست في أول شوال 1354 هـ الموافق 27 ديسمبر 1935م

الإسلام ديننا. والعربية لغتنا. والجزائر وطننا.

دعـاء العـدد

اللهم مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك.

الاثنين 07 - 13 ربيع الثاني 1434 هـ /18 - 24 فيفري 2013 العدد: 640 الثمن: 20 دج موقع جريدة البصائر: www.albassair.org / البريد الإلكتروني: info@albassair.org / موقع الجمعية: www.oulama-dz.org

حول سلفيـــــة جمعية العلماء (2)

بقلم: الأستاذ الدكتور محمد دراجي

قلنا في المقال السابق بأنّ دعاة السلفية اليوم، يجعلون من أهم مبرّرات مشروعية وجودهم ومسوّغات انتشارهم في هذه الدّيار المباركة، ثناء رجال الجمعية الكرام على الدعوة الوهابية ورجالها في الجزيرة العربية، وهذا الكلام يمثل بعض الحقيقة لا الحقيقة كلّها، فرجال الجمعية أثنوا فعلا على الدعوة الوهابية في بعض جوانبها، وهذا لا يعني أنّهم كانوا امتداداً لها كما يفعل سلفية اليوم، أو أنّهم قدّموا لهم صكاً على بياض يقرّون فيه الوهابية وفكرها، وتصرفاتها بقضّها وقضيضها، ما يُحمد منه وما يعاب، إنما غاية ما في الأمر أنّ خصوم الجمعية من الطرقيين الفاسدين خاصّة، لمّا أعلنوا الحرب الشاملة على مشروع الجمعية الإصلاحي التجديدي، كان من جملة الأسلحة التي ظنّوا أنّها تحسم المعركة لصالحهم اتهام الجمعية بأنّها وهابية، فما كان من رجال الجمعية الكرام، وبحكم المكانة التي تبوءوها في العلم والجهاد إلاّ أن يؤدوا شهادة الحقّ في هذه الحركة ورجالها.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فإنّ رجال الجمعية الكرام، وعلمائها الأجلّة كما أثنوا على الوهابية في بعض الجوانب فإنّهم انتقدوها انتقاداً لاذعاً مُرًّا في جوانب أخرى، وهذا دليل الاستقلالية في الموقف الفكري والدّعوي، ناهيكم عن الاستقلالية في الإطار التنظيمي، ومن جملة الانتقادات التي وجهها رجال الجمعية للوهابية، فكراً وأسلوب ودعوةٍ، فهذا الشيخ عبد الحميد بن باديس يقول: «وأتى جهالهم شنائع كانت من النكارة بمكان، ووجدها أضدادهم سلاحاً قويًّا في تشويه سمعتهم إلى اليوم، وأسخطت عليهم العالم الإسلامي كلّه، فكانت الخيبة تُصيبهم من جرّاء سلوكهم القاسي، وإن كانت غايتهم من أنبل الغايات، إن الغاية التي رمى إليها ابن عبد الوهاب، وسعى إليها أتباعه، هي التي لا زال يسعى إليها الأئمة المجددون، والعلماء المصلحون في جميع الأزمان، فلها ألّف أبو بكر بن العربي: العواصم من القواصم، وسراج المريدين، وألّف الإمام الشاطبي الاعتصام، وألّف الشيخ ابن الحاج المدخل، وغيرهم من الأئمة وكتبهم كثير، وإليهم يسعى حزب الإصلاح المعتدل الذي أسسه الأستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده ورفع لواءه الشيخ رشيد رضا في مجلّة المنار».

ويواصل الشيخ ابن باديس منتقداً أسلوب الجفاء والغلظة التي اعتمدته الوهابية طريقا لتبليغ أفكارها، ونشر دعوتها، في حين أن الأسلوب الأمثل هو الأسلوب الذّي نصّ عليه القرآن الكريم، ومارسه عملا الرّسول صلى الله عليه وسلّم، وهو أسلوب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، فقال: «ولم تكن في الوهابيين كفاءة للقيام بتلك الدعوة العظيمة على هاته الطريقة الحكيمة فخابوا: وبقيت غايتهم مقصورة عليهم، ونهض بأعبائها الأستاذ الإمام والشيخ رشيد وحزبهما، فملأوا بها الأرض وانتشر مؤيدوها في العالم الإسلامي أي انتشار، لا يزالون بحمد الله في ازدياد».

ومعنى هذا أنَّ رجال الجمعية الكرام كما أثنوا على الحركة الوهابية، فقد انتقدوها كذلك، وهذا يدل كما قلنا على استقلالية الموقف الفكري والعلمي عند رجالها الكرام.

وأحب أن أضع بين أيدي طلبة العلم، والباحثين عن الحقيقة في وسط هذا اللجج العقيم، والجدل البيزنطي، جملة من المسائل والقضايا العلمية التي تؤكد التباين الفكري، والتمايز المنهجي بين جمعية العلماء وأصولها الفكرية، وبين الدعوة الوهابية، وهي مجرّد أمثلة ليس الهدف منها الاستقصاء أو الاستقراء التام.

فمثال التوسّل، الذي جعل منهُ الوهابية مظهراً من مظاهر الشرك، تحاربه بكل الوسائل، وتصم فاعلية بالمشركين، ترى جمعية العلماء بأنَّ هذه المسألة علمية ظنيّة ممّا يجوز فيه الاختلاف، وفتوى ابن باديس حول مشروعية التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلّم مشهورة معروفة.

والتأويل في صفات الباري سبحانه وتعالى الذي تناهضُه الوهابية بكل قوّةٍ وترى فيه بدعة لم يكن للسلف عهد بها، منتصرة في ذلك لرأي ابن تيمية، الذي ناهض الأشاعرة في هذه المسألة، وبالغ في الردود عليهم، ترى جمعية العلماء بأنّ هذه المسألة يحكمها الصوابُ والخطأ لا الإيمان والكُفر، ومفهوم البدعة كذلك من المسائل الخلافية بين فكر الجمعية والوهابية، فإذا كانت الوهابية تتوسع في مفهوم البدعة وتدخل فيها بعض الوسائل والمناسبات، كالاحتفال بالمولد النبوي، والاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج، وغيرها من المناسبات الدينية، فجمعية العلماء ترى بأنّ هذه مناسبات وذكريات، لا ترى مانعا شرعيا بمنع من استغلال هذه المناسبات والذكريات، والاحتفاء والاحتفال بها، واستغلالها لتصحيح المفاهيم وتوضيح التعاليم، حتى إذا جئنا إلى المرأة وقضاياها ودورها في البناء والتنمية، بدا التمايز واضحاً بين الوهابية وجمعية العلماء، ناهيكم عن الموقف من الحضارة الغربية وكيفية التعامل مع الخبرات الإنسانية والبشرية، كالموقف من التعددية الحزبية، والديمقراطية، والانتخابات، وحقوق الإنسان، وغيرها من القضايا التي إذا أخضعناها للمنهج المقارن، بدا التمايز بين الجمعية والوهابية واضحا لذي عينين.

علمتني التجارب

صيانـــــة الديانـــــة

الدكتور عبد الحليم قابة

علمتني التجارب أن لا أغتر بكل ما ينقل منسوبا لأهل العلم الكبار، وأن لا أعد كلامهم حجة في محل النزاع، وذلك لأسباب وضوابط ألخصها فيما يلي:

أولا: الأخطاء الكثيرة التي وقفت عليها في نسبة الأقوال لهؤلاء الكبار العمالقة في العلم والتحقيق، وذلك إما أن يكون بسبب عدم التثبت، أو بسبب الافتراء عليهم، أو عدم الفهم عنهم، ويحصل ذلك بشكل جلي في نصوصهم البليغة، أو في كلامهم في المسائل الحساسة والتي يكثر حولها النزاع، ويحاول كل طرف من المتنازعين أن يكسب أنصارا ترجح بهم كفته على حساب مخالفيه.

ثانيا: أن الأمة مجمعة على أن الحجة في كلام الله عز وجل وكلام رسوله الذي لا ينطق على الهوى، وفيما أجمعت الأمة عليه، وأن كلام غيرهم - مهما علا شأنهم - يؤخذ منهم ويترك، وإنما يفرق - هنا - بين الذي يأخذ ويتعلم ويستفيد ويعمل وقد لا يسلم إذا قام عنده الدليل الذي يخالف ما سمع أو قرأ، مع المحافظة على الأدب والاجلال والسلامة من الغرور والعُجب، وبين المقلد الأعمى الذي اختار لنفسه أن يكون كالميت بين يدي الغاسل، وكالريشة في مهب الريح، وبين المتجرئ الذي لا يرى حرمة لأحد، ولا يستفيد من أحد، ويرى نفسه أعلم من كل أحد.

ثالثا: أن كلام أهل العلم -جزاهم الله خيرا- ينبغي أن يحمل على محامل حسنة، وأن لا يجرد عن سياقه والمجال الذي قيل فيه، وأن لا يُستشهد به على خلاف مراد قائليه إن كنا نعلم ذلك عنهم، وأن نحمل إطلاق كلامهم على ما قد يذكرونه من قيود، وعامّه على ما قد يلحظونه من تخصيص، وأن نحمل مصطلحاتهم على تعريفاتهم، لكي لا نُقولهم مالم يقولوا.

ويعيننا على كل ذلك تقوى الله ومخافته التي تحملنا على التثبت والتريث وعدم الاستعجال بالإدانة قبل صيانة الديانة.

كلمة حق

بقلم: الأستاذ الدكتور عمار طالبي *

صناعة لقومية يهودية عرقية اختلاق محض

إن كتابات فلافيوس جوزيف (Flavius Josephe) ليست الشاهد الوحيد على دخول عدة أجناس في اليهودية، غير سلالة بني إسرائيل كما قلنا.

فالذين استولوا بالقوة على فلسطين سنة 1967، يدّعون أنهم من النسل المباشر لملكتهم المزعومة، وليسوا ورثة المحاربين أو فرسان الخزر Khazars، فبعد ألفي سنة من الشتات يعودون في زعمهم إلى القدس عاصمتهم، ولم يكتفوا بالأدلة التاريخية التي صنعوها، بل استندوا أيضا إلى علم البيولوجيا، فمنذ سنة 1970 تتابعت الأبحاث التي تسمى علمية للبرهنة بكل الوسائل على عرقية اليهود في العالم أجمع.

La proximité génétique des Juifs dans le monde entier.

لإثبات وحدة الأصل «للشعب الممتاز»، فهذا المفهوم للتاريخ يؤسس القاعدة السياسة ليهودية دولة الصهاينة، ليعطي ذلك مكانة لتحديد جوهري وإيثنومركزي Ethnocentrique لليهودية، ويعتبرون العرب كأنهم مهاجرون روس أو عمال مهاجرون، وبعد ستين سنة من وجودها ينفون أن تكون هذه الدولة تسع كل المواطنين من يهود وغيرهم، فربع السكان تقريبا لا يعتبرون مواطنين، لأنهم بمعيارهم ليسوا يهودا عرقيا، فهذه الدولة ليست لهؤلاء، بمنطق القانون عندهم، فهي دولة لليهود في العالم كله، ولذلك يستعمل التمييز بين هؤلاء السكان بدعوى خرافة القومية الأبدية لتتجمع «على أرض أجدادها» من جديد، مع أنها يستحيل تاريخيا أن تكون من عرق «Ethnos» يحمل أصلا واحدا استمر عشرين قرنا.

والتلمود والمشنا يجيزان دخول الأجناس الأخرى في الديانة اليهودية، فالمشنا تعتبر أول مؤلف من الأدب الرباني Rabbinique ألف في القرن الثاني بعد الميلاد، كما أن التلمود يلخص مجموع المناقشات بين الأحبار المتعلقة بالشريعة اليهودية، والعادات في تاريخ اليهود، وهما تلمودان: تلمود فلسطين الذي ألف بين القرن الثالث والخامس، والثاني هو التلمود البابلي الذي كتب في نهاية القرن الخامس. هذا ما أوجزه شلومو سند من كتابه: كيف تم اختلاق شعب يهودي؟ وقد أنكر فيه وجود شعب يهودي واحد ينتمي إلى أصل واحد عرقي، أو أن له تاريخا قوميا مشتركا، يرجع إلى أرض يسمونها أرض إسرائيل، وأن لا انتماء لهم مشترك إلا على أساس ديني، وينكر هذا الأصل المشترك بسبب دخول أجناس متعددة في هذا الدين، وقبل ظهور الصهيونية، فإن هذه الشعوب تعتبر نفسها يهودية على أساس ديني فحسب، ولا يعتبرون شعبا واحدا بالمعيار القومي. ودرس قصة تكوين هذه القومية المصنوعة عبر منهج نقدي تاريخي لأعمال المؤرخين الصهاينة، ورجال السياسة الذين ظهروا أثناء القرنين التاسع عشر والعشرين، وبحثه يعتبر من الأبحاث ما بعد الصهيونية Postsionistes وتعرّض للنقد، ولكن وجد صدى وخاصة في دولة الصهاينة وفرنسا، وحصل في فرنسا على جائزة 2009 الأدبية مكافأة لمؤلف سياسي وتاريخي في الفترة المعاصرة، إنه في النهاية تفكيك لخرافة الأصل المشترك والوحيد للشعب اليهودي.

فأنكر هذا المؤرخ اليهودي فكرة أن اليهود لهم وجود باعتبارهم شعبا مستقلا عن الديانة اليهودية، وأنهم يجب أن يعودوا إلى «الأرض الموعودة»، هذه الفكرة غريبة عن اليهودية الأولى، فاختراع تاريخ قومي متواصل، إنما هو عمل صنعه الصهاينة في أوائل القرن التاسع عشر وما بعده، والعامل الوحيد المشترك إنما هو الدين الذي اعتنقه أجدادهم، وهو دين يختلف عن اليهودية اليوم؛ وبيّن شلومو أن دولة الصهاينة بَنَتْ شرعيتها على خرافة العودة، في حين أن يهود الشتات يرجعون في جزء كبير منهم إلى اعتناق اليهودية في أوائل التاريخ الميلادي، والأدبيات الروحانية تصرّح بهذا بوضوح، وذكرت المؤرخة أنيتا تشابيرا Anita Chapira أن الوثائق اليهودية وأدعيتهم تحمل الفكرة التي تقول: «بسبب آثامنا طردنا من أرضنا».

«Parce que nous avons péché nous fumes expulsés de notre terre»

فلا واحد من المؤرخين للحركة القومية اليهودية يعتقد بأن اليهود لهم أصل عرقي دموي خالص، وما جاء به شلومو معروف عند عدد من المؤرخين قبله.

وذكرت المؤرخة ميراي هداس لبل Mireille Hadas Lebel بأن شلومو لم يأت بجديد مما يدعي أنه اكتشفه، والواقع أنه لا يدعي أنه جاء بما لم يكن في التاريخ، وأنه إنما أتى بمعلومات إلى معرفة الجمهور وهي في الواقع معروفة عند المتخصصين، كما أنه نبّه الصهاينة إلى مغالطاتهم وخيالهم، وما الجرّ إلى هذا الخيال من الدول الأوروبية مثل فرنسا.